صفحات نيرات من حياة السابقات

جمع وتصنيف
نذير محمد مكتبي

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الأعراف: الآية ١٧٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثَّانِيَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ حاجة نساء المسلمين في عصرنا هذا إلى القدوة الصالحة تستدعي وقوفهنّ طويلاً حيال تاريخ المسلمات الأُوَل، وقراءةَ وقائع حياتهن بإمعان وشغف، والسعي حثيثاً خلف المواقف والمشاهد العظيمة الشامخة التي صنعن بموجبها ذلك التاريخ المجيد الحافل بأسمىٰ معاني الحقّ والعدل، والخير والهداية، والعلم والعمل والاستقامة.

وبقدر ما تكون القدوة صالحة طاهرة كريمة بقدر ما تُحقِّق الصلاح والفلاح للمقتدي، وتَهِيء به إلى منازل الفخر والاعتزاز، ومواقع الشرف والقوّة والكرامة، وتسلك به طريق السعادة والفلاح، وسبيل التقدم والعطاء والنجاح.

وقُدوة المرء بالأبطال تجعله في مُقْلة الدهر عينَ المقتدىٰ بهِمِ
إنْ سار يتبعهم في كلِّ واقعةٍ وليس يغرب عن آثار سعيهمِ

وليس للمرأة المسلمة في حياة النِّساء قدوةٌ خيرٌ من نساء سلفنا الصالح اللّواتي كتبن أطهر صفحات الحياة الإنسانية وأنصعها في تاريخ البشريّة، حيث رُبِّين علىٰ الفضيلة والقيم الأخلاقيّة الجليلة، ونهلن من نور القرآن الكريم فتمثّلن في

سلوكهنّ أخلاقه ومبادئه وآدابه، وتبعن سيرة سيّد المرسلين في القول والعمل، وهنّ في هذا وذاك قد وضعن نصب أعينهنّ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء، الآية ٩].

وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران، الآية ٣١].

فكفىٰ بهنّ قدوة تنطلق بالمرأة المسلمة إلى أكرم منازل عيشها في الدنيا، وأصدق مقاعد فوزها في الآخرة.

ومن جميل العناية الإلٰهيّة بأمتنا المسلمة أن هيّأ لتاريخ رجالها ونسائها علماء أفذاذاً ورواة صادقين وحفظة متقنين؛ نقلوا وقائعه بدقة وإحكام، فحَظِيتْ أجيال هذه الأُمّة بقَدْر وافرٍ من صفحات ذلك التاريخ المشرق والماضي الأغر.

وفي هذا الكتاب طائفة من الصفحات النيّرات التي كتَبَتْها نساءُ سلفنا الصالح بأحرف من نور، وصاغتها وقائع حياتهنّ أجمل صياغة تصبح بها منهج هداية للمرأة في كلّ زمان ومكان.

ولقد هيّأ الله عز وجلّ لهذا الكتاب الذي سميّته «صفحات نيّرات من حياة السابقات» أن يدخل في رحاب طبعته الثانية مصحَّحاً فيه بعض الأغلاط الطباعية والتشكيلات الحرفيّة التي ندّت عن المراقبة في الطبعة الأولىٰ وهي قليلة ولله الحمد.

فجاءت طبعته الجديدة على نسق الطبعة الأولىٰ من حيث جَوْدتها وحسن إخراجها مع زيادة ضبط وإحكام.

فالله أسأل أن يجعل التوفيق حليفه، والإخلاص صبغته، والقبول ثمرته، وأن يحتلّ في نفس القارىء والقارئة منزلة كريمة تحدو بهما إلى العمل بمضمونه والسير علىٰ نوره والعزم على اقتفاء أثر أسلافنا الصالحين في إعمار الكون وبناء الحياة وسلوك الطريق إلى مرضاة الله ونعيم الآخرة. إنّه سبحانه وتعالىٰ سميع الدعاء.

نذير محمد مكتبي

مُقدّمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنَّ الدارس لتاريخ الشعوب والأُمم الإنسانيّة، والباحث في نشوء الحضارات وتكوين المجتمعات البشريّة يجد بما لا يقبل الشكَّ أن للمرأة دوراً فعّالاً في صناعة تاريخ تلك الشعوب والأمم وبناءِ تلك الحضارات والمجتمعات التي تلاحقت وجوداً وفناءً على امتداد الحياة منذ انبثاق فجر الإنسانيّة وإلى عصرنا الحاضر.

ويتجلّىٰ تأثير المرأة في ذلك سَلْباً وإيجاباً. فلقد أثبتت الدراسات النفسيّة والإنسانيّة أنّ المرأة طاقة فعّالة في الحياة لها تأثيرها البنّاء وتأثيرها المدمّر في وجود الإنسان، وحسبك أن تعلم أنّ عاطفتها بركان ثائر، فإذا انفجر وتدفّقت طاقتُه في قنوات الخير والفضيلة؛ كانت مادّة صالحة لبناء حصون الأخلاق والقيم في حياة الشعوب والأُمم. وأما إذا انفجر وتقاذفت طاقته في كلّ اتجاه متجاوزةً الضوابط وحدود المسارب؛ دمّرت كلّ شيء أتت عليه، وأكلت الأخضر واليابس. هذا ناهيك عن عقلها الذي إذا نضج في الخير كان مِعواناً على نشره وبثّ أريجه الفوّاح في النُّفوس وأجواء الحياة. وأما إذا نضج في الشرّ وتنشّأ في حضيضه؛ كان بؤرة فساد وإفساد ومباءة شرٍّ وإلحاد.

فإذا رُبّيت المرأة تربية صحيحة، ونشأت نشأة حسنة، وضُبِطتْ حركتُها الفكريّة والسلوكية والعاطفيّة بضوابط الحقّ والخير والإيمان والفضيلة ووُجِّهت التوجيه السليم إلى العمل النافع والإنجاز الصالح وهداية البشريّة وخيرها وفلاحها في الدنيا والآخرة؛ غدت كفيلة بالمساهمة في بناء مجتمع إنسانيٍّ صالح ونشوء أُمّة عريقة راشدة وتشييد صرح حضارة إنسانية راقية.

وأمّا إذا أُهمِلت تربيتها، وانحرف سلوكها، وارتكست في حمأة الشرور، وتردَّت في مهاوي الرذيلة، وفسد فكرها وعاطفتها وضميرها؛ فإنّها تصبح بذلك خَطراً على مجتمعها كُلِّه وسَبَباً في شيوع الفساد بين أفراده، وترويج الرذيلة في أنحائه ودمار المُثُل العليا والقيم الأخلاقية الرفيعة في آفاقه. فيُشرف المجتمع بذلك على الهلاك، ويصبح وشيكاً من الضياع والاندثار.

وحسبنا وقائع حياة الشعوب الغابرة التي طغت فيها المادة، وسيطرت على حياة أفرادها الشهوات، وانحرفت فيها المرأة عن سواء السبيل، وكذلك المجتمعات الماديّة المعاصرة التي أصبحت فيها المرأة آلة إفساد وتدمير، فإنّ ذلك كلَّه يقوم دليلاً على هذه الحقيقة.

فالمرأة في صلاحها واستقامتها من أهمّ عناصر بناء المجتمع الإنسانيّ الأمثل، ومن أعظم مقوِّمات الحياة الإنسانية الراشدة.

فإذا صلحت صلح المجتمع كلُّه، وإذا فسدت فسد المجتمع كلُّه. وهي شريكة الرجل في إعمار الكون وبناء الحضارة.

وما نهضت أُمّة تخلّفت فيها المرأة عن ركب الحياة والمعاني الإنسانيّة الكريمة. ولا ارتكست أُمّة بلغت فيها المرأة أوج الوعي والطهارة والاستقامة.

ولقد تضمّن التاريخ الإنسانيّ نماذج فريدة وعناصر طيّبة من النِّساء اللّواتي

شاركن في صياغة الأمجاد، وسطّرن في سجلّه أروع صفحات الحياة، وكتبن بأحرف من نور المواقف الإنسانيّة الرائعة في شتّى الحقول على امتداد الدهور وتلاحق الأجيال.

وحيث يُعدُّ تاريخ الأُمّة الإسلاميّة منذ انبثاق فجره وعبر توالي مراحله أطهرَ وأنظفَ المراحل التاريخيّة التي مرّت بها الإنسانيّة بعد بزوغ شمس الإسلام وانتشار كلمته في آفاق الحياة. فلقد وجدتني أمام واجب يدفعني إلى كتابة صفحات من حياة نساء المسلمين السابقين أنتخبها انتخاباً من تاريخهنّ المشرق بالأمجاد الحافل بالثقافة والعلم والأخلاق والدعوة والجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى.

ثم قمت بتنفيذ هذا العمل الجليل فاستغرقت فيه وقتاً تناثر على مدى عامَين كاملَيْن إلى أن تمّ إنجازه بعون الله تعالىٰ وتوفيقه على هذا الطِّراز الذي رجوت الله سبحانه أن يحقِّق فيه فائدة يصبو إلى تحقيقها كثير ممن يهفون إلى موجز يشتمل على صفحات من وقائع حياة نساء المسلمين الأوائل.

ولقد ابتغيت من هذا العمل أن أضع أمام نساء عصرنا صورة عمليّة واضحة للحياة الإنسانيّة الطاهرة الكريمة التي عاشتها نساء المسلمين السابقين فكُنّ نماذج فذّة في واقع حياتهن الخاصة والعامّة، حيث تمثّلنَ في سلوكهن وجميع أحوالهنّ أخلاق الإسلام وآدابه وقيمه العليا، وطبّقن على أنفسهنّ مبادئه وأحكامه الخالدة.

وجدير بالمرأة المسلمة المعاصرة التي تنشد الحياة الإنسانيّة الطاهرة، وتطمح إلى سعادة الدنيا وثواب الآخرة أن تتأسىٰ بالمسلمات السابقات، وتتّخذ حياتهنّ في شتّى جوانبها منهجاً لحياتها تسير على هديها ونورها.

فأيّاً من كانت وعلى أيّ حالٍ باتت أو أضحت فإنَّ لها في سير النساء

المسلمات السابقات هدايةً حسنة وقدوة صالحة ونبراساً مشرقاً؛ فحسبها منهنّ المَدْرسة التي تُخرِّج الأبطال، والأُمّ التي تربّـي الأجيال، والعالمة التي يزخر صدرُها بالعلوم، والباحثة التي تستخرج دُرر الحقائق من أصداف المعارف، والواعظة الحكيمة التي يشعّ قلبها بأنوار الحكم ويتألّق عقلُها بالفَهْم وينساب من لسانها لألاء المعاني في حسن المباني، والأديبة الأريبة البليغة التي تبتكر بدائع صور البيان فوّاحة بأريج فرائد الأفكار، والعابدة التي تتسامىٰ في معراج الطاعات وتشعّ بأنوار القُرُبات، والمجاهدة التي تخوض مواطن البأس بشجاعة نادرة وقوّة قاهرة وعزيمة صادقة وهمّة قعساء وعزّة شمّاء، والصابرة المحتسِبة التي لا تفتّ المحن في عضُدها ولا تُوهي الشدائد قوّتها، ولكنَّها تصمد كالجبال صابرةً على البلاء راضيةً بالقضاء، كبيرةَ الإيمان متماسكةَ الأركان، وشريكة الرجل في حياته التي تشاطره السرّاء والضرّاء، فتشدّ من أزره إذا حزبته الأُمور وتسرّي عن قلبه إذا داهمته الهموم، وتمنحه الحبّ والوفاء، وتزجي إليه فيوضات السعادة والهناء وتكون له عوناً على الدنيا والآخرة.

حسبها منهن خديجة، وعائشة، وفاطمة، وأسماء، وأم سليم، ونُسيبة، ورابعة، ومعاذة، وبحريّة وغيرهن من أزواج رسول الله ﷺ وبناته وعمّاته ونساء الصحابة ونساء سائر السلف الصالح على امتداد أجيال المسلمين، فإنهنّ شاركن في صناعة تاريخ الإسلام وجسّدن حقائقه الخالدة في أقوالهن وأفعالهن، وأسهمن في بناء الحياة الإنسانيّة الحُرّة الكريمة وتشييد صرح الحضارة الإسلاميّة العظيمة.

ولا ريب أن في قراءة صفحات من تاريخ نساء المسلمين الأوائل توضيحاً للسبيل وإنارة لدياجير الحياة أمام المرأة المعاصرة التي تخوض معتركاً طاحناً تتكاثف عليها فيه قذائف الإفساد، وتتكاثر حولها جواذب الفساد، وتمتدّ إليها يد الشرّ خادعة مغرية، تسحرها تارة ببريق المادّة وأخرىٰ بلذّة الشهوات

وثالثة بشعارات المدنيّة والحضارة الغربيّة الزائفة وما تفرزه من عادات وتقاليد ومـودات وتقليعـات. فتقـع المـرأة المعـاصرة في أكثـر أحيانهـا فريسة الخـداع والتضليـل والتزوير، حيث يُزيّن لهـا أنّها لن ترقى سُلَّم الحضـارة، ولن تبلـغ قمّة العزّ ولن تُحقّق غاية السعادة إلاّ إذا اقتدت بنساء الغرب واتخذت حياتهنّ منهجاً لحياتها.

وليتها تعلم أنّ ما وقعت في براثنه من المكر والخداع يحمل في غضونه حتفها ونهايتها البئيسة بعد تدمير أخلاقها وتحطيم القيم الإنسانية الرفيعة في سلوكها والإجهاز على ضميرها وإيمانها وصلاحها. لأنّ واقع المجتمعات الغربيّة وما وصلت إليه من انحلالٍ في الأخلاق وفساد في الضمير وانحرافٍ في السلوك وانهيار في القيم والمبادىء يخبر بما لا شكّ فيه أنّ تلك المجتمعات تسعىٰ إلى نهايتها الخاسرة وأنّها مقبلة على حتميّة البوار، ولا يغترّنّ الإنسان ببريق حياتها الماديّة وتصاعد نسبة الاكتشافات والصناعات والعلوم والثقافات فيها فكلّ ذلك قناع خادع يخفي وراءه خَواءً روحيّاً وقلقاً نفسياً واضطراباً سلوكيّاً وفساداً ضميرياً ودماراً وجدانيّاً وشروراً وأخطاراً.

وحسبنا تأكيداً لذلك ما صرَّح به الدكتور ألكسس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» حيث قال:

«إنّنا نواجه مشاكل أعظم خطورة تحتاج إلى حلٍّ سريع. إذ بالرّغم من أنّنا بسبيل القضاء على إسهال الأطفال والسلّ والدفتريا والحمّى التيفوديّة.... إلخ، فقد حلَّت محلّها أمراض الفساد والانحلال، فهناك عدد كبير من أمراض الجهاز العصبيّ والقوى العقليّة، ففي بعض ولايات أمريكا يزيد عدد المجانين الذين يوجدون في المصحّات على عدد المرضىٰ الموجودين في جميع المستشفيات الأُخرى، وكالجنون؛ فإنّ الاضطرابات العصبيّة، وضعف القُوىٰ العقليّة آخذة في الزيادة، وهي أكثر العناصر نشاطاً في جلب التعاسة للأفراد وتحطيم الأُسَر.

إنّ الفساد العقليّ أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية التي قصر علماء الصحّة والأطبّاء اهتمامهم عليها حتى الآن».

وحيث قال:

«يبدو أنَّ الحضارة العصرية عاجزة عن إنجاب قوم موهوبين من ناحية الخيال والذكاء والشجاعة. ففي كلّ بلد يوجد تناقض في المستوىٰ العقليّ والأدبيّ لأولئك المسؤولين عن الشؤون العامّة».

وحيث قال:

«ليس هناك أيّ ظلّ من الشكّ في أن علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء عاجزة عن إعطائنا الذكاء والنظام الأخلاقيّ والصحة والتوازن العصبيّ والأمن والسلام».

وحيث قال:

«نحن غير مسرورين، نحن في انحطاطٍ في الأخلاق وفي العقول. إنّ الأُمَم التي ازدهرت فيها الحضارة الصناعيّة، وبلغت أوجها هي أضعف مما كانت، وهي تسير سيراً حثيثاً إلى الهمجيّة، ولكنّها لا تدرك ذلك».

وحيث قال:

«إنّنا لن نصيب أيّة فائدة من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكيّة، وقد يكون من الأجدى ألاّ نُضْفي مثل هذا القدر الكبير من الأهميّة على اكتشافات الطبيعة والفلك والكيمياء. فحقيقة الأمر أنّ العلم الخالص لا يجلب لنا مطلقاً ضرراً مباشراً، ولكن حينما يسيطر جماله الطاغي على عقولنا، ويستعيد أفكارنا في مملكة الجماد، فإنّه يصبح خطراً، ومن ثمّ يجب أن يحوّل الإنسان اهتمامه إلى نفسه وإلى السبب في عجزه الخُلقيّ والعقليّ، إذ ما جَدْوى زيادة الراحة والفخامة والجمال والمنظر وأسباب تعقيد حضارتنا إذا كان ضعفنا يمنعنا من الاستعانة بما يعود علينا بالنَّفع. حقاً إنّه لمما لا يستحق أيّ عناء أن نمضي في تجميل طريق حياة تعود علينا

بالانحطاط الخُلُقيّ، وتؤدّي إلى اختفاء أنبل عناصر الأجناس الطيِّبة. ومن ثمَّ فإنّه من الأفضل كثيراً أن نوجّه اهتماماً أكثر إلى أنفسنا من أن نبني بواخر أكثر سرعةً، وسيّارة تتوفّر منها أسباب الراحة، وأجهزة راديو أقلّ ثمناً أو تلّسكوبات لفحص هيكل سديم على بعد سحيق».

وحسبنا تأكيداً لذلك ــ أيضاً ــ ما صرّح به المستر إيدن رئيس وزراء بريطانيا السابق في بعض خطبه سنة ١٩٣٨م حيث قال:

«إنّ أهل الأرض كادوا يرجعون في أخريات هذا القَرْن إلى عهد الهمجيّة والوحشيّة، ويعيشون عيشة سكّان الكهوف والمغارات، ومن الغريب المضحك أنّ البلاد والدّول تنفق ملايين من الجُنَيْهات على وقاية نفسها من آلة فتّاكة تخافها، ولكنّها لا تنفق على ضبطها، وإنّي أتعجّب في بعض الأحيان وأقول: كيف لو زار العالم الجديد زائر من كوكب آخر وهبط إلينا فما عسى أن يشاهده؟ سيجدنا نعدّ العُدّة لإهلاك بعضنا، ونتبادل الأنباء عنها، ويخبر بعضنا بعضاً كيف نستعمل هذه الآلات الجهنميّة».

وحسبنا تأكيداً لذلك ــ أيضاً ــ ما قاله الكاتب الاجتماعي (ج ــ س ــ يولاك) في بيان أزمة الحضارة الغربيّة، وما خلّفته من شقاء وبؤس في حياة الفرد والمجتمع، ونصّه:

«إنّنا نلاحظ منذ سنوات أنَّ عصرنا يفقد بالتدريج حرارة الحياة فيه، ويخسر باطّراد الدّفء والطمأنينة من القلب البشريّ، فحياة الفرد لا تعرف الارتباطات والواجبات الاجتماعية كما عرفها إنسان الأمس. لم يعد المرء يشعر نحو جواره بذلك الشعور الذي كان معروفاً في الماضي، كما أن روابط الأُسرة لم تعد كما كانت، بل فقدت كثيراً من مقوّماتها.

إنّنا في الحقيقة وسائل للميكانيكيّة التي غيّرت كُلَّ الروابط الاجتماعيّة حتّى

روابط الأُسرة. إنّنا وياللأسف ندفع طائعين ثمناً لما يعطينا التطوّر التكتيكيّ من أدوات، إنّنا نعاني خسارةً مطّردة في مادتنا الروحيّة دون أن نشعر».

وحسبنا تأكيداً لذلك ــ أيضاً ــ صيحات الإنذار التي انطلقت من فلاسفة وزعماء الشعوب المادّية في الشرق والغرب:

كصيحة الرئيس الأمريكي السابق كندي في سنة ١٩٦٢م حيث صرّح بأنّ مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات لا يُقدِّر المسؤولية الملقاة على عاتقه.

وكصيحة المارشال بيتان الذي وقف غداة احتلال الألمان فرنسا في الحرب العالميّة الثانيّة ينادي قومه مبيّناً لهم سبب هزيمتهم واندحارهم، فقال:

«زنوا خطاياكم فإنّها ثقيلة في الميزان. إنكم نبذتم الفضيلة، وكلَّ المبادىء الروحيّة ولم تريدوا أطفالاً، فهجرتم حياة الأسرة وانطلقتم وراء الشهوات تطلبونها في كل مكان. فانظروا إلى مصيرٍ قادتكُم إليه الشهوات».

وحسبنا تأكيداً لذلك ــ أيضاً ــ النهايات الخاسرة التي انتهت إليها أكثر العناصر البشريّة المعاصرة ترفاً واجترارا للمتعة واللّذة ونعيم الحياة الماديّة الباهرة في بلاد الغرب من ممثّلين وممثّلات ومطربين ومطربات؛ كبطلة الإغراء الأمريكيّة مارلين مونرو. وحسبنا من نهايتها المأساويّة رسالتها التي كتبتْها قبل أن تغادر الدنيا انتحاراً، وقالت فيها مخاطبة المرأة الغربيّة:

«احذري المجد. . احذري ما يخدعك بالأضواء. إنّي أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أُمّاً، إنّي امرأة أفضّل البيت، الحياة العائليّة الشريفة الطاهرة، بل إنّ هذه الحياة العائليّة لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية. لقد ظلمني الناس، وإنّ العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة».

وحسبنا تأكيداً لذلك ــ أيضاً ــ ما قالته الكاتبة الشهيرة (آنا رورد) في مقالة نشرتها في جريدة (الاسترن ميل):

«لئن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهنّ في المعامل، حيث تصبح البنت ملوّثة بأدرانٍ تذهب برونق حياتها إلى الأبد. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهر رداء... الخادمة والرقيق يتنعمّان بأرغد عيش، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تُمَسُّ الأعراض بسوء.. نعم إنَّه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال. فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية، من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامةً لشرفها».

هذه الشهادات والتصريحات والصيحات تبيّن لنا أنّ المرأة الغربيّة بمقتضى معطيات الحضارة الماديّة المعاصرة ليست على حالة تُحسَد عليها، كما يتصور المخدوعون ببهارج الحضارة. بل هي في مأساة جائرة تحتسي فيها مرارة الشّقاء الذي يفضي بها تارة إلى الجنون وأخرى إلى الانتحار ذلك لأنّها فقدت بفعل الأضواء والبريق الماديّ الطاغي وظيفتها الأساسيّة في الحياة وتحوّلت إلى أداةٍ لترويج الجنس ووسيلة للإغواء والفتنة، وانغمست في مستنقع آسن من الشرور تلاشت فيه كرامتها وإنسانيتها وقيمها النفسية والوجدانيّة على صعيدٍ، وأنوثتها وخصائصها الجسديّة على صعيد آخر. ويكفينا توضيحاً لذلك ما كتبه مفكّر إسلامي، فقال تحت عنوان (المرأة في الحضارة الغربيّة):

«لقد أُريد للمرأة في هذا العصر أن تكون عنوان الجنس لا ترمز إلاَّ إليه، ولا تعني إلاَّ إثارته والإغراء به... أُريد لها أن تكون محطّاً للعيون النّهمة، والنفوس العفنة المتعطّشة للمجون.

وهذا ما جعل المجتمعات الغربيّة تتبارىٰ وتتنافس في إنتاج كلّ الوسائل

التي من شأنها دفع المرأة في سلم الإغراء والإغواء والإثارة إلى النهاية؟

ولقد أُريد للمرأة ـ كذلك ـ أن تكون العنصر الأساسيّ في الدعاية التجارية. . . في لفت الناس إلى السلع الاستهلاكيّة في اجتذابهم إلى المطاعم والفنادق والمقاهي. وبذلك استغلّت أنوثتها أبشع استغلال، وتعطّلت وظيفتها الفطريّة في الحياة، وغدت متاعاً أو شبه متاع.

إن تحرّر المرأة المزيّف في المدنيّة الغربيّة جعلها تتحرّر حتى من واجباتها كزوجة، من واجباتها كأُمّ، من واجباتها كمربيّة أجيال وصانعة رجال.

إنّ هذه المدنية الزائفة جعلت المرأة تقتحم ميدان كلّ عمل. . ميدان الصناعة والزراعة والفن والتجارة وغيرها من الميادين مما يتعارض في كثير من الأحيان مع تركيبها العضويّ وطاقاتها الجسديّة والنفسيّة. . كلّ ذلك على حساب مسؤوليّتها الأصيلة في نطاق الزوجيّة والأمومة.

إن الفاجعة الكبرى في العالم الإسلاميّ أن تسلك نساؤه نفس الطريق الذي سلكته المرأة الأجنبيّة وتتبع خطاها خطوة خطوة، اتباع انقياد واقتداء. . . مبهورة بالأضواء والضوضاء، مفتتنة بالزينة والمساحيق والعطور، مصروعة بحمى الأزياء والملابس الفاضحة.

وليت المرأة في عالمنا الإسلامي تدرك الحقيقة، ليتها تستطلع وضع المرأة الأجنبية بدون أضواء ومن غير (رتوش) تستطلع وضعها النفسيّ. وحينذاك ستدرك أنّها في شقاء وتعاسة وقلق لا تحسد عليه.

ليت المرأة في عالمنا الإسلامي تقرأ وتطالع وتطلع على ما يكتبه عقلاء الغرب وعلماؤه وأطبّاؤه عن النكبات والمآسي التي خلفتها الحضارة الغربيّة وتخلفها في حياة الناس هناك؟؟».

فلا مناص للمرأة المعاصرة التي تعشق الفضيلة وتشغف بالقيم الإنسانية

النبيلة وتحرص على طهر الحياة ونظافتها ورونقها وبهائها، وتحلم بسعادة لا تنقطع وبعيش آمن لا ينصرم وتتطلَّع إلى مستقبل زاهر مشرق بالخير، وموئل رابح، ونهاية حميدة.

لا مناص للمرأة في سبيل ذلك من أن تتّخذ طريقها إلى سِيَر نساء المسلمين الأوائل، فتنهل من معين حياتهنّ الطاهرة القيم والمبادىء والأخلاق والمُثُل التي بمقتضاها تكون صياغة الحياة الإنسانيّة الحرّة الكريمة القويمة الرّاشدة. وحسبي في توثيق ذلك وتوضيحه أن أنقل بعض ما دبّجته أقلام المخلصين من الباحثين والمفكرين الإسلاميين. فتحت عنوان: (المرأة في الحضارة الإسلاميّة) يقول أحدهم:

«مقابل تلك المكانة الوضيعة المرذولة التي أوصلت الحضارة الغربيّة المرأة إليها... مقابل ذلك الاستغلال الرخيص لها. تبدو المرأة في الإسلام وقد احتلت مكانتها الأصيلة في الحياة المكانة التي تحفظ عليها كرامتها... المكانة التي تؤهلها للقيام بدورها الإنسانيّ الكبير في تربية الأجيال.

لقد أراد الإسلام للمرأة أن تكون في نطاق (الزوجية) المرأة التي تهب الأُنس والمتعة لزوجها، وتوفّر السعادة والهناء لبيتها وأسرتها.

وأرادها أن تكون في نطاق (الأُمومة) الأُمّ الحانية والمربيّة الواعية، تصنع من صغارها روّاد مستقبل وأبطال غد. وأرادها الإسلام في نطاق المجموعة البشريّة أن تكون رائدة إصلاح، وداعية خير وصلاح... أرادها مرشدة وموجهة ومعلمة...

إنّ وظيفة المرأة في الإسلام في مستوى وظيفة الرجل أهميّة. وكذلك مسؤوليتها أمام الشرع. وهذا ما نطقت به الشواهد التاريخيّة جيلاً بعد جيل.

لقد كان للمرأة المسلمة دورها الكبير إلى جانب الرجل في إقامة المجتمع المسلم وبناء الحضارة الإسلامية.

شاركته أعباء حمل دعوة الإسلام، فتعلمت وعلمت وتفقّهت وفقهت... شاركته كلّ صنوف المحن وألوان الاضطهاد في سبيل الله... امتُحِنت فصبرت، وابتُليت فثبتت.

وشاركته أخطار الحروب، ومعامع القتال ودروب الجهاد، وأبلت بلاءً حسناً.

لم تكن المرأة دفينة بيتها كسقط المتاع كما يظنّ البعض... كما أنّها لم تكن منطلقة على وجهها راكبة رأسها بدون حد أو قيد كما يُراد لها اليوم».

وأخيراً أقول:

إن قضايا أمّتنا الراهنة ومسؤليّاتها الجسام في إثبات وجودها كأُمّة عريقة في أمجادها، عظيمة في ماضيها، ضخمة في رصيدها العلميّ والثقافيّ والحضاريّ، مقدّسة في مكانتها ومنزلتها بين أُمم الأرض حيث نزل في حقّها قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران، الآية ١١٠].

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة، الآية ١٤٣].

وإنّ قضايا أُمّتنا الراهنة في مواجهة دول الاستعمار الكُبْرىٰ والعدوّ الصهيونيّ المحتلّ وتحرير فلسطين واستعادة السيادة على بيت المقدس وتطهير المسجد الأقصى من دنس الصهاينة الغاشمين... تقتضي أن تعيد أُمّتنا العربيّة والإسلاميّة الكبرى تكوينها من جديد علىٰ الأسس والقواعد التي بُنيت عليها خير أُمّة أُخرِجت للناس. وأن تحتلّ المرأة مكانتها في بناء تلك الأُمّة على نسق القواعد والضوابط الفكريّة والروحيّة والسلوكيّة التي تنشّأت عليها نساء المسلمين الأوائل، ورُبِّين في دوحتها الإيمانيّة الطاهرة.

فجدير بالمرأة المسلمة المعاصرة ذات الغَيْرة على أُمّتها وطهارة إيمانها وعزّة إسلامها أن تبادر إلى التأسّي بسِيَر المسلمات السابقات، والاقتباس من هدي ماضيهنّ المجيد وأنوار تاريخهنّ العريق؛ لتبصر درب الحقيقة التي طالما حرص خصوم الفضيلة والإنسان على طمس معالمها الناصعة في سبيل أن تبقى الحياة فوضى وأن يبقى الإنسان ضائعاً في متاهة حيرة قاتلة وغيهب شقاء مرير.

وأملي كبير في أن تفوّت المرأة المسلمة على جميع دعاة الشرّ وزبانية الباطل فُرَص الإيقاع بها، وذلك بمقتضى انطلاقتها الإيمانية الراشدة؛ لتنجو بنفسها ومجتمعها من خطر ضياع ماحق، وشرّ ارتكاس شنيع، وتنهض بأُمّتها إلى قمّة العزّ ودوحة السعادة في ظلّ حياة إنسانية طاهرة؛ تفيض باليمن والبركة، وتشرق بالأمل والأمان، وترفل بأثواب المجد والفخار على هدي سِيَر السابقين والسابقات من رجال ونساءِ السلف الصالح الذين دخلوا الحياة من أوسع أبوابها، وانطلقوا إلى مشارف الأمجاد من أرحب منطلقاتها، مصطبغين بصبغة التوحيد، فكانوا نموذج القدوة الصالحة للأجيال الإسلاميّة على امتداد الزمان، يصدق فيهم قول الله تعالى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب، الآية ٢٣].

وحيث كتبت هذه الصفحات المشرقات من حياة السابقات، وافتتحتُها بهذه المقدّمة؛ فإنّي لا أزيد في عملي هذا على أن أُضيف إلى قائمة مؤلّفات الدعوة الإسلامية مؤلَّفاً جديداً سائراً على نمط ما سبقه من التآليف التي تحدّثت عن سِيَر السَّلف الصالح، ونقلت لنا صوراً من وقائع حياتهم الرائدة.

ولقد توخَّيتُ من هذا الكتاب أن أجعله تكملة لكتاب آخر أصدرته من قبل،

كنتُ قد جمعت فيه صوراً ومواقف من حياة السابقين، وسمّيته «صفحات مشرقة من حياة السابقين». وبذلك يصبح الكتابان كأنّهما كتاب واحد، حيث جمع بينهما موضوع واحد فانجذبت صفحاتهما إلى قُطبه، وألّفت بينهما عروة وثقىٰ، فهما متواكبان لا يتباعدان عن بعضهما ولا يُغني أحدهما عن الآخر.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحقّق به نفعاً، وأن يُثيبني عليه أجراً، وأن يجعل الفوز والفلاح والتوفيق والنجاح حليف ما كتبتُ وأكتب. إنّه سبحانه الموفّق للخير والحقّ والسداد.

نذير محمد مكتبي

مِن مُناجاتهنّ للّه تعالى

* مناجاة المتعلِّقة بأستار الكعبة

قال إبراهيم بن مسلم المخزوميُّ:

وقفت امرأة متعبِّدة في جوف اللّيل، فتعلّقت بأستار الكعبة، ثمَّ بكت وقالتْ:

يا كريم الصُّحْبة، ويا حَسَن المعونة، أتيتُكَ من شُقَّةٍ بعيدة متعرِّضةً لمعروفك الذي وسِع خَلْقك، فأنلني من معروفك معروفاً تُغنيني به عن معروف مَنْ سواك، يا أهل التقوىٰ ويا أهل المغفِرة. قال: ثمَّ صرختْ صرخةً سقطت لوجهها، فحُمِلتْ مغشيّاً عليها. [صفة الصفوة ٤/ ٤١٥ ـ ٤١٦]

* مناجاة الملتزمة في حجر إسماعيل

قال سعيد الأزرق الباهلي:

دخلتُ الطَّواف ليلاً، فبينا أنا أطوف وإذا بامرأةٍ في الحِجْر ملتزمة للبيت قد علا نشيجها، فدَنَوْت منها وهي تقول:

يا من لا تراه العيون، ولا تُخالطه الأوهام والظنون، ولا تُغيِّره الحوادِث، ولا يصِفه الواصفون.

يا عالماً بمثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعَدَد قَطْر الأمطار، ووَرق الأشجار، وعَدَد ما أَظْلَم عليه الليل وأَشْرَق عليه النَّهار، لا تُواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا جبلٌ ما في وَعْره، ولا بحرٌ ما في مقرِّه.

أسألك أَن تجعل خير عُمري آخِره، وخيرَ أيَّامي يوم ألقاكَ، وخير ساعاتي مفارقة الأحياء من دار الفناء إلىٰ دار البقاء التي تُكرم فيها من أحببت من أوليائك، وتُهين فيها من أبغضت من أعدائك.

أسألك إلهي عافيةً جامعةً لخير الدنيا والآخِرة، مَنّاً منك عليَّ، وتطوُّلاً ياذا الجلال والإكرام.

ثم صَرَختْ، وغُشِي عليها. [صفة الصفوة ٤/ ٤١٦]

* مناجاة طائفة حول البيت

قال وهيب بن الورد:

بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول:

يا ربِّ، ذهبت اللذّاتُ، وبقيت التَّبِعات.

يا ربِّ سبحانكَ، وعزَّتك إنَّك لأرحم الرّاحمين.

يا ربِّ ما لَكَ عقوبة إلاَّ النّار.

فقالتْ صاحبةٌ لها كانت معها:

يا أُخيَّة، دخلتِ بيت ربِّكِ اليوم؟

قالتْ: والله ما أرىٰ هاتين القدمَيْن ـ وأشارت إلىٰ قدميها ـ أهلاً للطواف حول بيت ربّي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربِّي؟ وقد علمتُ حيث مشتا إلىٰ أين مشتا. [صفة الصفوة ٤/ ٤١٥]

* مناجاة امرأة من العرب

قالت امرأة من العَرَب ذاتُ عَقْل ودين:

سبحانك إلٰهي، إمهالك المذنبين أطمعهم في حسن عفوك عنهم.

سبحانك إلٰهي، لم يزل قلبي يشهد برضاك لمن نال عفوك.

سبحانك إلٰهي، تفضُّلاً منك، وامتناناً علىٰ خلقك.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩٥]

كانت عزيزة أُمّ أيمن بنت عليٍّ تقول:

كيف لا أرغب في تحصيل ما عندك وإليك مرجعي؟

وكيف لا أُحبُّك وما لقيت خيراً إلاَّ منك؟

وكيف لا أشتاق إليك وقد شوَّقْتَني إليكَ؟

وقالت: لا ينتفع العبد بشيء من أفعاله كما ينتفع بطلب قُوته من حلال.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٣١]

* مناجاة جارية في المسجد الأقصىٰ

قال سعيد الافريقيُّ:

كنتُ ببيت المقدس مع أصحابٍ لي في المسجد، فإذا أنا بجارية عليها دِرْع شعر وخمار من صوف، فإذا هي تقول:

إلٰهي وسيّدي، ما أضْيَق الطَّريق علىٰ من لم تكن دليلَه، وأوحش خلوةَ من لم تكن أنيسَه.

فقلتُ: يا جارية، ما قطع الخلق عن الله ــ عزَّ وجلَّ ــ ؟

قالتْ: حبُّ الدنيا إلاَّ أنَّ لله ــ عزَّ وجلَّ ــ عباداً أسقاهم من حُبِّه شربةً فولَهت قلوبُهم فلم يُحِبُّوا مع الله ــ عزَّ وجلَّ ــ غيرَه.

ثم قالت تُنشِد:

تـزوَّد قـريناً من فِعالك إنَّما قرينُ الفتىٰ في القبرِ ما كان يعملُ
ألا إنَّما الإنسانُ ضيفٌ لأهله يُقيم قليلاً عندهم ثم يرحلُ

[صفة الصفوة ٤/ ٢٥٢]

* مناجاة امرأة متعبِّدة

قال عُبَيْد الله بن عمر بن عبيد الله المَعمريُّ: أنبأ جدِّي قال:

سمعتُ فتحاً الموصِلِيَّ يقول: سمعت امرأةً متعبِّدة عندنا تقول:

إلٰهي وسيّدي ومولاي، لو أنَّك عذّبتني بعذابك كُلِّه لكان ما فاتني من قربك أعظمَ عندي من العذاب، ولو نعَّمتني بنعيم أهل الجنَّة كلِّهم كانت لذَّة حُبِّك في قلبي أكثر.

[صفة الصفوة ٤/ ١٩٠]

* مناجاة حبيبة العدويَّة

قال عبد الله المكِّيُّ أبو محمَّد:

كانت حبيبة العدويَّة إذا صلَّت العَتَمة قامت علىٰ سطحٍ فشدَّت عليها دِرْعها وخمارها فقالت:

إلٰهي، غارت النُّجوم، ونامت العيون، وغَلَّقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السَّحَرُ قالتْ:

اللّهُمَّ، وهذا اللَّيل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شِعري هل قبلتَ منِّي ليلتي فأُهَنّأ، أَمْ رددتَها عليَّ فأُعزّىٰ؟

فوعزَّتِكَ، لَهذا دَأبـي ودأبُكَ أبداً ما أبقيتني.

وعزَّتِكَ، لو انتهرتني ما برحتُ من بابك ولا وقع في قلبـي غيرُ جُودكَ وكرمِكَ. [صفة الصفوة ٤/ ٣٢]

* مناجاة بردة ربّها في الليل

قال عطاء بن المبارك:

كانت بالبَصْرة امرأة جليلة متعبِّدة يُقال لها بُرْدة، وكانت تقوم اللَّيل، فإذا سكنت الحركات، وهدأت العُيونُ نادت بصوتٍ لها حزين:

هدأت العيون، وغارت النُّجوم، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، وقد خلوتُ بك يا محبوبـي أفَتُراك تُعذِّبني وحُبُّك في قلبـي؟ لا تفعل يا حبيباه.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٦]

* مناجاة خنساء بنت خدام

كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جهوريّة حُسْناً وجمالاً، يقال لها: «خنساء بنت خدام». وكان طاووس ووهب بن منبِّه يعظمان قدرها، وكانت إذا جنَّ عليها اللَّيل، وهدأت العُيون، وسكنت الحركاتُ تُنادي بصوتٍ لها حزينٍ:

يا حبيبَ المُطيعين، إلىٰ كم تحبس خدود المطيعين في التُّراب، ابعثْهم حتّىٰ يُنجِزوا موعدك الصادق الذي أتعَبوا له أنفسهم ثم أنصَبُوها.

قال: فيُسمَع البُكاءُ من الدُّورِ حولها.

[صفة الصفوة ٢/ ٣٠٢]

* مناجاة نقيش بنت سالم

عن أبـي المورق قال:

حدَّثني من سمع نقيش بنتَ سالم بمكَّة، وهي تقول:

يا سيِّد الأنام، رحَلتْ بي الشُّقَّة، وهذا مقام العائذ بعَفْوك مِنْ سخَطَك، وبرحمتك من غضبك.

يا حبيب الأوّابين، يا مَنْ لا يُكديه[1] الإعطاء، يا ذا المَنِّ والآلاء، زدني بالثِّقَة منك وَصْلةً، واجعل قِرايَ[2] عِتْقَ رقبتي، وأقْرِرْ عيني برضاك.

قال: ورأيتها بالموقف، وهي تقول:

بهظتْني[3] الآثام يا سيِّد الأنام، كحلت عيني بملمول الحُزْن[4]، فوعزَّتك لا نَعِمتُ بضحك أبداً حتى أعلم أين قَراري؟ وإلى أين تصير داري؟

فلمَّا رأت أيديَ النَّاس مبسوطةً للدعاء قالت:

يا ربّ، أقامهم هذا المقام خوفُ النار.

يا قُرَّة عيني وعُيون الأبرار، يلتمسون نائلك[5] ويرجون فضلك.

فلمّا رجعوا وضعت خدَّها وصرخت:

انصرفَ النَّاس ولم أُشعِر قلبـي منك اليأس.

[صفة الصفوة ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥]

---

(١) يكديه: يُفقِره ويُقلّل خيره.

(٢) القِرىٰ: ما يُقدَّم للضيف من الضِّيافة.

(٣) بَهَظه: أثقله وشقّ عليه.

(٤) المُلمول: الميل يُكتحل به.

(٥) النائل: العطيّة، والمعروف.

* **مناجاة رابعة لربِّها**

قالتْ رابعةُ في بعض مناجاتها لله تعالىٰ:

إنـي جعلتُـك فـي الفـؤادِ محـدِّثـي وأبحتُ جسمي من أراد جلوسي
فـالجِسْـم منّـي للجليـس مـؤانـس وحبيـبُ قلبــي فـي الفـؤادِ أَنِيسـي

[عن كتاب عوارف المعارف/ وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٦]

* **مناجاة راهبة عند احتضارها**

حكىٰ عثمان بن سواد الطفاويّ، وكانت أُمُّه من العابدات، وكان يُقال لها: راهبة، قال:

لما احتضرتْ رفعتْ رأسَها إلىٰ السماءِ وقالت:

يا ذُخْري، ويا ذخيرتي، ومَنْ عليه اعتمادي في حياتي وبعد مماتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري.

قال: فماتت، فكُنتُ آتيها كُلَّ جمعةٍ، وأدعو لها، وأستغفر لها ولأهل القبور، فرأيتها ليلةً في منامي فقلتُ لها:

يا أُمّاه، كيف أنتِ؟

قالتْ: يا بُنيّ، إنَّ الموت لكَرْب شديد، وأنا بحمد الله في برزخ محمود، يفترش فيه الرَّيْحان، ويتوسَّد فيه السندس والإستبرق إلىٰ يوم النُّشور.

فقلتُ: ألكِ حاجة؟

قالتْ: نَعَمْ، لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا، فإنيِّ لأُسرُّ بمجيئكَ يومَ الجمعة إذا أقبلت من أهلك، فيُقال لي: يا راهبة، هذا ابنُكِ قد أقبل، فأُسَرُّ ويُسَرُّ بذلك مَنْ حولي من الأموات. [مختصر منهاج القاصدين ٣٩٦]

* **مناجاة سَوِيَّة اليمنيَّة لله**

عن أبـي هشام ــ رجل من قُريش من بني عامر ــ قال:

قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يُقال لها سَوِيَّة، فكنت أسمع لها من اللّيل نحيباً وشهيقاً، فقلتُ للجارية:

أَشْرِفي علىٰ هذه المرأة فانظري ما تصنع؟

فإذا هي قائمة مستقبلة القِبلة رافعة رأسها إلىٰ السماء، فقلتُ: ما تصنع؟

قالتْ: ما أراها تصنع شيئاً غير أنَّها لا تردُّ طَرْفَها عن السماء.

فقلتُ: اسمعي ما تقول.

قالتْ: لا أفهم كثيراً من قولها غير أنِّي أسمعها تقول:

أراكَ خَلَقْتَ سَوِيَّة من طينةٍ لازبةٍ[1] غمرتها بنعمتك، تغذوها من حالٍ إلىٰ حالٍ، وكلُّ أحوالكَ لها حسنة، وكلُّ بلائِكَ عندها جميل، وهي مع ذلك متعرِّضة لسخطك بالتوثُّب علىٰ معاصيكَ فَلْتَةً في إثْر فَلْتَة، أترىٰ أنَّها تظنُّ أنَّكَ لا ترىٰ سوء فعالها؟ بلىٰ وأنت علىٰ كلِّ شيءٍ قدير.

[صفة الصفوة ٢/ ٣٠٢ ــ ٣٠٣]

* **مناجاة سلمىٰ البصريَّة**

قالت سلمىٰ البَصْريَّة:

إلٰهي، عِلْمي بشِدَّة عقوبتك ونكالك؛ قَطَع عنِّي لذاذة الدنيا ونعيمها، ومعرفتي بسعة رحمتك وسَّعَتْ عليَّ خُلُقي فيما بيني وبين عبادِكَ.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٢]

---

(١) اللازب: اللازم، الثابت يقال: صار الأمر ضربة لازب؛ أي: صار لازماً ثابتاً. وطين لازب: يلزق باليد لاشتداده.

حبهن لله تعالى

* أمّ الدَّرْداء تعشق مجالس ذكر الله تعالىٰ

عن عون بن عبد الله قال:

كنّا نجلس إلىٰ أُمّ الدرداء، فنذكر الله عزَّ وجلَّ عندها.

فقالوا: لعلّنا قد أمللناكِ؟

قالتْ: تزعمون أنّكم قد أمللتموني، فقد طلبت العبادة في كلِّ شيءٍ، فما وجدت شيئاً أشفىٰ لصدري ولا أحرىٰ أن أُصيب به الدِّين من مجالس الذِّكْر. [الزهد ١٦٥]

* جويرية بنت الحارث مع كلمات التسبيح

عن جويرية بنت الحارث:

انطلق عليَّ رسول الله ﷺ غُدوةً، وأنا أُسبِّح، ثمَّ انطلق لحاجته، ثمَّ رجع قريباً من نصف النهار، فقال:

«أما زلتِ قاعدةً».

قلتُ: نعم.

قال: «ألا أُعلِّمك كلماتٍ لو عُدلن بهنَّ لعدلْنَهنَّ، ولو وُزِنَّ بهنَّ وزنَّهنَّ ــ يعني جميع ما سبَّحت ــ :

«سبحان الله عدَد خلقه، ثلاث مرّات.

سبحان الله زنة عرشه، ثلاث مرَّات.

سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مرّات.

سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرّات».

[انفرد بإخراجه مسلم، صفة الصفوة ٢/ ٥٠ ــ ٥١]

* المرأة المشتاقة إلىٰ ربِّها

عن محمد بن بكَّار قال:

كانت عندنا بمكَّة امرأة عابدة، فكانت لا تمرُّ بها ساعة إلاَّ وهي صارخة، فقيل لها يوماً:

إنّا لنراكِ علىٰ حال ما نرىٰ غيرَك عليها؛ فإن كان بك داء عالجناكِ.

قال: فبكتْ وقالتْ:

من لي بعلاج هذا الداء؟ وهل أَقْرَح قلبـي إلاَّ التفكُّر في نيل معالجته؟ أوَليس عجيباً أن أكون حيَّة بين أظهركم وفي قلبـي من الاشتياق إلىٰ ربـّي عزَّ وجلَّ مثل شعل النار التي لا تُطفأ حتَّى أصير إلىٰ الطبيب الذي عنده بُرْءُ دائي وشفاء قلبـي. قد أنضجه طول الأحزان في هذه الدَّار التي لا أجد فيها علىٰ البكاء مُسْعِداً؟!

[صفة الصفوة ٢/ ٢٨١]

* من أحوال عُفَيْرة العابدة

قال يحيىٰ بن بسطام:

دخلتُ مع نفرٍ من أصحابنا علىٰ عُفَيْرة، وكانتْ قد تعبَّدت وبكتْ حتّىٰ عميَتْ. فقال بعض أصحابنا لرجل إلىٰ جنبه:

ما أشدَّ العمىٰ علىٰ من كان بصيرا.

فسمعت عُفَيْرة، فقالتْ له:

يا عبد الله، عمىٰ القلب، والله، عن اللَّهِ أشدُّ من عمىٰ العَيْن عن الدنيا.

واللَّهِ، وددتُ أنَّ الله وهب لي كُنْهَ محبَّته، وأنَّه لم تبق منِّي جارحةٌ إلاَّ أخذها.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٣]

قال روح بن سَلَمة الورَّاق لعُفَيْرة العابدة:

بلغني أنَّك لا تنامين بالليل.

فبكتْ، ثمَّ قالت: ربما اشتهيتُ أن أنام، فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر علىٰ النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟

قال: فأبكتني واللَّهِ، وقلتُ في نفسي: أُراني في شيءٍ وأُراك في شيءٍ.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٣]

* أعلىٰ درجات التقوىٰ

سألتْ عُبَيْدة بنت أبـي كلاب مالكَ بنَ دينار، فقالتْ:

يا أبا يحيىٰ، متىٰ يبلغ المتَّقي الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة؟

قال مالك: بَخٍ بَخٍ يا عُبَيْدة، إذا بلغ المتَّقي تلك الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة لم يكن شيءٌ أحبّ إليه من القدوم علىٰ الله.

قال: فصرخت عُبَيْدة صرخةً سقطتْ مغشِياً عليها.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٥]

* المرأة المحبّة لربِّها

قالت رُقَيَّة المَوْصليَّة:

إنِّي لأُحِبُّ ربِّـي حُبّاً شديداً، فلو أمر بـي إلىٰ النار ما وجدتُ للنار حرارةً مع حُبِّه، ولو أمر بـي إلىٰ الجنَّة لما وجدت للجنَّة لذَّةً مع حُبِّه؛ لأنَّ حبَّه هو الغالب عليَّ.

[صفة الصفوة ٤/ ١٩٠]

* من عجيب حال امرأة عابدة

قالتْ لبابة المتعبِّدة في بيت المَقْدِس:

إنِّي لأستحي منه أن يراني مشتغلة بغيره.

محمد بن روح قال: قالتْ لُبابة المتعبِّدة:

ما زلتُ مجتهدةً في العبادة حتىٰ صِرتُ أستروح بها، وإذا تعبتُ من لقاء الخَلْق؛ آنسني بذكره، وإذا أعياني الخَلْق؛ روَّحني التفرُّغُ لعبادة الله عزَّ وجلَّ والقيامُ إلىٰ خدمته.

وقال لها رجل:

هو ذا أُريد الحجَّ فماذا أدعوا بالموسم؟

فقالت: سل اللَّهَ تعالىٰ شيئين:

ــ أن يرضىٰ عنك، ويبلِّغكَ منزل الرّاضين عنه.

ــ وأن يجعل ذكركَ فيما بين أوليائه.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٥١]

* نصيحة في أدب مجالسة الله

قال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم:

دخلتُ مكَّة، وكنتُ ربَّما أقعد بحذاء الكعبة، وربَّما كنتُ أستلقي وأمدُّ رجلي، فجاءتني عائشة المكِّيَّة، وكانت من العابدات ممَّن صحب الفُضَيل، فقالت لي:

يُقال: إنَّك عالم، لا تجالسْهُ إلاَّ بأدب، فيمحو اسمك من ديوان القُرْب.

[أحسن المحاسن ٢٠٧]

* من أحوال أهل العناية الإلٰهيّة

قال أبو سعد أحمد الماليني:

دخلتُ علىٰ تحيَّة النُّوبيَّة زائراً، فسمعتها من داخل البيت، وهي تُناجي وتقول في مناجاتها:

يا من يحبُّني وأُحبُّه.

فدخلت إليها وسلَّمتُ عليها وقلتُ:

يا تحيَّة، هَبِـي أنَّك تحبِّين الله تعالىٰ فمن أين تعلمين أنَّه يُحِبُّك؟

فقالتْ: نَعَمْ، إنِّي كنتُ في بلدِ النَّوْبة، وأبوايَ كانا نصرانيَّيْن، وكانت أُمِّي تحملني إلىٰ الكنيسة، وتجي بي عند الصليب، وتقول: قبِّلي الصليب.

فإذا هممتُ بذلك، أرىٰ كفّاً تخرج فتردُّ وجهي حتّىٰ لا أُقبِّله، فعلمتُ أن عنايته بـي قديمة.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٣٢]

* أين بيت ربّـي

قال عبد العزيز بن أبـي روّاد:

دخل قوم حُجَّاج ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربِّـي؟

فيقولون: الساعة تَرَيْنَه.

فلمَّا رأوه قالوا: هذا بيت ربِّك، أما تَرَيْنَه؟

فخرجتْ تشتدّ وتقول: بيتُ ربِّـي بيت ربِّـي.

حتّىٰ وضعت جبهتها علىٰ البيت، فوالله ما رُفِعت إلاَّ ميّتةً[1].

[صفة الصفوة ٤/ ٤١٥]

❑ ❑ ❑

(١) حدَّثني من أثق به: أنَّه رأىٰ في بيت الله الحرام امرأةً كانت قد دخلت من أحد أبوابه، فنظرتْ إلى البيت مذهولةً، ثمّ اندفعت صوب الكعبة مخترقةً صفوف الطائفين حتىٰ وصلت إلى جدار الكعبة فالتصقت به لحظة، ثمّ سقطت ميّتة.

من خوفهن من الله تعالى

* خوف عائشة أُمّ المؤمنين من عذاب السَّمُوم

عن أبـي الضُّحىٰ قال:

حدَّثني من سمع عائشة ــ رضي الله عنها ــ تقرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ ﴾[1].

فتقول: ربّ مُنَّ عليَّ وقِني عذاب السَّموم. [الزهد ١٦٤]

* خوف عائشة أُمّ المؤمنين من الحساب

قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ:

وددتُ أنِّي كنت نَسْياً منسيّاً.

وقالتْ:

وددتُ أنـي شجرة أُعْضَد[2]، ووددتُ أنِّي لم أُخْلَق.

وقالتْ، عندما مرَّت بشجرة:

يا ليتني كنتُ ورقةً من ورق هذه الشجرة. [الزهد ١٦٤ ــ ١٦٥]

---

(١) سورة الطور: الآية ٢٧.

(٢) أُعْضَد: أُقطع.

* بكاء الخائفة الراجية

قيل للحسن:

يا أبا سعيد، إنَّ هٰهنا امرأةً يُقال لها: (بَرْدة) قد فسدت عيناها من البكاء.

فدخل عليها، فقال لها:

يا بَرْدة، إنَّ لبدنك عليك حقّاً، وإنَّ لبصرِك عليك حقّاً.

قالتْ: يا أبا سعيد، إنْ أكنْ من أهل الجنَّة، فسيُبدلني الله بَصَراً خيراً من بصري، وإن أكُنْ من أهل النار فأبعد الله بَصَري.

[صفة الصفوة ٤/٣٦]

* رابعة تخشىٰ عدم القَبُول

قيل لرابعة:

هل عملتِ عملاً تَرَيْن أنّه يُقبَل منك؟

قالت: إنْ كان فمخافتي أن يُردَّ عليَّ.

[صفة الصفوة ٤/٢٩]

* خوف رابعة من قلَّة الصِّدق

قال العباس بن الوليد:

قالتْ رابعة:

أستغفر الله من قِلَّة صدقي في قولي: (أستغفر الله).

[صفة الصفوة ٤/٢٨]

* رابعة تذرف دموع الخوف مثل الوَكْف

قال عبد الله بن عيسىٰ:

دخلتُ على رابعة العدويَّة بيتَها، فرأيتُ علىٰ وجهها النور، وكانت كثيرة البكاءِ، فقرأ رجلٌ آية من القرآن فيها ذِكْر النَّارِ، فصاحت ثمَّ سقطت.

قال:

ودخلتُ عليها، وهي جالسة علىٰ قطعة بُوري[1] خَلَق، فتكلَّم رجل عندها بشيءٍ، فجعلتُ أسمع وَقْع دموعها علىٰ البُوري مثل الوَكْف[2]، ثمَّ اضطربتْ، وصاحت، فقُمنا وخرجنا.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٧]

* امرأة تبكي أربعين عاماً

قال محمد بن الحُسين:

حدَّثني صاحبٌ لي من البصريين قال: بكت مُطيعة أربعين عاماً، فعُوتبَتْ على كثرة البكاءِ فقالتْ:

لا أزال أبكي حتىٰ أعلم علىٰ أيِّ الحالين أنا عند الله؟

[صفة الصفوة ٤/ ٤١]

* بكاء بحريَّة من الخوف وندمها على ما فات

قال رياح بن أبي الجرّاح:

رأيت بَحْرِيَّة تبكي وتقول:

---

(١) البُوري: الحصير.

(٢) الوَكْف: المَطَر.

تركتك وأنا رُطَبة، وأتيتُكَ وأنا حَشَفة[1]، فاقبل الحشفة على ما كان منها.

وكان بها مسحة من جمال، وكان الجوع قد أضرَّ بها، ومكثت أربعين يوماً لم تأكل فيها شيئاً إلاَّ شيئاً من حِمَّص، وكانتْ مجتهدةً، وكان لها مجلس تذكر فيه، وكانت إذا تكلَّمت اضطربتْ واقشعرَّتْ.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩]

* بكاء أُميّة الموصلية خوفاً من النار

قال أبو وليد رياح بن أبـي الجرَّاح العبديُّ:

ما رأيتُ قطُّ مثل أُميّة بنت أبـي المورِّع المَوْصليّة، وكانت من الخائفين، وكانت إذا ذكرت النار قالت:

أُدْخِلوا النارَ، وأكلوا من النار، وشربوا من النار، وعاشوا.

ثمَّ تبكي. وكان بكاؤها أطول من ذلك، وكانتْ وكأنَّها حبَّة على مِقْلىٰ، وكانتْ إذا ذكرت النار؛ بكتْ وأبكت دماً، وما رأيت أحداً أشدَّ خوفاً ولا أكثر بكاءً منها.

[صفة الصفوة ٤/ ١٩١]

* امرأة منعها ذكر الموت من النوم

قالت آمنة بنتُ يَعْلَىٰ لعَجْرَدة العمية:

لو نمتِ من اللَّيل شيئاً. فبكتْ، وقالتْ:

ذِكْر الموت لا يدعني أنام.

[صفة الصفوة ٤/ ٣١]

---

(١) تعني أنَّها تركت عبادة الله والإقبال عليه وهي شابّة، ثم أقبلت عليه وانصرفت لعبادته وهي عجوز.

* امرأة تبكي من خوف يوم القدوم علىٰ الله

قال يحيىٰ بن راشد:

كنا عند عُفَيْرة العابدة، فقدم ابن أخٍ لها كانت طالتْ غَيْبته، فبُشِّرتْ به. فبكت، فقيل لها:

ما هذا البكاءُ؟ اليوم يوم فرحٍ وسرور.

فازدادت بكاءً ثمَّ قالتْ:

والله ما أجد للسرور في قلبي مسكناً مع ذكر الآخرة، ولقد أذكَرني قدومُه يومَ القدوم علىٰ الله، فمن بين مسرورٍ ومثبورٍ.

ثمَّ غُشِيَ عليها. [صفة الصفوة ٤/ ٣٤]

* امرأة بكت خوفاً من الله حتىٰ ذهب بصرها

قال شعيب بن محرّر:

حدثتني سلاَّمة العابدة قالت:

بكتْ عُبَيْدة بنت أبي كلاب أربعين سنة حتىٰ ذهب بصرُها.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٤]

* خوف امرأة من أهل الكوفة

عن سفيان أنَّه ذكر يوماً امرأةً من أهل الكُوفة كانت تتعبَّد، فذكر عنها فضلاً، فقلتُ:

أيُّ شيءٍ تحفظ من كلامها؟

قال: قالوا إنّها كانت تقول:

لو نادى منادٍ من السماء ليَمُتْ أعظم الناس جُرْماً لرأيتُ أنَّ نفسي أوَّل ذائقةٍ للموتِ.

وكانتْ تقول: طول الأمل بطَّأ بـي عن سبيل النجاة.

[صفة الصفوة ٢/ ١٩٣ ــ ١٩٤]

* امرأة قوَّامة صوّامة بكَّاءة

قال أبو بكر بن عُبَيْد: حدَّثني محمد بن الحُسَيْن قال: أخبرنا شهاب بن عبَّاد قال: أخبرنا سويد بن عمرو الكلبـيُّ قال:

كانت امرأة عابدة في غنىً، فكانت لا تنام من اللّيل إلاَّ يسيراً، فعُوتِبتْ في ذلك فقالتْ:

كفىٰ بالموت وطول الرَّقْدةِ في القبور للمؤمنين رُقاداً.

قال أبو بكر: وزادني في هذا الحديث عن محمد بن الحُسَيْن بإسناده هذا:

وكانت تصوم في شدَّة الحرِّ حتى يسودَّ لونها ويتغيَّر وجهها، فيُقال لها في ذلك فتقول:

إنَّما أدور علىٰ طول الريِّ والشِّبَع في الآخرة.

وكانتْ قد بكتْ حتىٰ اسودَّ مجاري دموعها من وجهها، فكان يأتيها محمد بن النَّضْر وأصحابه، فيحادثها ساعةً ثمَّ تقول:

قوموا فالحديث هناك يطيب في دارٍ لا همَّ فيها ولا موت ولا تَعَب.

[صفة الصفوة ٣/ ١٩٤ ــ ١٩٥]

* الخائفة من العذاب والقائمة للوهَّاب

قال أبو القاسم بن سعيد: سمعتُ صالحاً المرِّيَّ يقول:

رأيتُ ريحانة المجنونة، فسلَّمت عليها فقالت لي: يا صالح اسمع:

بـوجهك لا تعـذِّبْني فـإنِّـي ... أُؤمِّـل أن أفـوز بخيـر دارْ

وأنـتَ مجـاوِرُ الأبـرارِ فيهـا ... ولـولا أنـتَ مـا طـاب المَـزارْ

وقال الرَّبيع: بتُّ أنا ومحمد بن المنكَدِر وثابت البُنانيّ عند ريحانة المجنونة بالأُبُلَّة[1]، فقامت أوَّل اللَّيْل وهي تقول:

قـام المحـبُّ إلى المؤمَّل قَوْمـةً ... كـاد الفـؤادُ مـن السـرور يطيـرُ

فلمّا كان جوف اللَّيل سمعتها تقول أيضاً:

لا تـأنَسَـنَّ بمَـنْ تُـوحِشْـك نظرتُـه ... فتُمنعَـنَّ مِـن التـذكـار فـي الظُّلَـمِ

واجهدْ وكِدَّ وكُنْ في الليل ذا شجَنٍ ... يسقيـك كـأسَ ودادِ العـزِّ والكَـرمِ

قال: ثمَّ نادت: واحرباه، و اسلباه.

فقلتُ: مم ذا؟

فقالتْ:

ذهـبَ الظَّـلام بـأُنْسِـهِ وبـأُلْفِـهِ ... ليـت الظـلامَ بـأُنْسِـهِ يتجـدَّدُ

[صفة الصفوة ٤/ ٥٧]

❑ ❑ ❑

---

(١) الأُبُلَّة: بلدة قُرب البَصْرة.

مِن دُعَائِهِنَّ

* دعاء العون والإسعاف

عن عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ أنَّ رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله وسلَّم ــ أَخْدَم فاطمةَ ابنتَه جاريةً اسمها فضَّة النوبيَّة، وكانت تُشاطرها الخدمة، فعلَّمها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ــ دعاءً تدعو به، فقالت لها فاطمةُ ــ رضي الله تعالىٰ عنها ــ :

أتعجنين أو تخبزين؟

فقالتْ: بل أعجن يا سيِّدتي، وأحتطب.

فذهبتْ واحتطبتْ وبيدها حزمة، وأرادتْ حملها، فعجزَتْ، فدعتْ بالدعاء الذي علّمها رسول الله ﷺ وهو:

«يا واحد ليس كمثله أحد، تميتُ كُلَّ أحد، وتُفني كلَّ أحد، وأنتَ علىٰ عرشك واحد لا تأخذه سِنة ولا نوم».

فجاء أعرابـيٌّ كأنَّه من أَزْد شنوءة، فحمل الحزمة إلىٰ باب فاطمة ــ رضي الله تعالىٰ عنها ــ .

[الإصابة ٤/ ٣٨٧]

* دعـاء الاستوهـاب

كانت رابعة العَدَويَّة تقول:

اللَّهمَّ قد وهبتُ لكَ من ظلمني، فاستوهِبْني ممَّن ظلمتُه.

[وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٦]

* دعـاء الاسترفـاق

قال عُبَيْد الله بن محمد القُرشيُّ:

كانت امرأة من عُبّاد أهل البَصْرة، وكان لها أولاد، فأصابها مطر في بعض اللَّيل، فوَكَف عليها البيتُ، فجعلت تنقل أولادها من موضع إلىٰ موضع، فلا يزداد الوَكْفُ إلاَّ شدَّةً، فلمَّا أذلَقها ذلكَ قالت: يا رفيق، ارفُقْ بـي.

قال: فما أصابها من ذلك المطر قَطْرة واحدة.

[صفة الصفوة ٤/ ٥١]

* دعاء الأمل والاستخلاف

عن البرقيِّ قال:

رأيتُ امرأة بالبادية، وقد جاء البَرَدُ، فذهب بزرعٍ كان لها، فجاء الناس يُعزُّونها، فرفعت طَرْفها إلىٰ السماء، وقالت:

اللَّهمَّ أنت المأمول لأحسن الخَلَف، وبيدك التعويض عمَّا تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإنَّ أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك.

قال: فلم أَبْرح، حتىٰ جاء رجل من الأجلاَّء، فحُدِّث بما كان، فوهب لها خمسمائة دينارٍ.

[الفرج بعد الشدَّة ١/ ١٨١]

* دعاء الاستنجاد والاستهداء

قال الأصمعيُّ:

خرجَتْ أعرابيَّة إلىٰ منىٰ، فقُطع بها الطريق، فقالتْ:

يا ربِّ، أخذتَ وأعطيتَ، وأنعمت وسلبتَ، وكلُّ ذلك منك عَدْلٌ وفَضْلٌ.

والذي عظَّم علىٰ الخلائق أمرَك لا بسطتُ لساني بمسألةِ أحدٍ غيرك، ولا بذلتُ رغبتي إلاَّ إليكَ.

يا قُرَّة أَعيُنِ السائلين، أغنني بجُود منك أَتَبَحْبَح في فراديس نعمته، وأتقلَّب في راووق نَضْرته.

احملني من الرُّجْلة[1]، وأَغْنِني من العَيْلة، وأسدل عليَّ سترك الذي لا تَخرِقه الرِّماح، ولا تُزيله الرِّياح، إنَّك سميع الدُّعاء.

[العقد الفريد ٣/ ٤٢٢]

* دعاء أُمّ لابنها

قال الأصمعيُّ:

ودَعَتْ أعرابيَّة لابن لها وجَّهتْهُ إلىٰ حاجة، فقالتْ:

كان الله صاحبَك في أمرك، وخليفتك في أهلك، ووليَّ نُجْح طِلبتِك، امضِ مُصاحَباً مَكْلُوءاً[2]، لا أشمت الله بك عدوّاً، ولا أرىٰ مُحِبِّيك فيك سُوءاً.

[العقد الفريد ٣/ ٤٢٥]

---

(١) الرُّجْلة: المشي راجلاً.

(٢) المكلوء: المحفوظ. تقول كلأ الله فلاناً أي: حفظه ورعاه وحرسه.

* **المضطرّ أولىٰ بالدعاء لنفسه**

قال رجل لرابعة العدويَّة: ادعي.

فالتصقتْ بالحائط وقالت: من أنا يرحمك الله؟

أطع ربَّك وادعُه، فإنَّه يُجيب المضطرِّين.

[صفة الصفوة ٤/٢٨]

❑ ❑ ❑

من مراقبتهن لله تعالى

*** الفتاة المراقبة لله**

ذُكِر أنَّ عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ نهىٰ في خلافته عن مذق اللَّبَن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بامرأة تقول لابنةٍ لها:

ألا تمذُقين لبنك فقد أصبحتِ؟

فقالت الجارية: كيف أمذُق وقد نهىٰ أمير المؤمنين عن المَذْقِ؟

فقالتْ: قد مذق النَّاس فامذُقي، فما يدري أمير المؤمنين.

فقالتْ: إن كان عمر لا يعلم، فإلٰه عمر يعلم، ما كنتُ لأفعله وقد نهى عنه.

فوقعت مقالتها من عمر، فلمَّا أصبح دعا عاصماً ابنه، فقال:

يا بُنيّ، اذهب إلى موضع كذا وكذا، فاسأل عن الجارية ـ ووصفها له ـ.

فذهب عاصم، فإذا هي جارية من بني هِلال، فقال له عمر:

اذهب يا بُنيَّ، فتزوَّجْها، فما أحراها أن تأتي بفارسٍ يسود العرب. فتزوَّجَها عاصم بن عمر، فولدت له أُمَّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن

الخطَّاب، فتزوَّجها عبد العزيز بن مروان بن الحَكَم، فأتت بعمر بن عبد العزيز. [سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٢٢ ـ ٢٣]

* **الزوجة التي تخشى الله**

عن ابن جُرَيج، قال:

أخبرني من أُصدِّقه، أنَّ عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ بينما هو يطوف سمع امرأة تقول:

تطاول هذا اللَّيْل واسودَّ جانبُهْ ... وأرَّقني أن لا خليلَ أُلاعِبُهْ

فواللَّهِ لولا اللَّهُ تُخْشىٰ عواقبُهْ ... لزحزح من هذا السرير جوانِبُهْ

فقال عمر: ما لكِ؟

قالتْ: أغزيتَ زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه.

قال: أردتِ سوءاً؟

قالت: معاذ الله.

قال: فامْلكي عليكِ نفسَكِ، فإنَّما هو البريدُ إليه.

فبعث إليه، ثمَّ دخل على حفصة ـ رضي الله تعالى عنها ـ فقال: إنِّي سائلكِ عن أمرٍ قد أهمَّني، فافرُجيه عنِّي، كم تشتاق المرأةُ إلى زوجها؟

فخفضت رأسها، واستحيتْ.

قال: فإنَّ الله لا يَسْتَحيي من الحقِّ.

فأشارت بيدها: ثلاثة أشهر، وإلاَّ فأربعة أشهرٍ.

فكتب عمرُ أَنْ لا تُحبَس الجيوش فوق أربعة أشهرٍ.

[تاريخ الخلفاء للإمام السيوطيّ ١٤١ ـ ١٤٢، حياة الصحابة ١/ ٤٧٥]

* من راقب الله وقاه ما يكره

قال الأصمعيُّ: قال أعرابـيٌّ:

خرجت في ليلة ظلماء، فإذا أنا بجارية كأنَّها عَلَم. فأردتُها، فقالتْ: ويلكَ أما لكَ زاجرٌ من عَقْلٍ إذا لم يكن لك ناهٍ من دينٍ؟

فقلتُ: إيهاً واللَّهِ ما يرانا إلاَّ الكواكب.

فقالتْ: وأينَ مُكَوْكِبُها.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩٥]

❑ ❑ ❑

من ثقتهن بالله تعالى وحسن صلتهن به

* المرأة الواثقة بالله

قالتْ مريم البصريَّة:

ما اهتممتُ بالرِّزق، ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾[1].

[صفة الصفوة ٤/ ٣٣]

* المتوكلة علىٰ الله

قال الأصمعيُّ رأيت أعرابيّة ذات جمال رائع تسأل بمِنىً.

فقلتُ: يا أمةَ الله، تسألينَ ولك هذا الجمالُ.

قالتْ: قدَّر الله فما أصنع؟

قلتُ: فمن أين معاشُكم؟

قالتْ: هذا الحاجّ نتقمَّمهم، ونغسل ثيابهم.

فقلت: فإذا ذهب الحاجُ فمِنْ أين؟

(١) سورة الذاريات: الآية ٢٢.

فنظرتْ إليّ، وقالتْ، يا صُلْب الجبين! لو كُنَّا إنَّما نعيش من حيث نَعْلَمُ لما عِشْنا. [عيون الأخبار ١/ ٢٤٥]

* المرأة المتوكِّلة علىٰ الله

قال أبو بلال الأسود:

خرجت حاجّاً، فلمَّا صرت في بعض الطريق إذا أنا بامرأة ليس معها زاد ولا إداوة.

فقلت لها: من أين أنتِ؟

قالتْ: من بَلْخ.

فقلت لها: ما أرىٰ معك زاداً ولا ما تحملين فيه الزاد.

فقالتْ لي: خرج معي من بَلْخ عشرة دراهم، وقد بقي بعضها.

فقلتُ لها: إذا نفِدَتْ ما تصنعين؟

فقالتْ: عليَّ هذه الجُبَّة أبيعها وآخذ دونها، وأُنفِق ما بين ذلك.

قلتُ: إذا فَنِيَ ما تصنعين؟

قالتْ: أبيع هذا الخمار، وآخُذ دونه وأُنفِق ما بين ذلك.

قلتُ: فإذا فَنِيَ ما تصنعين؟

قالت: يا بطَّال، أسأله فيُعطيني.

قلتُ: ألا سألته قبلَ ذلك؟

قالتْ: ويحكَ، إنِّي أستحيي أن أسأله شيئاً من الدنيا ومعي فضل من عَرَضِها.

[صفة الصفوة ٤/ ١٦٧]

* الراضية عن الله

قال ابن قتيبة:

وحدَّثني أيضاً ـ يعني عبد الرحمن العبديّ ـ عن أعرابيّة كان يُقَال لها أُمّ غسَّان مكفوفة، وكانت تعيش بمِغْزَلها وتقول:

الحمد لله علىٰ ما قضىٰ وارتضىٰ، رضيتُ من الله ما رضِيَ لي، وأستعين الله علىٰ بيتٍ ضيِّق الفناء قليل الكِواء، وأستعين الله علىٰ ما يُطالَع من نواحيه.

وماتت جارة لها فقيل لها: ما فعلت جارتُكِ؟

فقالتْ:

تقسَّم جاراتُها بيتَها ... وصارتْ إلى بيتها الأتلدِ

وقالتْ يوماً: إنْ تَقبَّل اللَّهُ منِّي صلاةً لم يعذِّبني.

فقيل لها: كيف ذلك؟

قالت: لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يثنِّي في رحمته وحِلْمه.

قال: وكنتُ سمعتُ حديث معاذ: «من كُتِبت له حسنة دخل الجنَّة»، ولم أدر ما تفسيرُه حتّىٰ سمعتُ أُمَّ غسَّان تقول هذا، فعرفتُ تأويلَه.

[عيون الأخبار ٢/ ٣١٩]

❑ ❑ ❑

من عبادتهنّ

* عائشة أُمّ المؤمنين مع عبادة الصوم

عن عروة عن أبيه: أنَّ عائشة ــ رضي الله تعالىٰ عنها ــ كانت تسرِد الصوم.

وعن القاسم: أنَّ عائشة كانت تصوم الدَّهْر ولا تفطر إلاَّ يوم أضحىٰ أو يوم فِطْر.

[صفة الصفوة ٢/ ٣١]

* عائشة أُمّ المؤمنين مع الصلاة

عن القاسم قال:

كنت إذا غدوتُ أبدأ ببيت عائشة أُسلِّم عليها. فغدوتُ يوماً فإذا هي قائمة تُسبِّح وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

وتدعو، وتبكي، وتردِّدها. فقمتُ حتىً مللتُ القيام، فذهبتُ إلىٰ السوق لحاجتي، ثمّ رجعتُ فإذا هي قائمة كما هي، تصلِّي وتبكي.

[صفة الصفوة ٢/ ٣١]

* أمُّ الدرداء في ظلّ قيام اللَّيل

قال يونس بن مَيْسَرة بن حَلْبَس:

كُنَّا نحضر أُمَّ الدرداء، وتحضرها نساء متعبِّدات يَقُمن اللَّيلَ كلَّه حتَّىٰ إنَّ أقدامهنَّ قد انتفخت من طولِ القيام.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٩٦]

* أُمّ ورقة إمامة النِّساء

عن أُمِّ ورقة بنت عبد الله الأنصاريَّة. كانت قد جمعت القرآن وكان النبـيُّ ﷺ قد أمرها أن تؤمَّ أهل دارها، وكان لها مؤذِّن، وكانت تؤُمُّ أهل دارها. [أخرجه أبو داود في سننه]

* عابدة في النهار واللّيل

عن إبراهيم بن مسلم القرشيّ قال:

كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمةً، فإذا جنَّها الليل تنادي بصوت حزين:

هدأ الليل، واختلط الظلام، وأوىٰ كلّ حبيب إلى حبيبه، وخَلْوتي بك أيُّها المحبوب أن تعتقني من النار. [صفة الصفوة ٢/ ٢٠٢]

* القوامة ثلث اللَّيل

كانت أُمّ عليٍّ والحسن ابني صالح بن حيٍّ تقوم ثلث اللَّيْل. وكانت تبكي باللَّيل والنّهار. فرؤي الحسن بن صالح بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعلت الوالدة؟

قال: بُدِّلت بطول ذلك البكاء سرور الأَبَد.

[صفة الصفوة ٢/ ١٨٩]

* جارية تعشق قيام اللَّيل

وذكروا أنَّ للحسن بن صالح جارية، فباعها من قوم، فلمَّا كان في جوف اللَّيل قامت الجارية، فقالت: يا أهلَ الدار، الصلاةَ الصلاةَ.

فقالوا: أأصبحنا، أطلع الفَجْرُ؟

فقالتْ: وماتُصَلُّون إلاَّ المكتوبة؟

قالوا: نَعَمْ.

فرجعت إلى الحسن، فقالتْ: يا مولاي، بعتني من قومٍ لا يُصلُّون إلاَّ المكتوبةَ رُدَّني.

فردَّها.

[البصائر في تذكير العشائر ٢٣٤]

* حكيمـة العابـدة

عن سلمة بن خالد المخزوميّ قال ــ وكان من خيار بني مخزوم ــ :

كان ها هنا امرأة من بني مخزوم مجاورة، وكان يُقال لها حكيمة، وكانت إذا نظرتْ إلى باب الكعبة قد فُتح صرخت كما تصرخ الثكلىٰ، فلا تزال تصرخ حتىٰ يُغمىٰ عليها، وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلاَّ للأمر الذي لا بُدَّ منه.

قال: ففتحت الكعبة يوماً، وهي في بعض حاجتها فلمّا جاءت قالت لها امرأة كانت تُجالسها:

حكيمةُ، فُتح اليوم بيت ربِّك، فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقد قرَّت عينُكِ.

قال: فصرخت حكيمة صرخةً، ثمَّ لم تزل تضطرب حتىٰ ماتتْ، رحمها الله تعالىٰ.

[صفة الصفوة ٢/ ٢٧٤]

* امرأة تصلِّي في كل يوم وليلة ستمائة ركعة

كانت معاذة العدويَّة إذا جاء النّهار قالت:

هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتىٰ تُمسِي.

وإذا جاءَ الليل قالت:

هذه ليلتي التي أموتُ فيها. فلا تنام حتىٰ تُصبح.

وإذا جاء البرد؛ لبست الرِّقاق حتىٰ يمنعها البرد من النوم.

وكانت تحيـي اللَّيْل صلاةً، فإذا غلبها النوم؛ قامتْ فجالتْ في الدار، وهي تقول:

يا نَفْسي، النومُ أمامكِ لو قدمتِ لطالت رقدتُكِ في القبر علىٰ حَسْرةٍ أو سرور.

قالت: فهي كذلك حتىٰ تُصبِح.

وكانت تُصلِّي في كلِّ يوم وليلةٍ ستمائة ركعةٍ وتقرأ جُزءَها من الليل تقوم به.

وكانت تقول: عجبتُ لعَيْن تنام وقد عرفت طول الرُّقادِ في ظُلَم القُبور.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٢]

* امرأة يُبكيها ذكر مفارقة الصوم والصلاة والذكر

لمَّا حضر معاذةَ العدويَّةَ الموتُ؛ بكت ثمَّ ضحكتْ.

فقيل لها: ممَّ بكيت ثمَّ ضحكت؟ فممَّ البكاء وممّ الضحك؟

قالتُ: أمّا البكاءُ الذي رأيتُم، فإنِّي ذكرتُ مفارقة الصيام والصلاة والذكر، فكان البكاءُ لذلك.

وأمّا الذي رأيتم من تَبسُّمي وضحكي، فإنِّي نظرتُ إلى أبـي الصهباء ـ وكان زوجها، وقد مات قبلها ـ قد أقبل في صحن الدار وعليه حُلَّتان خضراوان، وهو في نَفَرٍ، واللَّهِ ما رأيت لهم في الدنيا شَبَهاً، فضحكتُ إليه ولا أُراني أدرك بعد ذلك فَرْضاً.

قال: فماتتْ قبل أن يدخل وقتُ الصلاةِ.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٣ ـ ٢٤]

* لا تخرج من مسجدها إلاَّ للوضوء والنوم

كانت حفصة بنت سيرين تدخل في مسجدها فتُصلِّي فيه الظُّهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثمّ لا تزال فيه حتىٰ يرتفع النّهار، وتركع ثمَّ تخرج، فيكون عند ذلك وُضوءُها ونومها، حتّىٰ إذا حضرت الصلاةُ عادت إلىٰ مسجدها إلىٰ مثلها.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٤]

* قال مهدي بن ميمون

مكثتْ حفصةُ في مصلاّها ثلاثين سنةً لا تخرج إلاَّ لحاجةٍ أو لقائلةٍ.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٥]

* امرأة تقرأ نصف القرآن كلّ ليلة

قال عبد الكريم بن معاوية:

ذُكِر لي عن حفصة أنَّها كانتْ تقرأ نصف القرآن في كُلِّ ليلةٍ، وكانت تصوم الدهر وتُفْطِر العيدَيْن وأيَّام التشريق.

[صفة الصفوة ٤/٢٦]

* لا تخرج من مصلّاها إلاّ للحاجة

قال مهدي بن ميمون:

مكثتْ كريمة بنتُ سيرين أخت حفصة بنت سيرين خمسَ عشرة سنة ما تخرج من مُصلّاها إلاّ لقضاء الحاجة.

[صفة الصفوة ٤/٢٦]

* العابدة البكّاءة

قال سجف بن منظور:

دخلتُ علىٰ رابعة وهي ساجدة، فلمَّا أحسَّتْ بمكاني رفعتْ رأسها، فإذا موضعُ سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها.

فسلَّمت، فأقبلت عليَّ وقالتْ:

يا بُنيّ، ألك حاجةٌ؟

فقلتُ: جئتُ لأُسلِّم عليك.

قال: فبكتْ، وقالتْ: سترك اللَّهمَّ سَتْرك، ودعت بدعوات، ثمَّ قامت إلى الصلاة، وانصرفتُ.

[صفة الصفوة ٤/٢٨]

* رابعة العدويّة في ظلّ قيام اللَّيل

قالتْ عبدة بنت أبي شوال، وكانت تخدم رابعة:

كانت رابعة العدويَّة تصلِّي اللَّيل كلَّه، فإذا طلع الفجر هجعتْ في مصلَّاها هجعةً خفيفةً حتى يُسْفِر الفجر، فكنت أسمعها تقول، إذا وثَبَتْ من مرقدها ذلك، وهي فزِعة:

يا نفس كم تنامين؟ وإلىٰ كم تقومين؟ يوشِك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلاَّ لصَرْخة يوم النُّشور. [صفة الصفوة ٤/ ٣٠]

* امرأة تقوم الليل إلىٰ السحر ثم تناجي

قال رجاء بن مسلم العبديُّ:

كُنَّا نكون عند عَجْرَدة العميّة في الدار.

قال: فكانتْ تحيـي اللَّيل صلاةً، وربَّما قال: تقوم من أوَّل اللَّيل إلى السَّحَر، فإذا كان السَّحَر؛ نادتْ بصوتٍ لها محزون: إليك قطع العابدون دُجىٰ اللَّيالي[1] بتبكير الدّلج[2] إلى ظُلَم الأسحار، يستبقون إلىٰ رحمتك وفَضْل مغفِرتك. فبك إلٰهي لا بغَيْرك، أسألك أن تجعلني في أوَّل زُمْرةِ السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقرَّبين، وأن تُلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء وأرحم الرُّحماء، وأعظم العظماء، يا كريم.

ثمَّ تخرُّ ساجدة، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر.

فكان ذلك دأبَها ثلاثين سنة. [صفة الصفوة ٤/ ٣٠]

---

(١) دجىٰ الليالي: ظُلمة الليالي.

(٢) الدّلج: السير في الليل.

* اللاحقة بقوافل الصالحين

قال الحُسَيْن بن عبد الرَّحمن:

حدَّثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبـي محمد، وانتبهت ليلةً وهو نائم، فأنبهتْه في السحرة وقالت له:

قم يا رجل، فقد ذهب الليل وجاءَ النّهار، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارتْ قُدّامنا ونحن قد بقِينا.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٥]

* أُمّ طلق العابدة

قال محمد بن سنان الباهليُّ:

سمعتُ شُعبة بن دخان يذكر أنَّ أُمَّ طَلْق كانتْ تُصلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ أربعمائة ركعة، وتقرأ من القرآن ما شاء الله.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٧]

* الصابرة علىٰ طول القيام

قال أبو خَلْدة

ما رأيتُ رجلاً قطُّ ولا امرأةً أقوىٰ ولا أصبر علىٰ طول القيام من أُمِّ حيّان السلميّة، إن كانت لتقوم في مسجد الحيِّ كأنَّها نَخْلة تصفقها الرِّياح يميناً وشمالاً.

وكانت تقرأ القرآن في كلِّ يوم وليلةٍ.

وكانت لا تتكلَّم إلاَّ بعد العصر، فإنَّها تأمر بالحاجة والشيء تريده.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٨]

* عابدة تحذَر من التقصير

قال أحمد بن سهل الأَزْديُّ:

دخل علىٰ زَجْلة العابدة نفرٌ من القُرّاء فكلَّموها في الرِّفْق بنفسها فقالتْ:

مالي وللرِّفق بها؟ فإنَّما هي أيَّام مُبَادرة، فمن فاته اليومَ شيءٌ لم يدركه غداً.

والله يا إخوتاه لأُصلِّينَّ ما أقلَّتْني جوارحي، و لأصومنَّ له أيَّام حياتي، ولأبكيَنَّ له ما حملتِ الماءَ عيناي.

ثمَّ قالت: أيُّكم يأمر عبده بأمر فيحبُّ أن يُقَصِّرَ فيه؟

[صفة الصفوة ٤/ ٤٠]

* من أحوال زجلة العابدة

قال عبَّاد بن عبّاد أبو عتبة الخوّاص:

دخلنا علىٰ زَجْلة العابدة، وكانتْ قد صامتْ حتى اسودَّت، وبكتْ حتى عمشت، وصلَّت حتى أُقعِدتْ، وكانت صلاتها قاعدة. فسلَّمنا عليها ثمَّ ذكَّرناها شيئاً من العفو، أردنا أن نهوِّن عليها الأمر هناك، فشهقت ثمَّ قالتْ:

عِلْمي بنَفْسي قرَّح فؤادي، وكلَم قلبـي. والله لوددتُّ أنَّ الله لم يخلقني، ولم أكُ شيئاً مذكوراً.

ثمَّ أقبلتْ علىٰ صلاتها. وتركناها، فخرجنا من عندها.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٠]

* **القائمتـان بالمِئيـن**

قال أبو الوليد العبديّ:

ربَّما رأيت غُضنة وعالية تقوم إحداهما من اللَّيل فتقرأ البقرة وآل عمران والنِّساء والمائدة والأنعام والأعراف في ركعة.

[صفة الصفوة ٤/ ٤١]

* **هذا الجهد وعليك التُّـكْلان**

كانتْ امرأةٌ بالبصرة يُقال لها غنضكة العابدة، تُصلِّي عامَّة اللَّيْل ثُمَّ تقول:

أعوذ بالله من ملائكةٍ غلاظٍ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

فإذا قضت صلاتَها قالتْ: هذا الجهد منِّي وعليك التُّـكْلان[١].

[صفة الصفوة ٤/ ٤٣]

* **من عجائب العابدات**

قال سيّار: حدَّثني رباحٌ القيسيُّ قال:

ذُكرت لي امرأة فتزوَّجتُها، فكانت إذا صلَّت العشاء الآخرة تطَيَّبتْ، وتدخَّنتْ، ولبستْ ثيابها، ثمَّ تأتيني فتقول: ألك حاجةٌ؟

فإن قلتُ: نَعَمْ، كانتْ معي، وإن قلتُ: لا، قامتْ فنزعت ثيابها ثمَّ صفَّت بين قدميها حتى تصبح.

قال رباح: ففحَّتْني والله.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٤]

(١) التُّـكْلان: مصدر علىٰ وزن فُعْلان كسُبحان ومعناه: التوكُّل، وهو: الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ في الأمر مع الأخذ بالأسباب.

* عابدة تعصب ساقيها من طول القيام

قال عويد بن أبـي عمران الجوني:

كانت أُمّي تقوم من اللَّيل تصلِّي حتى تَعْصِب ساقيها بالخِرَق، فيقول لها أبو عمران الجونيّ: دون هذا يا هذه!

فتقول: هذا عند طول القيام في الموقف قليل، فيسكت عنها.

[صفة الصفوة ٤/٤٣]

* امرأة رباح القَيْسيِّ في قيام اللَّيل

تزوَّج رباح القيسيُّ امرأة، فبنىٰ بها. فلمَّا أصبح قامتْ إلىٰ عجينها.

فقال: لو نظرتِ إلىٰ امرأةٍ تكفيكِ هذا.

فقالتْ: إنَّما تزوّجتُ رباحاً القيسيَّ، ولم أرني تزوَّجت جبَّاراً عنيداً.

فلمَّا كان اللَّيل نام ليختبرها. فقامت ربع اللَّيل، ثمَّ نادته:

قُمْ يا رباح.

فقال: أقوم.

فقامت الرُّبع الآخر، ثمَّ نادته فقالت: قُمْ يا رباح.

فقال: أقوم.

فلم يقم، فقامت الرُّبع الآخر، ثمّ نادته، فقالتْ:

قم يا رباح.

فقال: أقوم.

فقالتْ: مضىٰ اللَّيل، وعَسْكر المحسنون، وأنت نائم، ليتَ شعري من غرَّني بك يا رباح.

قال: وقامت الرُّبع الباقي.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٣ ـ ٤٤]

* عابدة تطلب الجنّة بأغلىٰ الأسعار

كانت مولاة لإبراهيم النخعيّ تعمد إلى اليوم الشديد الحرِّ فتصُومه.

فقيل لها: إنَّك تعمدين أشدَّ الأيّام حرّاً فتصومينه؟

فقالتْ: إنَّ السِّعر إذا رخُص اشتراه كلُّ أحد.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٦]

* العابـدة الزاهـدة

ذكر أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسِّن في تاريخه قال:

كانت عجوز صالحة زاهدة بالبصرة تُعرَف بالماورديّة قاربت ثمانين سنة، بقيت خمسين سنة لم تُفطِر، ولم تنم باللَّيل، ولم تأكل خُبْزاً ولا رُطَباً ولا تَمْراً، وإنَّما تطحن لها باقِلّا، وتخبز لها خبزاً تقتات به، وتأكل التين اليابس دون الرُّطب، وتنال من الزيت والعِنَب واللَّحم الشيء اليسير.

وكانت تكتب، وتقرأ، وتعِظ النِّسْوان. وكانت كثيرة الخير والبَرَكة.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٧]

* الفَرِحة بقدوم اللَّيل

كانت بالبحرين امرأة عابدة يُقال لها: (مُنيفة بنت أبي طارق) فكانت إذا هجم اللَّيْل عليها قالتْ: بَخٍ بَخٍ يا نفس، قد جاء سرور المؤمن.

فتتحزَّم، وتلبس، وتقوم إلى محرابها، فكأنَّها الجذعُ القائم حتّىٰ تصبح.

فإذا أصبحت، وأمكنت الصلاة؛ فإنَّما هي في صلاةٍ حتّى يُنادىٰ بالعصر.

فإذا صلَّت العصر؛ هجعتْ إلىٰ غروب الشمس، هذا دأبُها.

فقيل لها: لو جعلت هذه النومة في اللَّيل كان أهدأ لبدنك.

فقالتْ: لا واللَّهِ، لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا.

قال أبو سفيان: فحدَّثني رجل من أهلها قال:

فمكثتْ كذلك أربعين سنة ثمَّ ماتتْ. [صفة الصفوة ٤/ ٧٣]

* امرأة تقوم اللَّيل كلَّه بآية

قال أبو سيَّار: وحدَّثني عامر بن مليك البحرانيّ عن أُمِّه قالتْ:

بتُّ ذات ليلةٍ عند مُنيفة بنت أبـي طارق، فما زادت علىٰ هذه الآية من أوَّل اللَّيْل إلى آخره، تُردِّدها وتبكي:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[1].

[صفة الصفوة ٤/ ٧٤]

* الحرّانيَّـة العابـدة

كانت فاطمة بنت عبد الرَّحمن الحرّانيَّة قد جازت الثمانين، وكانت تُعرف بالصوفيَّة والعبادة؛ حيث كانت لا تنام إلاَّ في مصلاّها بلا وِطاء فوق ستِّين سنةً.

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤١]

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠١.

* عاشقة اللَّيل والسَّحَر

قالت أُمُّ هارون ــ وكانت من العابدات ــ :

بأبـي اللَّيلُ ما أطيبَه، إنِّي لأغتمُّ بالنهار حتىٰ يجيء اللَّيْل، فإذا جاءَ اللّيلُ قمتُ أوّله، فإذا جاء السَّحَر دخل الرّوح قلبـي.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٠٣]

* أســرة القوَّاميــن

قال عامر بن أسلم الباهليّ عن أبيه:

كانت لنا جارية في الحيِّ يُقال لها «هُنَيْدة»، فكانتْ تقوم إذا مضىٰ من اللَّيْل ثلثه أو نصفه، فتُوقِظ ولدها وزوجها وخَدَمها، فتقول لهم: قوموا فتوضَّؤوا، وصلُّوا، فستغتبطون بكلامي هذا.

فكان هذا دأبَها معهم حتىٰ ماتتْ. فرأىٰ زوجها في منامه:

إن كنت تُحبُّ أن تَزوَّجها هناك؛ فاخلُفْها في أهلها بمثل فعلها.

فلم يزل دأبَ الشيخ حتىٰ مات. فأتىٰ أكبر ولده في منامه فقيل له:

إنْ كنتَ تحبُّ أن تجاور أبويك في درجتهما من الجنَّة، فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما.

قال: فلم يزل ذلك دأبَه حتىٰ مات.

فكانوا يُدْعَون: القوَّامِين.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩١]

* العابدة الملازمة للصلاة

قال أبو خالد القُرَشيُّ:

استأذنّا علىٰ عليلة بنت الكُمَيْت، وكانت من العابدات.

قال: وذلك وقتَ الظهر.

فقالوا: هي تُصلِّي.

فلم نزل ننتظرها إلىٰ العصر، فلمَّا صلَّت العصر؛ أذنتْ لنا. فدخلنا عليها فقُلنا:

رحمك الله، لم نزل قعوداً منذ الظُّهر ننتظركِ.

قالتْ: سبحان الله قعوداً لم تُصلُّوا بين الظهر والعصر.

قال: وانقبضتْ عنَّا انقباضاً شديداً.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩١]

❑ ❑ ❑

من أحوالهن مع القرآن

* عائشة تقرأ القرآن فتبكي

عن أبي الضّحى حدَّثنا من سمع عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقرأ: «وقَرْن في بيوتِكُنَّ».

فتبكي حتّى تبلّ خمارها. [الزهد ١٦٤]

* الناطقة بالقرآن الكريم

عن الأصمعي قال:

بينا أنا أطوف بالبادية إذا بأعرابيّة تمشي وحدها على بعير لها، فقلتُ: يا أَمَة الجبّار من تطلبين؟

فقالتْ: «مَنْ يهدِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضلِلْ فلا هادِيَ لَهُ».

قال: فعلمت أنّها قد أضلّت أصحابها، فقلتُ لها: كأنَّكِ قد أضللت أصحابكِ؟

قالتْ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

فقلتُ لها: يا هذه من أين أنتِ؟

قالتْ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[1].

فعلمت أنَّها مقدسيَّة. فقلت لها: كيف لا تتكلَّمين؟

فقالتْ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[2].

فقال بعض أصحابي: ينبغي أن تكون هذه من الخوارج.

فقالتْ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾[3].

فبينما نحن نماشيها إذا رُفِعت لنا قباب وخيم، فقالت: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾[4].

قال: فلم أفطن لقولها، فقلت: ما تقولين؟

فقالتْ: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾[5].

قلتُ: بمَنْ أصوِّت، وبمَنْ أدعو؟

فقالتْ: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[6]، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾[7]،

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) سورة قَ: الآية ١٨.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٤) سورة النَّحل: الآية ١٦.

(٥) سورة يوسف: الآية ١٩.

(٦) سورة مريم: الآية ١٢.

(٧) سورة مريم: الآية ٧.

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1].

قال: فإذا نحن بثلاثة إخوة كاللآلىء.

فقالوا: أُمُّنا وربِّ الكعبة، أضللناها منذ ثلاث.

فقالتْ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

فأومأت إلى أحدهم فقالتْ: ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾[3].

فقلتُ: إنَّها أمرتهم أن يرودونا، فجاؤوا بخبز وكعك.

فقلتُ: لا حاجة لنا في ذلك، فقلتُ للفِتْية: من هذه منكم؟

قالوا: هذه أُمُّنا ما تكلَّمت منذ أربعين سنة إلاَّ من كتاب الله مخافة الكذب.

فدنوت منها فقلتُ: يا أمة الله، أوصني.

فقالتْ: ﴿ لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[4].

قال: فعلمت أنَّها شيعيَّة، فانصرفتُ.

[روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٤٩ ـ ٥٠
صفة الصفوة ٤/ ٤١٠ ـ ٤١١]

---

(١) سورة ص: الآية ٢٦.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٤.

(٣) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٤) سورة الشورىٰ: الآية ٢٣.

تعليق على القصَّة:

قال ابن عقيل: لا يجوز أن يُجعَل القرآن بدلاً من الكلام: لأنَّه استعمال له في غير ما وُضِع له، كما لو أراد استعمال المصحف في الوزن به أو توسُّدِه.

قال: ويُكره الصمت إلى اللَّيل؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن صمت يومٍ إلى اللَّيل.

قال ابن الجوزي: هذه امرأة صالحة المقصد إلاَّ أنَّها لقلَّة علمها لم تدرِ أنَّ هذا الفعل منهيّ عنه؛ لأنَّها استعملت القرآن فيما لم يُوضع له.

قلت: وإن لم تكن هذه المرأة في سنّ اليأس، فكيف تتكلَّم إذا كانتْ حائضاً؟

❑ ❑ ❑

مِن حُبِّهِنَّ لرسولِ الله ﷺ

* **امرأة تتَّخذ من عَرَق رسول الله ﷺ طيباً**

كان النبيُّ ﷺ يدخل علىٰ أُمّ سُلَيْم، فتبسُط له النّطع[1]، فيقيل عندها، فتأخذ منه عرقه، فتجعله في طيبها. [صفة الصفوة ٢/ ٦٦]

* **حبٌّ فوق التصوُّر**

أخرج الطبرانيّ عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال:

لمَّا كان يوم أُحُد، حاص أهل المدينة حَيْصة، وقالوا:

قُتِل محمَّد.

حتىٰ كثرتْ الصوارِخ في ناحية المدينة. فخرجت امرأة من الأنصار مُحرِمة، فاستُقبِلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها، لا أدري أيُّهم استُقبِلتْ به أوّلاً. فلمَّا مرَّت على أحدهم، قالتْ: من هذا؟

قالوا: أبوك، أخوك، زوجك، ابنُك.

تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟

(١) النِّطع: والنَّطع والنِّطَع والنَّطَع: بساطٌ من جِلْدٍ.

يقولون: أمامك.

حتى دفعت إلىٰ رسول الله ﷺ فأخذت بناصية ثوبه، ثمّ قالتْ:

بأبـي أنت وأُمّي يا رسول الله لا أُبالي إذا سلمتَ مَنْ عُطِب[1].

وفي رواية قالت له: كلُّ مصيبة بعدك جَلَل.

[حياة الصحابة ٢/ ٣٣٣]

* ما أسرع لحاق المحبِّ بالمحبوب

عن عبد الله بن المبارك:

أنَّ امرأةً قالتْ لعائشة ــ رضي الله تعالىٰ عنها ــ:

اكشفي لي عن قبر النبـيِّ ﷺ.

فكشفَتْ لها عنه، فبكت حتّىٰ ماتت.

[صفة الصفوة ٢/ ٢٠٤]

* بين عمر رضي الله عنه والعجوز المتشوِّقة

أخرج ابن المبارك وابن عساكر عن زيد بن أَسْلم قال:

خرج عمر بن الخطَّاب ــ رضي الله عنه ــ ليلةً يحرُس، فرأىٰ مصباحاً في بيتٍ، فدنا فإذا عجوز تطرق شَعْراً لها لتغزله ــ أي تنفشه بقدح ــ وهي تقول:

علىٰ محمد صلاة الأبرارْ   صلّىٰ عليك المصطفَون الأخيارْ

قد كنت قوّاماً بكيَّ الأسحارْ   يا ليت شعري والمنايا أطوارْ

هل تجمعني وحبيبي الدارْ

---

(١) عطِب: هلك.

تعني النبـيَّ ﷺ.

فجلس عمر يبكي، فما زال يبكي حتّىٰ قرع الباب عليها، فقالت:

من هذا؟

قال: عمر بن الخطَّاب.

قالتْ: ومالي ولعمر؟ وما يأتي بعُمر هذه الساعة؟

قال: افتحي رحمك الله، فلا بأس عليك.

ففتحت له، فدخل، فقال:

ردِّي عليَّ الكلمات التي قلت آنِفاً.

فردَّته عليه، فلمَّا بلغت آخره، قال:

أسألك أن تدخليني معكما.

قالت:

وعمر فاغفر له يا غفَّارْ.

فرضي، ورجع.

[حياة الصحابة ٢/ ٣٤٩ ــ ٣٥٠]

❑ ❑ ❑

من استجابتهن لله ورسوله

* الفتاة الراضية بأمر رسول الله ﷺ

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:

خطب النبيّ ﷺ علىٰ «جُلَيْبيب» امرأةً من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتىٰ أستأمر أُمّها.

فقال ﷺ: «نعم إذاً».

فانطلق الرجل إلىٰ امرأته، فذكر لها، فقالتْ:

لاها الله إذن ما وجد رسول الله ﷺ إلاّ جُلَيْبيباً، وقد منعناها من فلان وفلان.

قال: والجارية في سترها تسمع، قال: فانطلق الرجل يريد أَنْ يُخبِر رسول الله ﷺ بذلك. فقالت الجارية: أتريدون أن تردّوا علىٰ رسول الله ﷺ أمره، إن كان قد رضيه لكم؛ فأنكحوه.

قال: فكأنَّها جلَّتْ عن أبويها.

وقالا: صدقتِ.

فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال:

إنْ كنتَ رضيتَه؛ فقد رضِيناه.

قال ﷺ: «فإنّي قد رضيتُه».

قال: فزوّجها. ثمّ فزع أهل المدينة، فركب جليبيب، فوجدوه قد قُتِل، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم.

قال أنس ـ رضي الله عنه ـ:

فلقد رأيتها، وإنّها لمن أنفق بيتٍ بالمدينة.

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البرّ في «الاستيعاب»:

أنّ الجارية لمّا قالتْ في خِدْرها: أتردُّون علىٰ رسول الله ﷺ أمره؟

نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(١).

[تفسير ابن كثير، ورواه الإمام أحمد في مسنده]

* شهادة أُمّ المؤمنين عائشة لنساء الأنصار

أخرج ابن أبي حاتِم عن صفيّة بنت شَيْبة قالت:

بينا نحن عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: فذكرنا نساء قريش وفضلهنّ، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ:

إنّ لِنساء قريش فضلاً، وإنّي والله ما رأيت أفضل من نِسَاء الأنصار، أشدَّ تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل. لقد أُنزِلت سورة النُّور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾(٢) انقلب رجالهنّ إليهنّ يتلون عليهنّ ما أنزل الله إليهم فيها.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٢) سورة النور: الآية ٣١.

ويتلو الرجل علىٰ امرأته وابنته وأخته وعلىٰ كلِّ ذي قرابةٍ، فما منهنّ امرأة إلا قامت إلىٰ مِرطها المرحَّل[1]، فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ مُعْتَجِرات[2] كأنَّ علىٰ رؤوسهن الغِربان.

رواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة.

[حياة الصحابة ٣/ ٧٥ ـ ٧٦]

* الفتاة المستجيبة لأمر الرسول ﷺ

أخرج سعيد بن منصور وابن النجّار عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال:

خَطَبتُ جاريةً من الأنصار، فذكرتُ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال لي: «رأيتَها؟».

فقلتُ: لا.

قال: «فانظر إليها فإنَّها أَحْرىٰ أَنْ يُؤدَم[3] بينكما» فأتيتها، فذكرت ذلك لوالديها، فنظر أحدهما إلىٰ صاحبه.

فقمتُ فخرجتُ، فقالت الجارية: عليَّ الرَّجل.

فوقفَتْ ناحية خِدْرها، فقالتْ: إنْ كان رسول الله ﷺ أَمَركَ أن تنظُر إليَّ فانظر، وإلاَّ فإنِّي أُحرِّج عليك أن تنظر.

(١) المِرْط المرحَّل: الكساء من الصوف أو الخز الملبوس على البدن.

(٢) المعتجرات: اعتجرت المرأة: لبست المِعْجَر: وهو ثوب تشدُّه المرأة علىٰ رأسها.

(٣) يؤدَم: يؤلّف.

قال: فنظرتُ إليها، فتزوَّجتها، فما تزوَّجت امرأة قطُّ كانت أحبَّ إليَّ منها، ولا أكرم عليَّ منها.

[حياة الصحابة ٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠]

* امرأة ترمي بسوارها لتبايع رسول الله ﷺ

عن خُلَيْدة بنت قعنب، وكانت في النِّسْوة اللّاتي أتَيْن رسول الله ﷺ يبايعنه، فأتتْه امرأة في يدها سوار من ذهب، فأبىٰ أن يبايعها، فخرجت من الزحام، فرمَتْ بالسِّوار، ثمَّ جاءت إلى النبيّ ﷺ فبايعها.

[الإصابة ٤/ ٢٨٥]

* المرأة الموفِّية ببيعة الرسول عليه الصلاة والسلام

عن عطاء بن مسعود الكعبي عن عمَّته عزَّة بنت خابل الخزاعيَّة:

أنَّها خرجتْ حتَّى قدمت علىٰ رسول الله ﷺ فبايعها علىٰ أن لا تشرك بالله شيئاً، ولا تسرق، ولا تزني، ولا تؤذي فتئد أو تخفي. قالت عزَّة:

وقد عرفت الوأد، وهو قتل الولد، وأمّا الخفيُّ فلم أعرفه، ولم أسأل رسول الله ﷺ عنه، وقد وقع في نفسي أنَّه إفساد الولد، فوالله لا أُفْسِد لي ولداً أبداً.

[الإصابة ٤/ ٣٦٣]

❑ ❑ ❑

أثر بركة رسول الله ﷺ فيهن

* القديدة المباركة

عن عميرة بنت مسعود الأنصاريّة: أنَّها دخلتْ على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ــ هي وأخواتها، وهُنّ خمسٌ، فبايَعْنَه، فوجدْنَه وهو يأكل قديداً[1]، فمضغ لهنَّ قديدة، ثم ناولهنَّ، فقَسَمْنها بينهنَّ، فمضغت كلُّ واحدة منهنَّ قطعةً، فلقين الله ــ عزَّ وجلَّ ــ ، ما وجدن في أفواهِهنَّ خلوفاً، ولا اشتكَيْن من أفواههنَّ شيئاً. [الإصابة ٤/ ٣٧٠]

* عُكَّة أُمّ مالك البهزيَّة

أخرج أحمد عن جابر:

أنّ أُمَّ مالك البهزيَّة ــ رضي الله عنها ــ كانت تُهدي في عُكَّة[2] لها سمناً للنبـيِّ ﷺ، فبينما بنوها يسألونها الإدام ــ وليس عندها شيء ــ فعمدت إلى عُكَّتها التي كانت تهدي فيها السَّمن إلى النبـيِّ ﷺ فوجدت فيها سمناً، فما زال يُقيم لها إدام بنيها حتى عصرَتْه.

---

(١) القَدِيد: هو اللَّحم المقطَّع المملَّح المجفَّف.

(٢) العُكَّة: آنية السَّمْن من جِلْدٍ، وهي أصغر من القِرْبة. (ج) عُكَك، وعِكاك.

فأتت النبـيَّ ﷺ فقال:

«أَعصرتيه؟».

فقالتْ: نَعَمْ.

قال: «لو تركتيه ما زال ذلك (لك) مقيماً».

[حياة الصحابة ٣/ ٦٣٤]

* عُكّة أُمّ أوس البهزيّة

أخرج الطبرانيّ، وابن منده، وابن السَّكَن عن أُمّ أوس البهزيَّة: أنَّها سلأتْ[1] سمناً لها، فجعلته في عُكَّة، ثمَّ أهدته للنبـيِّ ﷺ فقبله، وأخذ ما فيها، ودعا لها بالبركة، وردّها إليها، فرأتها ممتلئة سمناً، فظنَّت أنَّه لم يقبلها، فجاءت ولها صُراخ، فقال: «أخبروها بالقصَّة».

فأكلتْ منه بقيَّة عُمُر النبـيِّ ﷺ وولاية أبـي بكر ــ رضي الله عنه ــ وولاية عمر ــ رضي الله عنه ــ وولاية عثمان ــ رضي الله عنه ــ حتى كان بين عليّ ومعاوية ــ رضي الله عنهما ــ ما كان.

[حياة الصحابة ٣/ ٦٣٤ ــ ٦٣٥]

* عُكّة أُمّ سُلَيم

أخرج أبو يعلىٰ عن أنس عن أُمّه ــ رضي الله عنهما ــ قال:

كانت لها شاة، فجمعتْ من سَمْنِها في عُكَّة، فملأت العُكَّة، ثمَّ بعثت بها مع ربيبة، فقالت:

(١) سلأتْ: أذابت بالتسخين الدُّهْن أو الزُّبْدَ.

يا ربيبة، أبلغي هذه العُكَّة رسولَ الله ﷺ يأتدم بها.

فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت:

يا رسول الله، هذه عُكَّة سمن بعثت بها إليك أُمُّ سُلَيم.

قال: «أفرغوا لها عُكَّتها».

ففُرِّغت العُكَّة، فدُفِعتْ إليها، فانطلقت بها، وجاءت ــ وأُمّ سُلَيم ليست في البيت ــ فعلَّقت العُكَّة على وَتِد. فجاءت أُمّ سُلَيم، فرأت العُكَّة ممتلئة تقطر، فقالت أُمّ سُلَيم:

يا ربيبة، أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله؟

فقالتْ: قد فعلت، فإن لم تصدّقيني، فانطلقي فسلي رسول الله ﷺ.

فانطلقت ومعها ربيبة، فقالتْ: يا رسول الله، إنّي بعثت معها إليك بعُكّة فيها سمن.

قال: «قد فعلتْ، وقد جاءت».

قالتْ: والذي بعثك بالحقِّ ودين الحقِّ إنها لممتلئة تقطر سمناً.

قال: فقال لها رسول الله ﷺ:

«يا أُمَّ سُليم، أتعجبين أن كان الله أطعمكِ كما أطعمت نبيَّه؟ كلي وأطعمي».

قالتْ: فجئت إلى البيت، فقسمتُ في قَعْب لنا وكذا وكذا، وتركت فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين.

[حياة الصحابة ٣/ ٦٣٥ ــ ٦٣٦]

* عُكَّة أُمّ شريك

أخرج ابن سعد عن أُم شريك ـ رضي الله عنها ـ :

أنَّها كانت عندها عُكَّة تُهدي فيها سمناً لرسول الله ﷺ قال: فطلبها صبيانها ذات يوم سمناً، فلم يكن.

فقامت إلى العُكَّة لتنظر، فإذا هي تسيل. قال: فصبَّت لهم منه، فأكلوا منه حيناً، ثمَّ ذهبت تنظر ما بقي فصبَّته كلّه، ففني.

ثمّ أتتْ رسول الله ﷺ فقال لها:

«أصببْتِه؟» أما إنَّك لو لم تصبّه لقام لك زماناً».

[حياة الصحابة ٣/ ٦٣٦]

❑ ❑ ❑

مِن توبتهنَّ

* توبة بغيٍّ بالإسلام

أخرج البيهقيّ عن عبد الله بن مغفَّل ــ رضي الله عنه ــ :

أنَّ امرأةً كانت بغيّاً في الجاهليّة، فمرَّ بها رجل أو مرَّتْ به، فبَسط يده إليها، فقالت:

مَهْ، إنَّ الله ذهب بالشِّرك وجاء بالإسلام.

فتركها، وولّى، وجعل ينظر إليها حتى أصاب وجهه الحائط.

فأتىٰ النبـيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال:

«أنتَ عبد أراد الله بك خيراً، إنَّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً؛ عجَّل له عقوبة ذنبه، وإذا أراد بعبد شرّاً؛ أمسك عليه بذنبه حتى يُوافي به يوم القيامة».

[حياة الصحابة ٢/ ٥٩٧ ــ ٥٩٨]

* توبة الزانية القاتلة

أخرج ابن أبـي حاتم عن أبـي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال:

جاءتني امرأة، فقالتْ:

هل لي من توبةٍ؟ إنِّي زنيتُ، وولدتُ، وقتلتُه.

فقلتُ: لا، ولا نَعِمتِ العين ولا كرامة.

فقامت وهي تدعو بالحَسْرة، ثمَّ صلَّيتُ مع النبيّ ﷺ الصبح، فقصَصْتُ عليه ما قالت المرأة وما قلتُ لها، فقال رسول الله ﷺ:

«بئسما قلتَ، أما كنتَ تقرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

فقرأتها عليها، فخرَّتْ ساجدةً، وقالتْ: الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً.

ورواه ابن جرير بسنده بنحوه، وعنده:

فخرجت تدعو بالحسرة وتقول: يا حسرتا أَخُلِق هذا الحسنُ للنار؟!

وعنده: أنَّه لما رجع من عند رسول الله ﷺ تطلَّبها في جميع دور المدينة فلم يجدها، فلمَّا كان من اللَّيلة المقبلة جاءته فأخبرها بما قال له رسول الله ﷺ فخرَّت ساجدةً وقالت:

الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً وتوبةً مما عملت.

وأعتقَتْ جاريةً كانتْ معها وابنتها، وتابت إلى الله عزَّ وجلَّ.

[حياة الصحابة ٣/ ٧٦ ــ ٧٧]

* توبة أُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان

حكىٰ أحمد بن رياح الكاتب عن الهيثم بن عدِيّ عن مروان بن محمَّد

(١) سورة الفرقان: الآيات ٦٨ ــ ٧٠.

قال: دخلتْ عزَّةُ صاحبةُ كُثَيِّر على أُمِّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر، فقالت لها:

يا عزَّة، ما معنى قول كُثَيِّر:

قضىٰ كُلُّ ذي دَيْنٍ عَلِمْتُ غريمه وعـزَّةُ ممطُـولٌ مُعَنّـىً غـريمُهـا

ما هذا الدَّيْن الذي يذكره؟

قالتْ: اعفيني.

قالتْ: لا بُدَّ من إعلامك إيّايَ.

فقالت عزَّة: كنتُ وعدتُه قُبْلةً، فأتاني لينتجزها، فتحرَّجْتُ عليه، ولم أفِ له.

فقالت لها أُمُّ البنين: أنجزيها منه، وعليَّ إثمُها.

ثمَّ راجعت نفسها فاستغفرت الله، وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رَقَبة.

وكانت إذا ذكرت ذلك؛ بكتْ حتّى تبلّ خمارها، وتقول:

يا ليتني خرس لساني عندما تكلَّمتُ بها.

وتعبَّدتْ عبادةً ذُكِرتْ بها في عصرها من شدَّة اجتهادها؛ فرفضتْ فراش المملكة تحيي ليلها.

وكانت كلَّ جمعة تحمل على فرس في سبيل الله. وكانت تبعث إلى نِسوة عابداتٍ يجتمِعْنَ عندها، ويتحدَّثن، فتقول:

أُحِبُّ حديثكُنَّ، فإذا قُمتُ إلى صلاتي لهوتُ عنكُنَّ.

وكانتْ تقول: البخيل كلُّ البخيل من بخِل على نفسه بالجنَّة.

وكانتْ تقول: جُعِل لكُلِّ إنسان نهمة في شيءٍ، وجُعِلتْ نهمتي في

البذل والإعطاء، واللّهِ للعطيّة والصلة والمُواصلة في الله أَحَبُّ إليَّ من الطعام الطيِّب على الجوع والشراب البارد على الظّمأ، وهل يُنال الخير إلاَّ بالاصطناع؟

وكانت على مذهبٍ جميلٍ حتى توفِّيت، رحمها الله تعالى.

[كتاب التوّابين ١٤٩ ــ ١٥٠]

* توبة جارية من بنات الكبار

قال جعفر بن محمد: سمعتُ الجُنَيْد بن محمد يقول:

كان أبو شعيب البراثيُّ أوَّل من سكن براثى في كوخٍ يتعبَّد فيه، فمرَّتْ بكوخه جارية من بنات الكبار، كانتْ رُبِّيَتْ في قصور الملوك، فنظرتْ إلى أبـي شُعَيب، فاستحسنتْ حاله، وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فعزمت على التجرُّد من الدنيا والاتصال بأبـي شُعَيْب، فجاءت إليه، وقالتْ:

أريد أن أكون لك خادمة.

فقال لها: إنْ أردتِ ذلك فغيِّري من هيئتك، وتجرَّدي عما أنتِ فيه حتى تَصلُحي لما أردتِ.

فتجرَّدتْ عن كلِّ ما تملكه، ولبست ثياب النُّسَّاك وحضرته، فتزوَّجها.

فلمَّا دخلت الكوخ رأت قطعة خِصاف في مجلس أبي شُعَيْب تقيه النَّدى.

فقالتْ: ما أنا بمقيمة فيها حتَّى تُخرِج ما تحتك؛ لأنِّي سمعتك تقول:

إنّ الأرض تقول:

(يا ابن آدم، تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني؟).

فما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً.

فأخذ أبو شعيب الخِصاف، فرمىٰ بها.

فمكثتْ معه سنينَ كثيرة تتعبَّد أحسن عبادة، وتُوفِّيا على ذلك متعاونَيْن. [كتاب التوّابين ١٩٢ ـ ١٩٣]

* توبة الطائفة ببيت الله

قال وُهَيْب بن الورد:

بينما امرأة في الطَّواف ذات يومٍ، وهي تقول:

يا ربّ، ذهبتَ اللَّذَّات؛ وبقيت التبعات.

يا ربّ، سبحانكَ، وعزَّتِك، إنَّكَ أرحم الراحمين.

يا ربّ، ما لكَ عقوبة إلاَّ النار.

فقالت صاحبة معها: أُخيَّة، دخلتِ بيت ربِّكِ اليوم؟

فقالتْ: والله ما أرى هاتين القدمَيْن أهلاً للطواف حولَ بيت ربِّي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربِّي، وقد علمتُ حيث مَشَتا وأين مَشَتا؟.

[كتاب التوّابين ٢٥٢ ـ ٢٥٣]

* توبة امرأة فاتنة على يد الربيع بن خُثَيم

قال أبو القاسم محرز الجلاب: حدَّثني سعدان، قال:

أمر قوم امرأةً ذاتَ جمالٍ بارع أن تتعرَّض للرَّبيع بن خُثَيم لعلَّها تفتنه، وجعلوا لها، إنْ فعلت ذلك، ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرتْ عليه من الثياب، وتطيَّبت بأطيب ما قدرت عليه، ثمَّ تعرَّضتْ له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع:

كيف بكِ لو قد نزلت الحُمّى بجسمكِ؛ فغيَّرتْ ما أرى من لونكِ وبهجتك؟ أم كيف بكِ لو قد نزل بكِ ملك الموت فقطع منك حبل الوَتِين؟

أم كيف بكِ لو سألكِ منكر ونكير؟

فصرختْ صرخةً، فسقطت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغتْ من عبادةِ ربِّها ما أنَّها كانتْ يوم ماتتْ كأنَّها جِذْع محترِق.

[كتاب التوّابين ٢٦٣]

* توبة امرأة مطربة

وجدتُ في كتابٍ عن سريّ السقطيِّ أنَّه قال:

ضاقت عليَّ نفسي يوماً، فقلتُ في نفسي: أخرج إلى المارَسْتان[١]، وأنظُر إلى المجانِين فيه، وأعتبر بأحوالهم.

فخرجتُ إلى بعض المارستانات، وإذا بامرأة مغلولة يدها إلى عنقها وعليها ثياب حِسانٌ وروائح عَطِرة، وهي تُنْشِد:

أُعيذُكَ أن تغُلَّ يدي ... بغير جريمةٍ سَبَقتْ
تغُلَّ يدي إلى عُنُقي ... وما خانتْ ولا سرقَتْ
وبين جوانحي كَبدٌ ... أُحِسُّ بها قد احترقتْ
وحقِّك يا مدى أَمَلي ... يميناً برَّةً صَدَقتْ
فلو قطَّعتها قِطَعاً ... وحقِّكَ عنكَ لا نَطقتْ

فقلتُ لصاحب المارستان: ما هذه؟

فقال: مملوكة خُبِل عقلها، فحُبِسَتْ لتُصلح.

---

(١) المارَسْتان: المصحّة العقلية، والبيمارَسْتان: المستشفى.

فلمَّا سمعَتْ كلامَه أنشدتْ:

معشَر النَّاس ما جُننتُ ولكنْ أنـا سكـرانـةٌ وقلبـي صـاحِ
لِمْ غللتُّم يدي ولم آتِ ذَنْباً غير هَتْكي في حُبِّه وافتضاحي
أنـا مفتـونـةٌ بحُـبِّ حبيـبٍ لستُ أبغي عن بابه من براحِ
فصلاحي الذي زعمتم فسادي وفسادي الذي زعمتُّم صلاحي
ما على من أحبَّ مولى المَوالي وارتضـاهُ لنفسـه مِـنْ جُنـاحِ

قال سريّ: فسمعتُ كلاماً أبكاني، فلمّا رأتْ دموعي، قالت:

يا سريّ، هذه دموعك على الصِّفَة، فكيف لو عرفتَه حقَّ المعرفة؟

فقلتُ: هذا أعجب، من أين عرفتني؟

قالتْ: ما جهلت منذ عرفت أنَّ أهل الدَّرَجات يعرف بعضهم بعضاً.

فقلتُ: يا جارية، أراكِ تذكرين المحبّة، فلمن تُحبِّين؟

قالتْ: لمن تَعرَّف إلينا بآلائه، وتحبَّب إلينا بنعمائه، وجاد علينا بجزيل عطائه؛ فهو قريب، إلى القلوب مجيب، تسمّى بأسمائه الحُسْنى، وأمرنا أن ندعوه بها، فهو حكيم كريم، قريب مجيب.

قال: فقلت لها: فيمَ حُبِسْتِ؟

فقالتْ: قَوْمي عابوا عليَّ ما سمعتَ منِّي.

فقلتُ لصاحب المارستان: أطلقها. ففعل.

فقُلتُ: اذهبي حيث شئتِ.

فقالتْ: إنَّ حبيب قلبي قد ملَّكني لبعض مماليكه، فإن رضي مالكي وإلاَّ صبرت واحتسبت.

فقلتُ: هذه والله أعقل منِّي.

فجاء مالكها ومعه ناس كثير، فقال لصاحب المارستان: وأين بدعة؟

فقال: دخل عليها سريّ، فأَطْلَقها.

فلمَّا رآني عظَّمني؛ فقُلتُ: هي والله أولى بالتعظيم منِّي، فما الذي تُنكِر منها؟

فقال: كثْرة فِكْرتها، وسرعة عَبْرتها وزَفْرتها وحنينها؛ فهي باكية راغبة، لا تأكل مع من يأكل، ولا تشرب مع من يشرب، وهي بضاعتي اشتريتُها بكلِّ مالي بعشرين ألف درهمٍ، وأمَّلت أن أربح فيها مثل ثمنها.

فقلتُ: وما كانت صنعتُها؟

قال: مُطرِبة.

قلتُ: ومُنذ كم كان بها هذا الداءُ؟

فقال: منذ سنة.

قلتُ: ما كان بدؤه؟

قال: كان العُود في حجرها، وهي تغنِّي، وتقول:

وحقِّك لا نقضْتُ الدهر عَهْداً ... ولا كدَّرتُ بعدَ الصَّفْو وُدّا

ملأتَ جوانحي والقلبَ وَجْداً ... فكيف أَقَرُّ أو أسلو وأهدا

فيا من ليس لي مولىً سِواهُ ... تُراكَ تركتني في الناس عَبْدا

قال: فكسرتِ العود، وقامتْ، وبكتْ، فاتهمتُها بمحبّة إنسان.

فكشفتُ عن ذلك فلم أجد له أثراً.

قال: فقلتُ له: هكذا كان؟

فقالتْ:

خـاطبنـي الـوعـظُ مـن جنـانـي | وكـان وعظـي علـى لسـانـي
قـرَّبنـي منـهُ بعـدَ بُعْـدٍ | وخصَّنـي اللَّـهُ واصطفـانـي
أجبـتُ لمَّـا دُعيـتُ طَـوْعـاً | مُلبِّيـاً للَّـذي دعـانـي
وخِفْـتُ ممـا جنيـتُ قِـدْمـاً | فـوقَّـعَ الحُـبُّ بـالأمـانِ

قال: فقلتُ له: عليَّ الثمن وأزيدك.

قال: فصاح: وافقْراه، من أين لك ثمن هذه؟

فقلتُ: لا تعجل عليَّ، تكون في المارستان حتى آتي بثمنها. ثمّ مضيتُ وعيني تدمع، وقلبي يخشع، وبتُّ ولم أطعم غَمْضاً، ووالله ما عندي درهم من ثمنها.

وبقيتُ طولَ ليلتي أتضرَّع إلى الله تعالى وأقول:

يا ربّ، إنَّك تعلم سِرِّي وجهري، وقد اتكلتُ على فضلك، وعوَّلتُ عليك فلا تفضحني.

فبينما أنا عند السحر إذا بقارع يقرَع الباب فقلتُ: من بالباب؟

فقال: حبيب من الأحباب، أتى في سبب من الأسباب، من الملك الوهّاب.

ففتحتُ الباب، فإذا برجلٍ معه خادم وشمعه.

فقال: يا أُستاذ، أتأذن لي بالدخول؟

فقلتُ: ادخل، من أنت؟

قال: أنا أحمد بن المثنّى، قد أعطاني مالك الدار فأكثَرَ؛ كنتُ اللَّيلة نائماً، فهتف بـي هاتف في المنام:

احملْ خمسَ بدراتٍ إلى سريّ يعطيها لمولىً (بدعة)، يفكُّها من الأَسْرِ ومن رقِّ العبوديَّة الساعة؛ فلنا بها عناية. فجئت مبادراً بهذا المال، فاصنع به ما شئتَ.

قال: فخررتُ لله ساجداً، وارتقبت الصُّبحْ. فلما تعالى ضَوء النّهار أخذْتُ بيد أحمد ومضيتُ به إلى المارستان. فإذا الموكَّل به يلتفِتُ يميناً وشمالاً، فلمَّا رآني قال:

مرحباً، ادخل، فإنَّ لها عند الله عناية؛ هتف بي البارحة هاتِفٌ، وهو يقول:

إنَّهـــا منَّـــا ببـــال ليـسَ تخلـو مِـنْ نـوال
قَـرُبَـتْ ثـمَّ تَسمَّـتْ وعلـتْ فـي كـلِّ حـال

فحفظتُ هذا القول وكرَّرته إلى أن أتيتم.

فدخلتُ عليها، وهي تقول:

قـد تصبَّـرْتُ إلـى أَنْ عِيـلَ فـي حُبِّـكَ صبـري
ضـاق مـن غلِّـي وقَيْـدي وامتهـانـي فيـك صَـدْري
ليـس يخفـى عنـك أمـري يـا مُنـىً قلبـي وذُخْـري
أنـتَ لـي تعتـقُ رقّـي وتفـكُّ اليـومَ أَسْـري

قال: وأقبل مولاها يبكي ويخشع، فقلتُ له:

قد جئناك بما ورثت وربح خمسة آلاف.

فقال: لا والله!

فقلتُ: بربح عشرة آلاف.

فقال: لا.

فقلتُ: بربْح المِثْل.

فقال: لو أعطيتني الدنيا ما قبلتُ، وهي حرَّة لوجه الله تعالى.

فقلتُ له: ما القصَّة؟

فقال: يا أُستاذ، وُبِّخْتُ البارحة، أُشهدك أنِّي خارج من جميع مالي وهارب إلى الله تعالى، اللَّهمَّ كُنْ لي بالسَّعَة كفيلاً وبالرِّزْق جميلاً.

فالتفتُّ إلى ابن المثنَّى، فرأيته يبكي. فقلتُ له:

ما بكاؤك؟

فقال: ما رضي بي المولى لما نَدَبَني إليه، أُشهِدك أَنِّي قد تَصدَّقتُ بجميع مالي لوجه الله تعالى.

فقلتُ: ما أعظم بركة (بدعةَ) على الجميع.

فقامتْ (بدعةُ)، فنزعتْ ما كان عليها، ولبست مدرعةً من الشعر، وخرجتْ، وهي تقول:

هــربــتُ منــه إليــهِ ... بكَيْــتُ منــهُ عليــهِ
وحقِّــهِ فَهْــوُ مَــوْلــىَ ... لا زلــتُ بيــن يــديــهِ
حتّــى أنــال وأحظــى ... بمــا رَجَــوْتُ لــدَيْــهِ

قال سريّ: فأقمتُ بعد ذلك مدّةً حتى ماتَ مولاها، فبيْنا أنا أطوف بالكعبة وإذا أنا بصوت محزون من كبد مقروحة، وهو يقول:

قــد تَشهَّــرتُ بحُبِّــكْ ... كيــفَ لــي منــكَ بقُــرْبــكْ
كيــف بــي يــا نفــسُ إن وا ... خَــذَكِ اللَّــهُ بــذَنْبِــكْ

لــم يُقــاســي أحــدٌ يــا نفــسُ كــربــاً مثــلَ كــربِــكْ
فَسَلـــي ربَّــكِ يـــأتيـ ـــك الرضى من عند ربِّكْ

قال: فتبعت الصوت، فإذا امرأة كالخيال، فلما رأتني قالتْ: السلام عليك يا سريّ.

فقلتُ: وعليك السلام، مَنْ أنتِ؟

فقالتْ: لا إله إلاَّ الله، وقَع التناكُر بعد المعرفة! أنا (بدعة).

فقلتُ: ما الذي أفادكِ الحقُّ بعد انفرادِكِ عن الخَلْق؟

فقالتْ: أفادني كلَّ المُنى، وأنشدتْ:

يــا مــن رأى وحشتــي فــآنسنــي بــالقُــرْب مــن قــربــه فــأنعشنــي
هــربــتُ مــن مسكنــي إلــى سكنــي نعــم ومــن مــوطنــي إلــى وطنــي
يــا سكنــي لا خَلَــوْتُ مِــنْ سَكَنــي دهــري ويــا عــدَّتــي علــى الــزَّمــنِ
أوحشنــي مــا فقــدت منــه فقــدْ عـــاد بـــإحســـانـــه فـــآنَسَنـــي
وعـــدت أيضـــاً وعـــاد منعطفـــاً كـــذاكَ مُـــذْ كـــان منـــه عـــوَّدنـــي

ثمَّ قالتْ: لا حاجة لي بالبقاء، فخذني إليكَ.

قال: فحرَّكتُها فإذا هي ميِّتة ــ رحمة الله تعالى عليها ــ .

[كتاب التوّابين ٢٩٠ ــ ٢٩٦]

*** توبة امرأة فاتنة على يد عبيد بن عمير**

قال العِجْليُّ في كتابه «الثِّقات».

حدَّثني أبـي عبد الله قال: كانت امرأة جميلة بمكَّة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرأة فقالَتْ لزوجها:

أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يُفتن به؟!

قال: نعم.

قالتْ: مَنْ؟

قال: عُبَيْد بن عُمير.

قالتْ: فأذن لي فيه فلأفتننَّه.

قال: قد أذنتُ لك!

فأتته فاستفتته، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام.

قال: فأسفرت عن مثل فَلْقة القمر، فقال لها:

يا أَمَة الله، اتَّق الله.

قالتْ: إنِّي قد فُتِنتُ بكَ، فانظر في أمري.

قال: إنِّي سائلكِ عن شيء، فإن أنتِ صدقتِ؛ نظرتُ في أمرِكِ.

قالتْ: لا تَسَلْني عن شيءٍ إلاَّ صدقتُك.

قال: أخبريني؛ لو أنَّ مَلَك الموت أتاك ليقبض روحك، أكان يسُرُّكِ أنِّي قضيت لك هذه الحاجة؟

قالتْ: اللَّهمَّ لا.

قال: صدقتِ.

قال: فلو أنَّ الناس أُعْطُوا كُتبَهم، ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك؟ أكان يسُرُّكِ أنِّي قضَيْتُ لك هذه الحاجة؟

قالت: اللَّهمَّ لا.

قال: صدقتِ.

قال: فلو أردتِ الممرَّ على الصراط، ولا تدرين أتنْجين أم لا تَنْجين؟

أكان يسُرُّك أنِّي قضيتُ لك هذه الحاجة؟

قالتْ: اللّهمَّ لا.

قال: صدقتِ.

قال: فلو جيء بالموازين، وجيء بك، لا تدرين تخفِّين أم تثقلين؟

أكان يسُرُّك أنِّي قضيتُ لك هذه الحاجة؟

قالت: اللَّهمَّ لا.

قال: صدقتِ.

قال: فلو وقفت بين يدي الله للمسألة، أكان يسُرُّك أنِّي قضَيْتُ لك هذه الحاجة؟

قالتْ: اللَّهمَّ لا.

قال: صدقتِ.

قال: اتَّقِ الله، يا أمةَ الله، فقد أنعم الله عليكِ، وأحسن إليكِ.

فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعتِ؟

قالت: أنت بطَّال ونحن بطَّالون.

فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول:

مالي ولعُبَيْد بن عمير، أفسد عليَّ امرأتي!! كانت كلَّ ليلة عروساً، فصيَّرها راهبةً.

[شرح رسالة المسترشدين ١٤٩ ــ ١٥٠]

مِن زُهدِهِنّ

* **زهد آل رسول الله محمد ﷺ**

قالت أُمّ المؤمنين عائشة ــ رضي الله تعالىٰ عنها ــ :

ما شبعت بعد النبيِّ ــ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ــ من طعام إلاّ ولو شئت أن أبكي لبكيتُ.

وما شبع آل محمد ــ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ــ حتىٰ قُبِض.

[الزهد ١٦٤]

* **زهد امرأة من المهاجرات**

عن ابن سيرين: أنَّ أبا بكر أُتي بمالٍ فقسمه بين الناس، فبعث منه إلىٰ امرأة من المهاجرات. فلمَّا أُتيتْ به قالت:

ما هذا؟

قالوا: أبو بكر جاءه مال فقسمه في الناس، فقسم منه في نُظَرائكِ.

قالتْ: أتخافوني أن أدع الإسلام؟

قالوا: لا.

قالتْ: أَفَترشُونَني علىٰ ديني؟

قالوا: لا.

قالتْ: فلا حاجة لي فيه. [صفة الصفوة ٢/ ٧٤]

* زهد رابعة العدويّة

لقي سفيان الثوريُّ رابعة ـ رحمها الله ـ وكانت زريّة الحال، فقال لها:

يا أُمّ عمرو، أرىٰ حالاً رثّة، فلو أتيت جارك فلاناً لغيَّر بعض ما أرىٰ.

فقالتْ له: يا سفيان، وما ترىٰ من سوء حالي؟ ألست على الإسلام؟ فهو العزُّ الذي لا ذُلَّ معه، والغنىٰ الذي لا فقر معه، والأُنسَ الذي لا وحشة معه.

والله إني لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟

فقام سفيان وهو يقول: ما سمعت مثل هذا الكلام.

[وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٦]

* أستحي أن أسأل الدنيا من يملكها

قال مسمع بن عاصم ورباح القَيْسِيُّ:

شهدنا رابعةَ وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً، فقال لها:

تستعينين بها علىٰ بعض حوائجكِ.

فبكت، ثمَّ رفعتْ رأسها إلىٰ السماء فقالتْ:

هو يعلم أنيِّ أستحيي منه أَنْ أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أَنْ آخذها ممَّن لا يملكها؟ [صفة الصفوة ٤/ ٢٧]

* العابـدة الزاهـدة

قال محمد بن عَمرو:

دخلتُ على رابعة، وكانت عجوزاً كبيرةً بنت ثمانين سنة، كأنَّها الشَّنُّ[1]، تكاد تسقط ورأيت في بيتها كراخة بواري[2]، ومِشْجَب[3] قصبٍ فارسيّ طوله من الأرض قدر ذراعين، وستر البيت جلد، وربَّما كان بُوريّاً، وحُبٌّ[4] وكوز ولِبْد هو فراشها وهو مصلَّاها. وكان لها مِشْجَب من قصبٍ عليه أكفانها.

وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رِعْدة، وإذا مرَّت بقومٍ عَرفوا فيها العبادة. [صفة الصفوة ٢٨/٤]

* امرأة تؤثر الانشغال بالله على الدنيا

قال عبد الله بن المبارك:

ذكر سفيان الثوريُّ امرأةً بالكوفة يُقال لها: (أُمّ حسّان) ذات اجتهاد وعبادة. فدخلنا بيتها، فلم نر فيه شيئاً غير قطعة حصيرٍ خَلَق، فقال لها الثوريُّ:

لو كتبتِ رقعة إلى بعض بني أعمامكِ لغيَّروا من سوء حالك.

فقالتْ: يا سفيان، قد كنتَ في عيني أعظم وفي قلبـي أكبر مُذْ ساعتك هذه؛ إنِّي ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها، فكيف أسأل

---

(١) الشَّنّ: القِرْبة البالية الصغيرة.

(٢) البواري: الحصير. وكراخة بواري: قطع من الحصير.

(٣) المشجب: ما تُعلَّق عليه الثياب.

(٤) الحُبّ: الجرَّة الكبيرة.

من لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها؟ يا سفيان، والله ما أُحِبُّ أن يأتي عليَّ وقتٌ وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالىٰ بغير الله.

فأبكت سفيان.

قال عبد الله: فبلغني أنَّ سفيان تزوَّج بها.

[صفة الصفوة ٣/ ١٨٨]

* امرأة تؤثر العبادة علىٰ نعيم الدنيا

قال محمد بن قدامة:

بلغنا أنَّ امرأة كان يقال لها: (حَسَنة) تركت نعيم الدنيا فأقبلت علىٰ العبادة، فكانت تصوم النهار، وتحيي اللَّيل، وليس في بيتها شيء. كلَّما عطشت خرجت إلى النهر فشربت بكفَّيها، وكانت جميلة، فقالتْ لها امرأة: تزوَّجي.

فقالتْ: هاتِ رجلاً زاهداً لا يكلِّفني من أمر الدنيا شيئاً، وما أظنُّك تقدرين عليه، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا ولا أتنعَّم مع رجال الدنيا، فإنْ وجدتِ رجلاً يبكي ويُبكيني، ويصوم ويأمرني، ويتصدَّق ويحضُّني عليها؛ فبها ونعمت، وإلاَّ فعلىٰ الرِّجال السلام.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٠]

* موعظة زوجة

قالت امرأةٌ لبَعْلها، ورأته مهموماً:

مِمَّ همُّكَ؟ أبِالدنيا فقد فرغ الله منها أم بالآخرة فزادك الله همّاً.

[عيون الأخبار ٢/ ٣٣١]

❑ ❑ ❑

حِسن ورَعِهِنَّ

* **ورع العارفات: (ما كان بين الإمام أحمد وأخت بشر الحافي)**

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

كنتُ مع أبـي يوماً من الأيَّام في المنزل، فدقَّ داقٌّ الباب، قال لي:

اخرج فانظر مَنْ بالباب؟

فخرجتُ، فإذا امرأة، قال: قالت لي:

استأذِنْ لي علىٰ أبـي عبد الله ــ يعني أباه ــ .

قال: فاستأذنته، فقال: أدخِلْها.

قال: فدخلتْ، فجلستْ، فسلَّمتْ عليه وقالت له:

يا أبا عبد الله، أنا امرأة أغزل باللَّيل في السِّراج، فربَّما طُفىء السِّراج فأغزل في القمر، فعليَّ أَنْ أُبيِّن غزل القمر من غزل السِّراج؟

قال: فقال لها: إن كان عندكِ بينهما فرق؛ فعليكِ أن تُبيِّني ذلك؟

قال: قالت له: يا أبا عبد الله أنِينُ المريض شكوىٰ؟

قال: أرجو أن لا يكون شَكْوىٰ، ولكنَّه اشتكاء إلىٰ الله.

قال: فودَّعَتْه، وخرجتْ.

قال: فقال لي: يا بُنيَّ، ما سمعت قطُّ إنساناً سأل عن مثل هذا، اتبعْ هذه المرأة. فانظر أين تدخل؟

قال: فاتبعتها، فإذا قد دخلتْ إلىٰ بيت بِشْر بن الحارث، وإذا هي أختُه.

قال: فرجعتُ، فقلتُ له. فقال:

محال أن تكون مثل هذه إلاَّ أخت بِشْرٍ.

* **وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل:**

جاءتْ مُخَّة أُخت بشر بن الحارث إلى أبـي ، فقالت له:

إنِّي امرأة رأس مالي دانقَيْن، أشتري القطن، فأغزله، فأبيعه بنصف درهم، فأتقوَّت بدانق من الجمعة إلىٰ الجمعة فمرّ ابن طاهر الطائف، ومعه مشعل، فوقف يكلِّم أصحاب المصالح، فاستغنمتُ ضوء المشعل، فغزلت طاقات، ثمَّ غاب عنِّي المشعل، فعلمت أنَّ لله فيَّ مطالبة، فخلِّصني خلَّصكَ الله.

فقال لها: تخرجين الدانقين، ثمَّ تبقين بلا رأس مال حتّىٰ يعوِّضكِ الله خيراً منهما.

فقلتُ لأبـي: يا أَبَهْ، لو قلتَ لها: لو أخرجتِ الغزل الذي أدركتِ فيه الطاقات.

فقال: يا بُنيَّ، سؤالها لا يحتمل التأويل.

ثم قال: من هذه؟

قلتُ: مخَّة أخت بشر بن الحارث.

فقال: من هٰهنا أُتِيتْ.

قال علان القصائديّ: قال بشر بن الحارث:

تعلَّمتُ الورع من أُختي، فإنَّها كانت تجتهد أن لا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧]

* بين إبراهيم الخوّاص وامرأة عابدة

قال أبو الحسن البحرانيّ صاحب إبرهيم الخوَّاص:

سألتْ امرأة من المتعبِّدات إبراهيمَ الخوّاص عن تغيُّرٍ وجدتْه في قلبها، وتغيُّرٍ وجدتْه في حالها، فقال لها:

عليك بالتفقُّد.

فقالت: قد تفقَّدتُ فما رأيتُ شيئاً.

فأطرق الخوَّاص ساعةً ثمَّ رفع رأسه، وقال:

أما تذكرين ليلة المِشْعَل؟

فقالتْ: بَلىٰ.

فقال: هذا التغيُّر من ذلك.

فبكتْ، وقالتْ: نعم كنتُ أغزل فوق السطح فانقطع خيطي، فمرَّ مِشْعَل السلطان، فغزلتُ في ضوئه خيطاً، ثمَّ أدخلتُ ذلك الخيط في غَزْلِ، ونسجتُ منه قميصاً ولبسته.

ثمَّ قامتْ إلىٰ ناحيةٍ، فنزعت القميص وقالتْ:

يا إبراهيم، إنْ أنا بعته، وتصدَّقتُ بثمنه يرجع قلبي إلىٰ الصفاء؟

فقال: إن شاء الله تعالىٰ ذلك.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٣١ ــ ٥٣٢]

* من عجائب أحوال الوَرِعات

عن عبد الله بن أحمد بن بكر قال:

كان لأبـي الحسن المكّيِّ ابنة مقيمة بمكَّة أشدّ ورعاً منه، وكانت لا تقتاتُ إلَّا ثلاثين درهماً يُنفِذها إليها أبوها في كلِّ سنة مما يستفضله من ثمن الخُوص الذي يُسفّه ويبيعه.

فأخبرني ابن الرواس التمّار، وكان جاره، قال:

جئت أودِّعه للحجِّ، وأستعرض حاجته، وأسأله أن يدعو لي، فسلَّم إليَّ قرطاساً، وقال:

تسأل بمكَّة عن الموضع الفلانيّ عن فلانة، وتسلِّم هذا إليها.

فعلمتُ أنَّها ابنته، فأخذتُ القِرطاس، وجئت، فسألتُ عنها فوجدتُها بالعبادة والزهد أشدَّ اشتهاراً من أن تَخْفىٰ، فتتبَّعت نفسي أن يصل إليها شيء من مالي يكون لي ثوابه، وعلمتُ أنَّني إنْ دفعتُ إليها ذاك لم تأخذه. ففتحت القِرطاس، وجعلت الثلاثين خمسين درهماً، ورددته كما كان وسلَّمته إليها، فقالت:

أيّ شيءٍ خبر أبـي؟

فقلتُ: سلامه.

فقالتْ: قد خالط أهل الدنيا، وترك الانقطاع إلى الله تعالىٰ.

وقالت: أسألك بالله وبمن حججتَ إليه عن شيءٍ فتصدقني؟

فقلتُ: نَعَمْ.

فقالتْ: خلطت بهذه الدراهم شيئاً من عندك؟

فقلتُ: نَعَمْ، فمن أين علمت بهذا؟

قالتْ: ما كان أبـي يزيدني علىٰ الثلاثين شيئاً؛ لأنَّ حاله لا يحتمِل أكثر منها إلاَّ أن يكون ترك العبادة، فلو أخبرتني بذلك ما أخذتُ منه ــ أيضاً ــ شيئاً.

ثمَّ قالت لي: خذ الجميع فقد عققتَني من حيث قدَّرت أنَّك تبرُّني.

فقلتُ: ولم؟

قالتْ: لا آكل شيئاً ليس هومن كسبـي ولا كسب أبـي، ولا آخذ من مالٍ لا أعرف كيف هو شيئاً.

فقلتُ: خذي منها الثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردّي الباقي فقالتْ: لو عرفتها بعينها من جُملة الدراهم لأخذتُها، ولكن قد اختلطتْ بما لا أعرف جِهته، فلا آخذ منها شيئاً، وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل؛ لأنَّ هذه كانتْ قُوتي تلك السَّنة، فقد أجعْتني، ولولا أنَّكَ ما قصدت أذايَ لدعوتُ عليك.

قال: فاغتممْتُ، وعُدْتُ إلىٰ البصرة، وجئتُ إلى أبـي الحسن فأخبرتُه، واعتذرتُ إليه، فقال:

لا آخذها، وقد اختلطت بغير مالي، وقد عقَقْتَني وإيّاها.

قال: فقلتُ: فما أعمل بالدراهم؟

قال: لا أدري.

فما زلتُ مدَّةً أعتذر إليه، وأسأله ما أعمل بالدراهم؟

فقال لي بعد مدَّةٍ: تصدَّق بها.

ففعلتُ.

[صفة الصفوة ٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧]

❑ ❑ ❑

من نبذهن الحرام

*** الصبر على نَبْذ الحرام**

قالتْ رابعة العدويّة لأبيها:

يا أَبَهْ، لستُ أجعلكَ في حِلٍّ من حرام تُطعمنيه.

فقال لها: أرأيتِ إنْ لم أجد إلاَّ حراماً؟

قالتْ: نصبر في الدنيا علىٰ الجوع خير من أَنْ نصبر في الآخرة علىٰ النار. [وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٥]

*** أكل المشبوه يُفوِّت الطاعة**

قال أبو عبد الرَّحمٰن السلميّ:

كانت مُعاذة العدويَّة أرضعتْ أُمَّ الأسود بنت زيد العدويَّة. وقالتْ أُمّ الأسود: قالتْ لي معاذة العدويَّة:

لا تُفْسدي رضاعي بأكل الحرام، فإنِّي جهدتُ جُهدي حين أرضعتُكِ حتى أكلتِ الحلال، فاجتهدي ألاَّ تأكلي إلاَّ حلالاً لعلَّكِ أَنْ تُوفَّقي لخدمة سيِّدكِ والرضا بقضائه.

فكانت أُمُّ الأسود تقول: ما أكلت شبهةً إلاَّ فاتَتْني فريضة أو وِردٌ من أورادي. [صفة الصفوة ٤/ ٣٢]

* مطلقة البزّاز وضرَّتها

كان ببغداد رجل بزّاز[1] له ثروة، فبينا هو في حانوته أقبلتْ إليه صبيّة فالتمستْ منه شيئاً تشتريه. فبينا هي تحادثه كشفتْ وجهها في خلال ذلك، فتحيَّر، وقال:

قد، واللّهِ، تحيَّرتُ ممّا رأيتُ.

فقالت: ما جئتُ لأشتري شيئاً، إنَّما لي أيّام أتردَّد إلىٰ السوق ليقع بقلبي رجلٌ أتزوّجه، وقد وقعتَ أنتَ بقلبي، ولي مالٌ، فهل لك في التزوُّج بي؟

فقال لها: لي ابنة عمٍّ وهي زوجتي، وقد عاهدتها ألاَّ أُغيِّرها، ولي منها وَلَدٌ.

فقالتْ: قد رضيتُ أن تجيء إليّ في الأُسبوع نوبتَيْن.

فرضِي، وقام معها، فعقد العَقْد، ومضىٰ إلىٰ منزلها، فدخل بها.

ثمَّ ذهب إلىٰ منزله، فقال لزوجته:

إنَّ بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده.

ومضىٰ، فبات عندها. وكان يمضي كلَّ يومٍ بعد الظهر إليها.

فبقي علىٰ هذا ثمانية أشهر. فأنكرتْ ابنة عمّه أحواله، فقالتْ لجارية لها:

إذا خرج فانظري أين يَمْضي؟

فتبعته الجارية، فجاء إلىٰ الدكّان، فلمّا جاءت الظُّهْر قام، وتبعته

(١) البزّاز: بائع البَزّ. والبَزُّ: الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها.

الجارية، وهو لا يدري، إلىٰ أن دخل بيت تلك المرأة. فجاءت الجارية إلىٰ الجيران فسألتهم: لمن هذه الدار؟

فقالوا: لصبيّة قد تزوَّجت برجلٍ تاجرٍ بزّازٍ.

فعادت إلىٰ سيِّدتها، فأخبرتها، فقالت لها:

إيَّاكِ أن يعلم بهذا أحدٌ.

ولم تُظهِر لزوجها شيئاً.

فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض، ومات، وخلَّف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي هي ابنة عمّه إلى ما يستحقُّه الولد من التركة، وهو سبعة آلاف دينار، فأفردتْها وقسمتِ الآلاف الباقية نصفين، وتركت النِّصف في كيس، وقالتْ للجارية:

خذي هذا الكيس واذهبي إلىٰ بيت المرأة، وأعلميها أنَّ الرجل مات، وقد خلَّف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقِّه، وبقيتْ ألف فقَسَمتها بيني وبينكِ، وهذا حقُّكِ، وسلِّميه إليها. فمضت الجارية، فطرقَتْ عليها الباب، ودخلتْ، وأخبَرتْها خبر الرَّجل.

وحدَّثَتْها بموته، وأعلمتْها الحال، فبكتْ، وفتحت صندوقها، وأخرجتْ منه رقعةً، وقالت للجارية:

عُودي إلىٰ سيِّدتك، وسلِّمي عليها عنِّي، وأعلميها أنَّ الرَّجل طلَّقني، وكتب لي براءة، ورُدِّي عليها هذا المال، فإنِّي ما أستحقُّ في تركته شيئاً.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣]

❑ ❑ ❑

من كراماتهن

*** من كرامات مريم بنت عمران**

أخبر الله عزَّ وجلَّ بالقرآن الكريم من قِصَّة مريم بنت عمران ــ رضي الله تعالى عنها ــ فقال:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾(١) يعني من الجنَّة.

وقيل: إنَّ مريم من حين ولدت لم تُلْقَم ثَدْياً بل كان يأتيها رزقُها من الجنَّة، فيقول زكريّا:

يا مريمُ أنَّىٰ لك هذا؟

فتقُول: هو من عند الله.

تكلَّمت وهي صغيرة في المهد كما تكلَّم ولدها عيسىٰ عليه السلام.

فقد كانت في كفالة زكريَّا عليه السلام، وكان لا يدخل عليها أحد غيره، وكان إذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب، وإذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشِّتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشِّتاء، فتعجَّب من ذلك، وسألها فأجابته: بأنَّه من عند الله، وإنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

قال ابن عبّاس ــ رضي الله عنهما ــ :

كان عِنَباً في مكتل، ولم يكن في تلك البلاد، ودلَّت الآية علىٰ وجود الرِّزق عندها في كلِّ وقتٍ يدخل عليها والمعنىٰ إنَّه غذاءٌ تتغذّىٰ به لم يعهده عندها:

﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[1].

استغرب زكريا وجود الرزق عندها، وهو لم يكن أتىٰ به، وتكرّر وجوده عندها كلَّما دخل عليها فسألها علىٰ سبيل التعجب من وصول الرِّزق إليها وكيف أتىٰ هذا الرزق قالت: «هو مِنْ عند اللّهِ».

ومن كراماتها قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾[2].

وكان في غير أوانه. رُوي أنَّها كانت نخلةً يابسةً لا رأس لها ولا ثَمَر. وكان الوقت شتاءً فهزَّتها، فجعل الله تعالىٰ لها رأساً وخُوصاً[3] ورُطْباً[4].

قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ :

كان جذعاً نخراً فلمَّا هزَّته إذا السعف[5] قد طلع، ثمَّ نظرت إلىٰ الطلع

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٥.

(٣) الخُوص: ورق النَّخل.

(٤) الرُّطب: الرُّطَب: ثمر النخل إذا حلا ولان قبل أن يصير تمراً. والرَّطْب: النديُّ من الغصون وغيرها.

(٥) السَّعف: ورق النَّخل.

يخرج من السعف، ثمَّ اخضرَّ فصار بَلَحاً، ثمَّ احمرَّ فصار زهواً، ثمَّ رُطباً، كلُّ ذلك في طَرْفة عين، فجعل الرُّطب يقع من بين يديها.

وهذه الأفعال الخارقة للعادة كرامات لمريم ــ رضي الله عنها ــ.

[التحفة المستطابة ١٣٤ ــ ١٣٦]

* من كرامات آسية امرأة فرعون

عن أبـي هريرة ــ رضي الله تعالىٰ عنه ــ قال:

إنَّ فرعون أوتد لزوجته أربعة أوتاد في يديها ورِجليها، فكانوا إذا تفرَّقوا عنها أظلَّتها الملائكة، فقالت:

﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾[1].

فكُشِف لها عن بيتها في الجنَّة.

وعن سلمان الفارسيِّ ــ رضي الله عنه ــ قال:

إنَّ آسية بنت مزاحم امرأة فرعون كانت تُعذَّب، فإذا انصرفوا أظلَّتْها الملائكة بأجنحتها، وترىٰ بيتها في الجنَّة. [التحفة المستطابة ١٣٦]

* يـوم الوشـاح

عن عائشة ــ رضي الله تعالىٰ عنها ــ قالت:

أسلمتْ أَمَةٌ سوداء لبعض العرب، فكان لها حِفْش[2] في المسجد.

قالتْ: فكانت تأتينا فتُحدِّث عندنا، فإذا فرغتْ من حديثها قالتْ:

---

(١) سورة التحريم: الآية ١١.

(٢) الحِفْش: بيت صغير قريب السقف، والخيمة الصغيرة.

ويومُ الوشاح مِنْ تعاجيب ربِّنا، أَلا إنَّه من بلدة الكُفْر نجَّاني.

فلما أكثرتْ قلتُ لها: وما يومُ الوِشاح؟

قالتْ: خرجتْ جُوَيريةٌ لبعض أهلي وعليها وشاح من أدم، فسقط منها. فانحطَّت عليه الحِدَأَة وهي تحسبه لحماً، فأخذته، فاتَّهموني به، فعذَّبوني حتىٰ بلغ من أمري أنَّهم طلبوه في قُبُلي.

فبينا هُم حولي وأنا في كَرْبي إذ أقبلتْ الحديا حتىٰ وازت رؤوسنا، ثمَّ ألقَتْه فأخذوه، فقلتْ لهم:

هذا الذي اتهمتموني وأنا منه بريئة. [صفة الصفوة ٢/ ٧٥]

* من كرامات أمّ أيمن المهاجرة

خرجتْ أُمُّ أيمن مهاجرةً إلىٰ رسول الله ﷺ من مكَّة إلىٰ المدينة، وهي ماشية ليس معها زاد، وهي صائمة في يومٍ شديد الحرِّ، فأصابها عطَش شديد حتّىٰ كادت تموت من شدَّة العطش.

قال: وهي بالرَّوحاء[1] أو قريباً منها. قالت:

فلمَّا غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيءٍ فوق رأسي، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بدلوٍ من السماء مُدَلَّىً برِشاءٍ[2] أبيض.

قالتْ: فلقد كنتُ بعد ذلك في اليوم الحارِّ أطوف في الشمس كي أعطش فما عطِشْتُ بعدها.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٤ ــ ٥٥، الإصابة ٤/ ٤٣٢]

---

(١) الرَّوْحاء: موضع بين الحَرَمَيْن على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة المنوّرة.

(٢) الرِّشَاء: الحَبْل.

* زِنِّيرة

كانت زِنِّيرة روميَّةً، فأسلمتْ، فذهب بصرُها، فقال المشركون: أعمتها اللاَّت والعُزّىٰ.

فقالتْ: إنِّي كفرت باللاَّتِ والعُزَّىٰ.

فردَّ الله إليها بصرَها. [الإصابة ٤/ ٣١٢]

* العجوز المهاجرة

عن أنس ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال:

دخلنا علىٰ رجل من الأنصار، وهو مريض ثقيل، فلم نبرَح حتّىٰ قضىٰ.

فبسَطْنا عليه ثوبه، وأمٌّ له عجوز كبيرة عند رأسه، فالتفتَ إليها بعضُنا فقال:

يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله ــ عزَّ وجلَّ ــ .

قالتْ: وما ذاك؟ أمات ابني؟

قلنا: نعم.

قالتْ: أحقٌّ ما تقولون؟

قلنا: نعم.

قالتْ: أحقّ ما تقولون؟

قلنا: نعم.

فمدَّت يدها إلىٰ الله فقالتْ:

اللَّهمَّ، إنَّك تعلم أنِّي أسلمتُ وهاجرتُ إلى رسولك ﷺ رجاء أن تُعينني عند كلِّ شدَّةٍ ورخاءٍ، فلا تُحمِّلْني هذه المصيبةَ اليومَ.

قال: فكشف عن وجهه فما برِحْنا حتىٰ طعِمْنا معه.

[صفة الصفوة ٢/ ٧٣]

* أُمّ شريك وكرامة السقيا

أسلمت أُمُّ شريك في مكَّة، ثمَّ جعلت تدخل علىٰ نساء قُريشٍ سِرّاً، فتدعوهنّ، وترغِّبُهنَّ في الإسلام، حتّىٰ ظهر أمرها لأهل مكَّة، فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنَّا سنردُّك إليهم.

قالت: فحمَلُوني على بعير ليس تحتي شيءٌ، ثمَّ تركوني ثلاثاً لا يُطعموني، ولا يسقوني، وإذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس، وحبسوني عن الطعام والشّراب، فبينما هم قد نزلوا وأوثقوني في الشمس إذا أنا بأَبْردِ شيءٍ علىٰ صدري، فتناولتُه، فإذا هو دَلْو من ماءٍ، فشربتُ منه قليلاً، ثمَّ نُزع منّي، ثمَّ عاد فشربتُ، ثمَّ رُفِع، ثمَّ عاد، ثمَّ رُفِع مراراً، ثمَّ تُرِكتُ فشربتُ حتّىٰ رويتُ، ثمّ أفضتُ سائره علىٰ جسدي وثيابي، فلمَّا استيقظوا إذا هم بأثر الماء، فقالوا:

أتحللتِ، فأخذتِ سقانا؟

قلتُ: لا والله. ولكنَّه كان من الأمر كذا وكذا.

قالوا: لئن كنتِ صادقة لدينُك خيرٌ من ديننا.

فلمَّا نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها، فأسلموا عند ذلك. وأقبلتْ إلى النبي ﷺ فوهبتْ نفسها له بغير مهر، فقبلها ودخل عليها.

[أحسن المحاسن: ١٥٨ ــ ١٥٩]

* من كرامة روضة رضي الله عنها

عن روضة ــ رضي الله تعالىٰ عنها ــ قالتْ:

كنتُ وَصِيفةً لامرأةٍ بالمدينة، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ من مكَّة إلى المدينة قالت لي مولاتي:

يا روضة، قُومي علىٰ باب الدَّار، فإذا مرَّ هذا الرَّجل فأعلميني.

فقمتُ، فأتىٰ النبيُّ ﷺ في نفر من أصحابه، فأخذتُ بطرف ردائه، فتبسَّم في وجهي. قالت روضة:

وأظنُّه مسح علىٰ رأسي، فقلت لمولاتي: هو ذا قد جاء الرَّجل.

فخرجت مولاتي، ومن كان معها في الدار، فعرَض عليهم الإسلام فأسلموا.

قال عبد الجليل: وحدَّثني شيبة قال:

رأيت روضة معي في الدار في بني سُلَيْم إذا اشترىٰ الجيران مملوكاً أو خادماً أو ثوباً أو طعاماً قالوا لها:

يا روضة، ضعي يدكِ عليه.

فكانت كلّ شيءٍ تمسُّه فيه البركة.

[التحفة المستطابة ١٤٣]

* حديث المرأة الصالحة مع الثعبان الأسود

عن يحيىٰ بن سعيد قال:

لمَّا حضرتْ عمرةَ بنتَ عبد الرحمٰن ــ رضي الله عنهما ــ الوفاةُ؛ اجتمع عندها ناس من التابعين مثل عروة والقاسم، إذْ سمعوا نقيضاً من

السقف، فإذا ثُعبان أسود قد سقط كأنَّه جِذْع عظيم، فأقبل يهوي نحوها، إِذْ سقط رقٌّ[1] أبيض فيه مكتوب:

بسم الله الرَّحمن الرحيم، من ربِّ كعب إلىٰ كعب، ليس لك علىٰ بنات الصالحين سبيل.

فلمَّا نظر إلى الكتاب؛ سما حتىٰ خرج من حيث نزل.

[التحفة المستطابة ١٤٦]

* الزوجة الأنصاريّة والرَّحىٰ

عن أبـي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال:

إنَّ رَجُلاً من الأنصار ــ رضي الله عنه ــ كان ذا حاجةٍ، فخرج يوماً وليس عند أهله شيءٌ، فقالت امرأته:

لو إنيِّ حرَّكتُ رحاي وجعلتُ في تنُّوري سعفات (أي حطبات)، فسمع جيراني صوت الرَّحىٰ، ورأوا الدُّخان، فظنُّوا أنَّ عندنا طعاماً ما بنا خصاصة.

فقامتْ إلى تنُّورها، وأوقدته، وقد حرَّكت الرَّحىٰ، فأقبل زوجها، وسمع الرّحىٰ، فقال:

ما تطحنين.

فأخبرتْهُ، فدخل، وإنَّ رحاها لتدور، وتصبُّ دقيقاً، فلم يبق في البيت وعاءٌ إلَّا مُلِيء. ثمَّ خرجتْ إلىٰ تنُّورها، فوجدته مملوءاً خُبْزاً. فأقبل زوجها، فذكر لرسول الله ﷺ.

قال: «فما فعلت الرَّحىٰ».

(١) الرَّقُّ: الصحيفة البيضاء، وجِلْد رقيق يُكتَب فيه.

قال: رفعتُها ونفضتُها.

قال ﷺ:

«لو تركتموها ما زالتْ كما هي لكم حياتَـكم».

[التحفة المستطابة ١٤٧]

* **حفصة بنت سيرين وضوء السراج**

قال هشام:

كانتْ حفصة بنتُ سيرين تُسْرِج سِراجها من اللَّيْل، ثمَّ تقوم في مصلَّاها، فرُبَّما طُفِىء السِّراجُ، فيُضيءُ لها البيت حتىٰ تُصبِح.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٦]

* **«ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»**

كانتْ أُمُّ هارون تمشي من دمشق إلىٰ بيت المَقْدِس، فقالت: يا قاسم ـ تعني الجوعيَّ ـ ، كنتُ أمشي بِبَيْسَان (قرية في فلسطين جنوبي طبريَّة)، فإذا قد عرض لي هذا الكلبُ الأسَدُ، فمشىٰ نحوي، فلمَّا قرُبَ منِّي نظرتُ إليه فقُلتُ:

تعالَ يا كلبُ، إنْ كان لك رِزْق فكُلْ. فلمَّا سمع كلامي أقعىٰ[1]، ثمّ ولَّى راجعاً.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٠٤]

---

(١) الإقعاء: هو الجلوس على الأليتين ونَصْب الساقين والفخذين.
وأقعى الكلب: جلس علىٰ مؤخَّرته وبسط ذراعيه مفترِشاً رِجْلَيه وناصِباً يديه.

* الأُمّ المراعية لما لله عزّ وجلَّ عليها

قال غيلان صاحب السريّ السقطيّ:

كان لسريٍّ تلميذة، وكان لها ولد عند المعلِّم في الكُتَّاب، فبعث به المعلِّم إلىٰ الرَّحىٰ، فنزل الصبيُّ في الماء فغرِق. فجاء المعلِّم إلىٰ سريٍّ فأخبره بذلك فقال سريٌّ:

قُوموا بنا.

فمضَوا إلىٰ أُمِّه، فجلس عندها، وتكلَّم سرِيّ في علم الصَّبْر إلىٰ حدٍّ ما، ثمَّ تكلَّم عليها في علم الرِّضا. فقالت له:

يا أستاذي وأيَّ شيءٍ تريد بهذا؟

فقال لها: إنَّ ابنك قد غرِق.

فقالتْ: ابني؟

قال لها: نَعَم.

فقالتْ: إنَّ ربِّـي ــ عزَّ وجلَّ ــ ما فعل هذا.

ثمَّ عاد سريٌّ في كلامه في الصَّبْر، فقالتْ:

قُوموا بنا.

فقاموا معها حتىٰ انتَهَوا إلى النهر، فقالتْ:

أين غرق؟

فقالوا: هٰهنا.

فصاحت: ابني محمد، فأجابها:

لبَّيْك يا أُمّاه.

فنزلت، فأخذتْ بيده، ومضت به إلى منزلها.

قال غيلان: فالتفت سَرِيٌّ إلىٰ الجُنَيْد، وقال:

أيّ شيءٍ هذا؟

فقال جُنَيد: أقول بمقال سَرِيّ، قال:

إن المرأة مراعية لما لله ــ عزَّ وجلَّ ــ عليها، وحكم من كان مراعياً لِمَا لله ــ عزَّ وجلَّ ــ عليه ألاَّ تحدُث حادثة حتىٰ يعلم بذلك، فلمَّا لم تكن حادثةً تعلمها بذلك أنكرتْ، وقالتْ:

إنَّ ربِّـي ــ عزَّ وجلَّ ــ ما فعل هذا.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٣٠ ــ ٥٣١]

❑ ❑ ❑

من رثائهن

* رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله ﷺ

أخرج البخاريُّ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:

لمَّا ثقُل النبـيُّ ﷺ جعل يتغشّاه الكربُ، فقالت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ : واكَرْب أبتاه.

فقال لها: «ليس علىٰ أبيك كرب بعد اليوم».

فلمّا مات ﷺ قالت، رضي الله تعالىٰ عنها:

وا أبتاه، أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه، من جنَّة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلىٰ جبريل ننعاه. [حياة الصحابة ٢/ ٣٤٧]

* من شعر فاطمة الزهراء في رثاء أبيها ﷺ

وروي أنَّ فاطمة ـ رضي الله عنها ـ وقفتْ علىٰ قبره ﷺ، وقالتْ:

إنَّا فقدناكَ فقدَ الأرضِ وابلَها[1] ... وغابَ مُذْ غِبتَ عنا الوَحْيُ والكُتُبُ

فليت قبلكَ كان الموتُ صادفنا ... لمَّا نُعِيتَ وحالتْ دونَكَ الكُثُبُ

[نهاية الأرب ٥/ ١٦٨ ـ ١٦٩]

---

(١) الوابل: المَطَرُ الشديد، الضَّخْم القَطْر.

* **من شعر فاطمة الزهراء بعد دفن أبيها ﷺ**

لمَّا تُوفِّي رسول الله ﷺ دُفِن ورجع المهاجرون والأنصار إلىٰ رحالهم، ورجعت فاطمة إلىٰ بيتها، فاجتمع إليها نساؤها، فقالتْ:

اغبَّـر آفـاق السمـاء وكُـوِّرتْ ... شمس النهار، وأظلم العَصْرانِ[1]
فـالأرضُ مـن بعـد النبـيِّ كئيبـة ... أَسَفـاً عليـه كثيـرةُ الـرَّجَفـانِ
فليبكـه شـرقُ البـلاد وغَـرْبُها ... وليبكـه مُضَـرٌ وكـلُّ يَمَـانِ
وليبكـه الطُّـور المعظّـم جـوُّهُ ... والبيـت ذو الأستـارِ والأركـانِ
يـا خـاتـم الـرُّسْل المبارك ضوءُه ... صلَّـىٰ عليـكَ منـزِّل الفُـرقـانِ

[زهر الآداب ١/ ٧٠]

* **صفية بنت عبد المطَّلب ترثي رسول الله ﷺ**

وأخرج الطبرانيُّ عن عروة قال:

قالت صفيَّة بنت عبد المطَّلب رضي الله عنها ترثي رسول الله ﷺ:

لهـف نفسـي وبـتُّ كـالمسلـوبِ ... أرقـب اللَّيـل فَعْلـة المحـروبِ[2]
مِـنْ همـومٍ وحسـرةٍ أرَّقتْنـي ... ليـت أنـي سُقيتُهـا بشَعـوبِ[3]
حين قالوا إن الرسول قد امسىٰ ... وافقتـه منيَّـة المكتُـوبِ
حيـن جئنـا لآل بيـت . . . محمّـد ... فـأشـاب القَـذال أيّ مشيـبِ[4]
إذْ رأينـا بيـوتـه مـوحشـاتٍ ... ليـس فيهـنَّ بعـد عيـشٍ غـريـبِ

---

(١) كُورت الشمس: إذا لفت، وذهب ضوْؤها
العصران: الغَداة والعشيّ، واللَّيلُ والنّهار. وهو مثنًّى لا مفرد له من لفظه.

(٢) المحروب: المَسْلوب.

(٣) شعوب: هي المنيَّة. لأنَّها تشعب الشمل وتبدِّدة.

(٤) القَذال: ما بين الأُذُنَين من مُؤَخَّر الرأس.

فعـراني لـذاك حُـزْنٌ طـويـل خـالـط القلـبَ فهـو كـالمَـرعـوبِ

وقالت أيضاً:

ألا يـا رسـولَ الله كنـتَ رخـاءنـا وكنـتَ بنـا بَـرّاً ولـم تَـكُ جـافيـا
وكـان بنـا بـرّاً رحيمـاً نبيُّنـا لِيَبْكِ عليك اليوم من كـان بـاكيـا
لعمري مـا أبكي النبيَّ لموتـه ولكـن لهَـرْجٍ كـان بعـدك آتيـا
كـأنَّ علـىٰ قلبـي لِفَقْـد محمـد ومـن حبّـه مـن بعـد ذاك المكـاويـا
أفـاطـمَ صلَّـىٰ الله ربُّ محمّـدٍ علىٰ جَدَثٍ أمسىٰ بيثرب ثاويا[1]
أرىٰ حَسَنـاً أيتمتـه وتـركتَـه يُبكّي، ويدعو جدَّه اليوم نائيا
فـدىً لـرسـول الله أُمّي وخـالتي وعمِّي ونفسي قصـره وعيـاليـا
صبـرتَ وبلّغـتَ الـرسـالـة صـادقـاً ومتَّ صليب الدين أبلج صافيا[2]
فلـو أنَّ ربَّ العـرش أبقـاكَ بيننـا سعـدنـا ولكـن أمـره كـان مـاضيـا
عليـك مـن الله السـلامُ تحيَّـة وأُدخلتَ جنَّاتٍ من العَدْنِ راضيا

عند الطبرانيِّ عن محمَّد بن عليٍّ بن الحسين قال:

لمَّا قُبض رسول الله ﷺ خرجتْ صفيَّة ــ رضي الله عنها ــ تلمع بردائها، وهي تقول:

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهَنْبَثـة لو كنت شاهدَها لم تكثُر الخُطَبُ[3]

[حياة الصحابة ٢/ ٣٤٧ ــ ٣٤٩]

---

(١) الجَدَث: القَبْر.
الثاوي: المقيم في المكان لا يغادره.

(٢) الصليب: الشديد القويّ ذو الصلابة.
الأبلج: الواضح المضيء.

(٣) الهنبثة: الأمر الشديد. وهنا يعني: الاختلاط في القول.

* **عائشة أم المؤمنين ترثي أباها الصّدّيق**

لمّا تُوفِّي أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقفت عائشة علىٰ قبره، فقالتْ: نضَّر الله وجهَك يا أبتِ، وشكر لك صالح سَعْيك، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلاً بإدبارك عنها، وللآخرة معزّاً بإقبالك عليها، ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤكَ، وأعظمَ المصائب بعده فقدك، إنَّ كتاب الله ليعد بحُسْن الصَّبر عنك حُسْنَ العِوَض منك، وأنا أستنجز موعودَ الله تعالىٰ بالصبر فيك، وأستقضيه بالاستغفار لك، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمتَ بأمر الدين لمّا وهىٰ شَعْبُهُ[١]، وتفاقم صَدْعُهُ[٢]، ورَجَفتْ جوانبُه[٣]؛ فعليك سلام الله توديعَ غير قاليةٍ[٤] لحياتك، ولا زاريةٍ[٥] علىٰ القضاء فيكَ.

[زهر الآداب ١/ ٧١ ـ ٧٢] [نهاية الأرب ٥/ ١٧٠]

* **عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطّاب**

لمَّا قتل أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شُعبة سيِّدنا عمر بن الخطّاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل زوجتُه ترثيه:

عَيْـنُ جُـودي بعَبْـرةٍ ونحيـبِ ولا تملِّـي علـى الأميـن النَّجيـبِ
فجعتنـي المنـونُ بـالفـارس المُعلَـم يـوم الهيـاج والتثـويـبِ[٦]

---

(١) وهى شَعْبُه: تفرَّق شملُه.

(٢) تفاقم صدعه: اتسع كسره. والصدع في الأصل: كسر الزجاجة.

(٣) رجفت: اضطربت.

(٤) القالية: المبغضة، والكارهة.

(٥) زارية: عائبة.

(٦) المُعلَم: هو الذي علق عليه صوف ملوَّن في الحرب. التثويب: الدعاء.

عصمةَ الناسِ والمُعِينُ على الدَّهْرِ وغيثُ المحروم والمحروبِ

قل لأهل الضرّاء والبؤس موتوا قد سقَتْهُ المنونُ كأس شَعُوبِ

وقالت أيضاً ترثيه:

وفجَّعني فيروزُ لا درّ درُّهُ بأبيض تالٍ للكتاب مُنيبِ

رؤوف على الأدنىٰ غليظ على العِدا أخي ثقةٍ في النائباتِ نجيبِ

متىٰ ما يقُلْ لا يكذب القولَ فعلُهُ سريع إلىٰ الخيراتِ غير قَطُوبِ[1]

[زهر الآداب ١/ ٧٤ ـ ٧٥]

* الأُمّ الصابرة

قال عبد الرحمن بن عمر:

دخلتُ علىٰ امرأة من نجد بأعلىٰ الأرض في خِباءٍ لها، وبين يديها بُنَيٌّ لها قد نزل به الموت، فقامت إليه، فأغمضتْه، وعَصَبتْه، وسجَّتْه، وقالتْ:

يا ابن أخي.

قلتُ: ما تشائين؟

قالتْ: ما أحقَّ من أُلبسَ النِّعمة، وأُطيلَتْ به النظرة أن لا يدع التوثُّق من نفسه قبل حلِّ عُقدته، والحُلول بعَقْوَته[2]، والمحالة بينه وبين نَفْسِه.

قال وما يقطر من عينها دمعةٌ صَبْراً واحتساباً.

ثمَّ نظرتْ إليه، فقالتْ: والله ما كان مالُه لبطنه ولا أمرُه لعِرْسه.

ثمَّ أنشدت:

---

(١) قَطُوب: العَبُوس.

(٢) العَقْوَة: الساحة، والمراد بها القبر.

رحيــبُ ذراعٍ بــالتــي لا تَشِينُــهُ[1] وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذَرْعا

[العقد الفريد ٣/ ٢٤٣]

* رثاء ودعاء

وقفتْ أعرابيّة علىٰ قبر أبيها فقالتْ:

يا أبتِ، إنَّ في الله تبارك وتعالىٰ من فَقَدِك عِوَضاً، وفي رسِول الله ﷺ من مصيبتكَ أُسوة.

ثمَّ قالتْ:

اللَّهمَّ، نزلَ بك عبدُك مُقفِراً من الزاد، مُخْشَوْشِن المهاد، غنيّاً عمَّا في أيدي العباد، فقيراً إلىٰ ما في يدَيْك يا جوَّاد، وأنت، أي ربِّ، خيرُ من نزل به المؤمِّلون، واستغنىٰ بفضله المقِلوُّن، وولج في سعة رحمته المُذنِبون. اللَّهمّ، فليكُنْ قِرىٰ عبدك منك رحمتَك، ومهادُه جنّتك. ثمَّ انصرفت.

[العقد الفريد ٣/ ٢٤٢]

* دعاء أُمّ ثكلىٰ

قال الأصمعيُّ:

مات ابنٌ لأعرابيّة، فما زالت تبكي حتىٰ خدد الدَّمع خدَّها، ثمَّ استرجعت، فقالتْ:

اللَّهمَّ، إنَّك قد علمت فرط حبّ الوالدين لولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببرِّه، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك حضضته علىٰ طاعتهما.

---

(١) الشيْن: العَيْب.

اللَّهمَّ، إنَّ ولدي كان من البارّ بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجزه منِّي بذلك صلاةً ورحمةً ولقِّه سروراً ونضرة.

فقال لها أعرابـيٌّ: نِعْمَ ما دعوتِ له لولا أنَّك شبته من الجزع بما لا يُجدي.

فقالتْ: إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفُه ولا في القدرة منعه، واللَّهُ وليّ عُذري بفضله، فقد قال عزَّ وجلَّ:

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

[الأذكياء ٢٥٣ ــ ٢٥٤]

❑ ❑ ❑

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

من صبرهن

من صبرهن علىٰ محنة الموت

*** صبر أُمّ خلّاد على فقد ولدها خلّاد**

أخرج ابن سعد عن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس ــ رضي الله تعالىٰ عنه ــ قال:

قتل يوم قُرَيْظة رجل من الأنصار يُدعىٰ خلَّاداً ــ رضي الله عنه ــ قال: فأُتيتْ أُمُّه فقيل لها:

يا أُمَّ خلَّاد قُتِل خلّاد.

قال: فجاءت متنقِّبة، فقيل لها:

قُتِل خلَّاد وأنت متنقِّبة!

قالت: إن كنت رُزِئتُ[1] خلّاداً فلا أُرزأ حيائي.

فأُخبِر النبـي ﷺ بذلك فقال:

«أما إنَّ له أجر شهيدَيْن».

---

(١) رزأ: أصاب، تقول رزأت فلاناً ماله: أخذت منه شيئاً.

قال: قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟

فقال: لأنَّ أهل الكتاب قتلوه.

[حياة الصحابة ٢/ ٥٨٩]

* صبر الرُّبَيِّع بنت النضر على فقد ولدها حارثة

سألت الرُّبَـيِّع بنت النضر أُمُّ حارثة الرسول ﷺ عندما استُشهد ابنها في غزوة أُحد، فقالتْ:

أخبرني عن حارثة، فإن يكُن في الجنَّة صبرتُ واحتسبت، وإن كان غير ذلك أجتهد في البكاء.

فقال لها النبـيُّ ﷺ: «إنَّه أصاب الفردوس».

[الإصابة ٤/ ٣٠١]

وفي رواية: فقال: «يا أُمَّ حارثة، إنّها ليست بجنَّة ولكنّها جنّة في جنّات، والحارث في الفردوس الأعلى».

فرجعت وهي تضحك وتقول: بخٍ بخٍ، يا حارث.

* صبر أمّ سليم على فقد ولدها

مات ابن لأبـي طلحة من أُمِّ سُليم، فقالتْ لأهلها:

لا تحدِّثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أُحدِّثه.

فجاء، فقرَّبت له عشاءه فأكل وشرب، ثمّ تصنَّعت له أحسن ما كانت تصنَّع قبل ذلك، فوقع بها، فلمَّا رأته قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أنَّ قوماً أعاروا عاريتهم أهلَ بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟

قال: لا.

قالتْ: فاحتسب ابنك.

فانطلق حتى أتىٰ رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ:

«بارك الله لكما في ليلتكما».

قال فحملت، وكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتىٰ المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ فقال أبو طلحة:

إنّك لتعلم، يا ربّ، أنَّه يُعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترىٰ.

قال: تقول أُمّ سُلَيْم:

يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنتُ أجد.

فانطلقا، وضربها المخاض حين قدما، فولدتْ غُلاماً، فقال أنس:

فقال لي أبو طلحة: لا يرضعنَّه أحد حتى تغدوا به علىٰ رسول الله ﷺ.

قال: فلمّا أصبحتُ احتملتُه فانطلقتُ به إلى رسول الله ﷺ فصادفته ومعه مِيْسَم[1]، فلمّا رآني قال:

«لعلَّ أُمَّ سُلَيْم ولدت».

فقلتُ: نعم.

---

(١) المِيْسَم: الآلة التي يُوسَم بها، وهي حديدة يُحمىٰ عليها في النار وتُكوىٰ بها جلود الحيوانات لِتُحدِث السِّمَة، أي: علامة في الجلد.

فوضع الميسم، فوضعتُه في حجره، ودعا بعَجْوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتىٰ ذابتْ ثم قذفها في فِيْ الصبيِّ، فجعل يتلمَّظ فقال: «انظروا إلى حُبِّ الأنصار التمر»، فمسح وجهه وسمّاه عبد الله.

قال الراوي:

فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد تسعة كلُّهم قد قرؤوا القرآن. يعني من نسل الولد الذي رزقوه تلك الليلة.

[أحسن المحاسن ١٦٠ ــ ١٦١، صفة الصفوة ٢/ ٦٩، ونحوه في الصحيحين]

* **صبر منفوسة بنت زيد الفوارس علىٰ فقد ولدها**

قال الأصمعيُّ: حدَّثني رجل من بني ثُعَل قال:

كنتُ ببعض نواحي نجد فرُفِعَتْ لي فيه قُبَّة من أدمٍ فقصدتُها، فإذا أصوات نساءٍ مُعوِلات، فدنوتُ منهنَّ وسألتُهنَّ عن شأنهنَّ، فقُلنَ:

منفوسة بنت زيد الفوارس أُصيبت بابنها.

وإذا هو في حجرها، وهي تقول:

والله لتقدُّمك أمامي أحبُّ إليَّ من تأخُّرِك ورائي، ولصبري عنك أَجْدىٰ من جزعي عليك، وما حظُّ مصيبةٍ تحلّ من التَّلف محلَّك، وتُورِث من العطب مثل مضجعك؟

ولئن كان فراقُكَ حَسْرةً إنَّ توقُّعَ أجرك لخِيرَة.

ثمَّ قالتْ: لله درّ عمرو بن معدِي كرب حيث يقول:

وإنَّـا لقـومٌ لا تفيـض دمـوعنـا علىٰ هـالـكٍ منَّا وإنْ قَصَـم الظَّهْرا

[صفة الصفوة ٤/ ٣٨٧]

* **صبر معاذة العدويَّة على فقد ولدها**

أنبأ ثابتٌ البُنانيّ أنَّ صلة بن أَشْيَم كان في مغزىً له ومعه ابن له فقال: أيْ بُنَيّ، تقدَّم فقاتِلْ حتى أحتسبَكَ.

فحمل، فقاتل حتَّىٰ قُتِل ثمَّ تقدَّم فقُتِل، فاجتمعت النِّساءُ عند امرأته معاذة العدويَّة، فقالتْ:

مرحباً، إن كنتُنَّ جئتُنَّ لتهنِّئنني؛ فمرحباً بكُنَّ، وإنْ كنتُنَّ جئتُنَّ بغير ذلك؛ فارجِعْنَ.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٣]

* **صبر أعرابية على فقد ولدها**

قال الأصمعيُّ: مات ابن لأعرابيَّة، فما زالت تبكي حتى خدّ الدمعُ في خدِّها، ثمَّ استرجعت فقالتْ:

اللهمَّ، إنَّكَ قد علمتَ فرط حُنوِّ الوالدَيْن علىٰ ولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببرِّه، وقد علمت قدر عقوق الولد لوالدَيْه، فمن أجل ذلك حضضتَه علىٰ طاعتهما، وألزمتَه برَّهما، وقد كان ولدي من البرِّ بوالديه علىٰ ما يكون الوالدان بولدهما؛ فأجُرْهُ بذلك منِّي صلاةً، ولقِّه سروراً ونَضْرةً.

فقال لها أعرابيٌّ: نِعْمَ ما دعوتِ له لولا أنَّكِ شِبْتِه من الجزع بما لا يُجدي عليه.

فقالتْ: إذا وقعت الضَّرورات؛ لم يجر عليها حكم المكتَسبات، وجَزَعي علىٰ ابني غيرُ ممكنٍ في الطاقة صرفُه، ولا في القُدْرةِ منْعُه، والله وَلِيّ عُذْري بفضله، فقد قال عزَّ وجلَّ:

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩٢]

* صبر زوجة عبد الله بن الفرج على فقده

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجريّ:

بلغني أنَّ عبد الله بن الفرج لمَّا مات لم تُعْلِم زوجتُه إخوانه بموته، وهم جلوسٌ بالباب ينتظرون الدخول عليه في علَّته، فغسَّلته، وكفَّنته في كساءٍ له، وأخذتْ فَرْدَ بابٍ من أبواب بيته، وجعلتْه فوقه وشدَّتْه بشريطٍ ثمَّ قالتْ لإخوانه:

قد ماتَ، وقد فرغت من جهازه.

فدخلوا، واحتملوه إلىٰ قبره، وأغلقت الباب خلفَهم.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٢٧]

* صبر معاذة علىٰ فقد ولدها وزوجها

عن معاذة امرأة صِلَة بن أَشْيَم قالت:

لمَّا أتاها نَعْيُ زوجها وابنها جاءها النساء، فقالت:

إن كنتُنّ جئتُنّ لتهنئننا بما أكرمنا الله به، وإلاَّ فارجعنَ.

[روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١٦٣]

* صبر صفية بنت عبد المطلب علىٰ استشهاد أخيها حمزة

جاء في سيرة ابن إسحاق عن الزهريِّ وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن يحيىٰ وغيرهم عن قتل حمزة ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

فأقبلت صفيَّة بنت عبد المطَّلِب ــ رضي الله عنها ــ لتنظر إلى أخيها، فلقيها الزُّبَيْر ــ رضي الله تعالىٰ عنه ــ فقال: أَيْ أُمَّه، إنَّ رسول الله ﷺ يأمُركِ أن ترجعي.

قالت: ولم وقد بلغني أنه مُثِّل بأخي؟ وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك؟

لأَصبِرنَّ وأحتَسِبَنَّ إنْ شاء الله.

فجاء الزُّبَيْر، فأخبره، فقال:

«خلِّ سبيلَها».

فأتت إليه، واستغفَرتْ له، ثمَّ أَمَر به فَدُفِن.

[حياة الصحابة ٢/ ٥٩٤]

من صبرهنّ على محنة المرض

* امرأة تصبر على داء الصرع لقاء الجنة

جاء في ترجمة أُمّ زفر الحبشيَّة السوداء.

من طريق عمران بن بكر قال: حدَّثني عطاء، قال: قال لي ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ :

ألا أُريكَ امرأةً من أهل الجنَّة؟

قلتُ: بلىٰ.

قال: هذه المرأةُ السوداء أتت النبـيَّ ــ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ــ فقالت:

إنِّي أُصْرَع، وإنِّي أتكشَّف، فادع الله لي.

قال: «إنْ شئتِ صبرتِ ولك الجنَّة، وإن شئتِ دعوت الله أن يعافيك».

فقالتْ: أصبر، وإنّي أتكشَّف، فادع الله أن لا أتكشّف. فدعا لها.

[الإصابة ٤/ ٤٥٣]

* امرأة تصبر على المرض لقاء اللاحساب

عن أبـي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال:

جاءت امرأة من اليمن إلىٰ رسول الله ﷺ فقالتْ: يا رسول الله، ادعُ الله عزَّ وجلَّ أن يَشفيَني.

قال: «إنْ شئتِ دعوتُ الله لك فشفاك، وإن شئت فاصبري ولا حسابَ عليك».

قالتْ: بل أصبر ولا حساب عليَّ.

[أخرجه البخاريُّ]

* امرأة يسقط ظفر إبهامها فتضحك

قال أبو عبد الله الحصريُّ: سمعت فَتْحاً الموصليَّ يقول:

مرَّتْ بـي امرأة متعبِّدة يُقال لها: (موافقة) فعثرتْ، فسقط ظُفْرُ إبهامها، فضحكت، فقيل لها:

يا موافقة، يسقط ظُفْر إبهامكِ، وتضحكين؟

فقالتْ: إنَّ حلاوة ثوابه أزالت عن قلبـي مرارة وَجَعه.

[صفة الصفوة ٤/ ١٩١]

* مصائب الدنيا ثمن الجنَّة

قال عبد المؤمن بن عبد الله القَيْسِيُّ:

ضربتْ أُمَّ إبراهيم العابدة دابَّةٌ، فكسرتْ رجلَها، فأتاها قوم يُعزُّونها، فقالتْ:

لولا مصائب الدنيا وردْنا الآخرة مَفالِيس.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٨]

من صبرهنّ علىٰ قسوة العيش

عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عليّ أنَّ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ــ لمَّا زوَّجه فاطمة بعث معها بخميلة[(١)] ووسادة أَدَم[(٢)] حشوها ليف ورحاءين وسقاءين، قال: فقال عليٌّ لفاطمة يوماً:

لقد شقوتُ حتى أسليتُ[(٣)] صدري، وقد جاء الله بسبْيٍ، فاذهبي، فاستخدمي ــ أي اطلبي خادماً ــ.

فقالتْ: وأنا، والله، قد طحنتُ حتىٰ مجِلَتْ يداي.

فأتت النبيَّ ــ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ــ فقال:

«ما جاء بكِ، أَيْ بُنيَّة؟».

فقالتْ: جئتُ لأُسلِّم عليكَ.

(١) الخَمِيلة: القطيفة، وهي كساء أو دثار له خَمْل، والخَمْل: هو كالزغب على وجه النسيج.

(٢) وسادة أَدَم: أي وسادة معمولة من الجِلْد.

(٣) أسليتُ صدري: تقطع جلد صدري من العمل، ونزع عنه، أو نحو ذلك.

واستحيَتْ أن تسأله، ورجعَتْ، فأتياه جميعاً، فذكر له عليٌّ حالهما، قال: «لا والله، لا أُعطيكما، وأدع أهل الصُّفَّة[1] تتلوّى بطونهم لا أجد ما أُنفِق عليهم، ولكن أبيع وأُنفِق عليهم أثمانهم».

فرجعا، فأتاهما وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطّيا رؤوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطَّيا أقدامهما انكشفت رؤوسُهما، فثارا، فقال: «مكانكُما، ألا أُخبركما بخيرٍ ممَّا سألتُماني».

فقالا: بلىٰ.

فقال: «كلمات علَّمنيهنَّ جبريل: تُسَبِّحان في دُبر كلِّ صلاةٍ عَشْرا، وتحمدان عَشْرا، وتكبِّران عَشْرا، وإذا أَوَيْتُما إلى فراشكما سبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبِّرا أربعاً وثلاثين».

قال عليٌّ: فوالله، ما تركتهنَّ مُنذ علَّمنيهنَّ.

وقال له ابنُ الكواء: ولا ليلة صِفِّين.

فقال: قاتلكم الله يا أهل الطروق، ولا ليلة صِفِّين.

[الإصابة ٤/ ٣٧٩]

---

(١) أهل الصُّفَّة: الصُّفَّة من البيت: الظُّلَّة. وموضع مُظَلَّل في المسجد النبويّ الشَّريف كان يأوي إليه فُقراء المهاجرين فيرعاهم الرسول ﷺ ويبلغ عددهم ثمانين رجُلاً، هم الصُّفَّة.

من صبرهن على العذاب في الله

* أوّل شهيدة في الإسلام

كانت سُمَيَّة بنت خُبَّاط أم عمَّار بن ياسِر أسلمت بمكَّة قديماً، وكانت ممَّن يُعذَّب في الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لترجع عن دينها، فلم تفعل، فمرَّ بها يوماً أبو جهلٍ، فطعنها في قُبُلها فماتَتْ، وكانت عجوزاً كبيرةً، فهي أوَّل شهيدة في الإسلام ـ رضي الله عنها ـ .

[صفة الصفوة ٢/ ٥٩ ـ ٦٠]

* حوّاء امرأة قيس بن الخطيم

أسلمت امرأةُ قيس بن الخَطيم، وكان يُقال لها حوّاء، وكان يصدُّها عن الإسلام، ويعبث بها، ويأتيها وهي ساجدة، فيقلبها علىٰ رأسها. وكان رسول الله ﷺ وهو بمكَّة قبل الهجرة يُخبَرُ عن أمر الأنصار، فأُخبِر بإسلامها، وبما تلقَّت من قيس، فلمَّا كان الموسمُ أتاه النبـيُّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فقال:

«إنَّ امرأتك قد أسلمت، وإنَّكَ تؤذيها، فأُحِبُّ أنَّك لا تتعرض لها».

[الإصابة ٤/ ٢٧٦]

* جارية بني مؤمَّل

مرَّ أبو بكر الصدِّيق ـ رضي الله تعالى عنه ـ بجارية بني مؤمَّل، وكانت مُسلمة، وعمر بن الخطَّاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ يُعذِّبها لتترك الإسلام، وهو يومئذٍ مُشْرِك، وهو يضرِبُها حتىٰ إذا ملَّ قال:

إنِّي أعتَذر إليكِ، إنِّي لم أتركْكِ إلاَّ ملالةً.

فتقول: كذلك فعَلَ الله بكَ.

فابتاعها أبو بكرٍ، فأعتقها.

[تهذيب سيرة ابن هشام ٥٩]

❑ ❑ ❑

من جهادهنّ

* خدمة المرأة المسلمة في ميادين القتال

أخرج البخاريُّ عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال: لمَّا كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبيِّ ﷺ قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأُمّ سُلَيم ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وإنّهما لمشمِّرتان أرى خَدَم سوقهما[1]، تنقزان[2] القِرَب[3] ـ وقال غيره: تنقلان القِرَب ـ على مُتونهما[4]، ثمَّ تُفرغانها في أفواه القوم، ثمَّ ترجعان فتملآنها، ثمَّ تجيئان فتُفرِغانها في أفواه القوم.

[حياة الصحابة ١/ ٥٩٣، أحسن المحاسن ١٦٠]

* أمّ أَيْمن رضي الله عنها تخدم يوم أحد

حضرت أُمّ أيمن أُحُداً، وكانتْ تسقي الماء وتداوي الجرحىٰ، وشهدت خيبَر. [صفة الصفوة ٢/ ٥٥، الإصابة ٤/ ٤٣٣]

---

(١) خَدَم سوقهما: خلخال سوقهما.

(٢) تنقزان: أي تحملانها، وتقفزان بها وَثْباً.

(٣) القِرَب: جمع قِرْبة، وهي وعاء يجعل فيه الماء أو اللَّبَن.

(٤) المتون: الظُّهور.

* **الغازية مع رسول الله ﷺ**

قالتْ ليلى الغفاريّة:

كنتُ أغزو مع النبـيِّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فأُداوي الجرحى، وأقوم على المرضى. [الإصابة ٤/ ٤٠٢]

* **أمّ سُلَيط يوم أُحُد**

كانت أُمّ سُلَيط الأنصاريّة تزفِر القِرَب للمسلمين يوم أحد.

[صفة الصفوة ٢/ ٦٤]

* **أمّ سليم تحمل خِنْجراً للقتال**

جاء أبو طلحة يوم حُنَيْن يضحك إلى رسول الله ﷺ من أُمّ سُلَيْم فقال:

يا رسول الله، ألم ترَ إلى أُمّ سُلَيم معها خنجر؟

فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ:

«ما تصنعين به، يا أُمّ سُلَيْم؟».

قالتْ: أردت إن دنا أحد منهم منّي طعنتُه.

وفي رواية، قالتْ:

اتخذته إنْ دنا منِّي أحد من المشركين بقَرتُ بطنَه.

فجعل رسول الله ﷺ يضحك.

[حياة الصحابة ١/ ٥٩٧، صفة الصفوة ٢/ ٦٦]

* **المرأة الشجاعة**

جاء في ترجمة صفيّة بنت عبد المطَّلِب عمَّةِ النبـيِّ ﷺ: كان النبـيُّ ﷺ إذا خرج لقتال عدوِّه رفع نساءه في أطم حسّان؛ لأنّه كان من أحصن الآطام.

فتخلَّف حسّان في الخَنْدق، فجاء يهوديٌّ فلصق بالأطم ليستمع، فقالتْ صفيّة لحسّان: انزل إليه، فاقتله.

فكأنَّه هاب ذلك، فأخذت عموداً، فنزلتْ إليه حتّى فتحت الباب قليلاً قليلاً، فحملت إليه فضربته بالعمود فقتلته.

وجاء يوم أحد، وقد انهزم الناس، وبيدها رمح تضرب في وجوههم، فقال النبـيّ ﷺ:

يا زبير المرأة. [الإصابة ٤/ ٣٤٩]

* أمّ ورقة المرأة الشهيدة

جاء في ترجمة أُمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث، ويقال لها: أُمّ ورقة بنت نوفل:

كانت تُسمّى الشهيدة. وكانت قد قرأت القرآن.

قالتْ: يا رسول الله، لو أذنت لي، فغزوت معكم. فمرَّضتُ مريضكم، وداويتُ جريحكم، فلعلَّ الله أَنْ يرزقني الشهادة. قال: «يا أُمَّ ورقة، اقعدي في بيتك، فإنَّ الله سيهدي إليك شهادة في بيتك».

[الإصابة ٤/ ٥٠٥]

* من خرج في سبيل الله كان في حفظه

أخرج الإمام أحمد عن حُمَيْد بن هلال قال:

كان رجل من الطُّفاوة طريقه علينا يأتي على الحيّ فيحدِّثهم. قال: أتيت المدينة في عِيرٍ لنا، فبعنا بضاعتنا، ثمّ قلت: لأنطلقنَّ إلى هذا الرجل فلآتينَّ مَنْ بعدي بخبره، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو يُريني بيتاً، قال:

«إنَّ امرأةً كانت فيه، فخرجت في سريّة من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزةً وصيصتها[1] التي تنسج بها. قال: ففقدت عنزاً من غنمها وصيصتها. قالت: يا ربّ قد ضمنتَ لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإنّي قد فقدت عنزاً من غنمي وصيصتي، وإنّي أنشدك عنزي وصيصتي.

قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر له شدَّة مناشدتها لربِّها تبارك وتعالى.

قال رسول الله ﷺ: «فأصبحتْ عنزها ومثلها وصيصتها ومثلها. وهاتيك فأتها، فاسألها إن شئت» قال: قلتُ: بل أُصدِّقك.

قال الهيثمي (٥/ ٢٧٧): رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

[حياة الصحابة ١/ ٥٩١ ــ ٥٩٢]

* من مساهمة المرأة في الجهاد

أخرج أبو داود من طريق حَشْرج بن زياد عن جدَّته أُمّ أبيه ــ رضي الله عنها ــ :

أنهنَّ خرجنَ مع النبـيِّ ﷺ في خيبر، وفيه أنَّ النبـيّ سألهنّ عن ذلك؛ فقُلنَ:

(خرجنا نغزِل الشعر، فنُعِين به في سبيل الله، ونُداوي الجرحى ونُناوِل السِّهام، ونسقي السَّويق). [حياة الصحابة ١/ ٥٩٤]

* المرأة المسلمة في غزوها مع النبـي ﷺ

أخرج البخاريُّ عن الرُّبَـيِّع بنت معوِّذ ــ رضي الله تعالى عنها ــ قالت: كُنَّا مع النبـيّ ﷺ نسقي، ونداوي الجرحىٰ، ونردُّ القَتْلىٰ.

---

(١) الصِّيصة: شوكة الحائك التي يُسَوِّي بها السَّداة واللّحْمة، وتُسمّىٰ: الصَّنَّارة.

وعنده أيضاً عنها قالت:

كُنَّا نغزو مع النبيِّ ﷺ فنسقي القوم، ونخدمهم، ونردُّ القَتْلى والجرحى إلى المدينة.

[حياة الصحابة ١/ ٥٩٣، الإصابة ٤/ ٣٠١]

* امرأة تغزو مع رسول الله ﷺ سبع غزوات

وأخرج الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه عن أُمِّ عطيّة الأنصاريّة رضي الله عنها قالت:

غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفُهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى، وأقوم على الزَمْنى[1].

[حياة الصحابة ١/ ٥٩٣]

* أُمُّ عمارة المرأة المجاهدة

شهدت أُمّ عمارة واسمها نسيبة بنت كعب الأنصاريّة أُحُداً والحديبية وخيبر وحُنيناً وعُمرة القضاء ويوم اليمامة.

روى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال:

«ما التفتُّ يوم أُحُدٌ يميناً ولا شمالاً إلاّ وأراها تقاتل دوني».

قال الواقديُّ:

قاتلتْ يوم أحد وجُرِحت اثنتي عشرة جراحة، وداوتْ جُرحاً في عنقها سنةً، ثمَّ نادىٰ منادي رسول الله ﷺ إلى حَمْراء الأسد، فشدَّت عليها ثيابها فما استطاعت من نَزْف الدَّم.

---

(١) الزَّمْنىٰ: جمع زمين، وهو المصاب بالزمانة أي الداء المزمِنْ.

وخرجت في خلافة أبي بكر في الردَّة، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة، ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضَرْبة.

[صفة الصفوة ٢/ ٦٣ ـ ٦٤]

ذكر الوَاقديُّ:

أنَّ نُسَيْبة بنت كَعْب لمَّا بلغها قتل ابنها حبيب بن زيدٍ على يد مُسَيْلمة عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تقتله، فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد ومعها ابنها عبد الله، فقُتِل مُسَيْلمة، وقُطِعت يدُها في الحَرْب.

وذكر ابن هشام في زيادته من طريق أُمّ سعد بنت سعد بن الرَّبيع قال: دخلتُ على أُمّ عمارة، فقلتُ: يا خالة، أخبريني.

فقالتْ: خرجتُ ـ يعني يوم أحد ـ ومعي سقاء فيه ماء، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلمّا انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله ﷺ فكنتُ أُباشر القتال وأذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوس حتى خلصت الجِراح إليَّ.

قالت أُمّ سعيد بنت سَعْد بن الرَّبيع.

فرأيت على عاتقها جُرْحاً أجوف له غَوْر، فقلتُ من أصابكِ بهذا؟

قالت: ابن قمئة. [الإصابة ٤/ ٤١٨]

*** أول امرأة مسلمة تركب البحر غازية**

قال رسول الله ﷺ في بيت أُمّ حرام بنت ملحان فاستيقظ، وهو يضحك، وقال:

«عُرِض عليَّ أُناس من أُمّتي يركبون ظهر البحر الأخضر[1] كالملوك

(١) البحر الأخضر: هو البحر الأبيض المتوسّط.

على الأسرَّة».

قالتْ: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

ثمَّ نام، فاستيقظ، وهو يضحك، فقلتُ: يا رسول الله، ما يُضحِكك؟

فقال: «عُرِض عليَّ أُناس من أمَّتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرَّة».

قلتُ: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «أنتِ من الأوَّلين».

قال: فتزوَّجها عبادة بن الصامت، فأخرجها معه، فلمَّا جاز البحر ركبتْ دابَّة، فصرعتْها، فقتلتْها.

قال ابن الأثير: وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص، فدُفِنتْ فيها، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبـي سفيان ــ رضي الله تعالى عنهما ــ في خلافة عثمان ــ رضي الله عنه ــ في سنة سبع وعشرين.

[الإصابة ٤/ ٤٤١]

وفي البخاريِّ:

قال أنس رضي الله عنه: فتزوَّجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قَرَظة[١]، فلمَّا قَفَلت ركبت دابَّتها، فوقصت[٢] بها، فسقطتْ عنها فماتت[٣].

---

(١) بنت قَرَظة: هي زوجة معاوية بن أبـي سفيان.

(٢) وقصت: أي نزت ووثبت.

(٣) دفنت في قُبْرص، ويُسمّى قبرها هناك قبر المرأة الصالحة.

قال هشام:

رأيت قبرها، ووقفت عليه بالساحل بقاقيس.

* إحدى بطلات اليرموك

أخرج الطبرانيُّ عن مهاجر:

أنَّ أسماء بنت يزيد بن السَّكن بنت عمٍّ معاذ بن جبل ـ رضي الله عنهما ـ قتلتْ يوم اليرموك تسعةً من الروم بعمود فسطاط.

[حياة الصحابة ١/ ٥٩٧]

* المقاتلة الشجاعة

جاء في ترجمة أُمّ موسى اللخميَّة زوج نُصَيْر اللَّخْميّ والدِ موسى بن نُصَيْر الذي فتح الأندلس.

أنَّها شهدت مع زوجها اليرموك، فقتلَتْ حينئذٍ عِلْجاً، وأخذتْ سَلَبه. وكان عبد العزيز بن مروان يستحكيها ذلك فتصفه له وتقول:

بينما نحن في جماعة من النِّساء إذ جال الرِّجال جولةً، فأبصرتُ عِلْجاً يجرُّ رجلاً من المسلمين، فأخذتُ عمود الفُسْطاط[1]، ثم دنوتُ منه، فشدختُ به رأسه، وأقبلتُ أسلبه، فأعانني الرّجال على أخذه.

[الإصابة ٤/ ٥٠١]

* العروس الشهيدة

جاء في ترجمة أُمّ حكيم بنت الحارث زوج عكرمة بن أبـي جهل:

---

(١) الفُسْطاط: بيتٌ يُتَّخذ من الشَّعَر.

أنَّها خرجت مع زوجها إلى غزو الرُّوم، فاستشهد، فتزوَّجها خالد بن سعيد بن العاص.

فلمَّا كانتْ وقعة مرج الصُّفَّر أراد خالد أن يدخل بها، فقالت: لو تأخَّرتَ حتّى يَهزِمِ اللّهُ هذه الجموع.

فقال: إنَّ نفسي تحدِّثني أنّي أُقتَل.

قالتْ: فدونك.

فأعرس بها عند القنطرة، فعُرِفت بها بعد ذلك، فقيل لها: (قَنْطرة أُمِّ حكيم).

ثمَّ أصبح فأَوْلم عليها، فما فرغوا من الطعام حتّى وافتهم الروم، ووقع القتال، فاستشهد خالد. وشدَّت أُمُّ حكيم عليها ثيابها وتبدَّتْ، وإنَّ عليها أثرَ الخلوق، فاقتتلوا على النَّهر، فقُتِلتْ أُمُّ حكيم يومئذٍ، فقتلَتْ بعمود الفُسْطاط الذي أعرس بها خالد فيه سبعةً من الروم.

[الإصابة ٤/ ٤٤٣ ــ ٤٤٤]

❑ ❑ ❑

مِن إنفاقهنَّ

* تعمل بيدها وتتصدَّق

أخرج الشيخان ــ واللفظ لمسلم ــ عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالتْ: قال رسول الله ﷺ:

«أسرعكُنَّ لحاقاً بـي أطولكُنَّ يدا».

قالتْ: فكُنَّ يتطاولن أيَّتُهنَّ أطول يداً. قالتْ: وكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنَّها كانت تعمل بيدها وتتصدَّق.

وفي طريقٍ آخر:

قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ: فكُنَّا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمدُّ أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتّىٰ توفِّيت زينب بنت جحشٍ، وكانتْ امرأة قصيرة، ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذٍ أنَّ النبيَّ ﷺ إنَّما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صَنَاع اليدَيْن، فكانت تدبُغ. [الشيخان]

* من أحوال عائشة الصدِّيقة في الإنفاق

أخرج مالك في الموطَّأ: أنَّه بلغه عن عائشة زوج النبـيِّ ﷺ ــ ورضي

الله عنها ــ أنّ مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلاَّ رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إيَّاه.

قالتْ: فلمَّا أمسينا أهدىٰ لنا أهل بيتٍ أو إنسان ما كان يهدي لنا شاة وكفنها. فدعتني عائشة ــ رضي الله عنها ــ فقالتْ:

كُلِي مِنْ هذا، هذا خير من قرصك.

قال مالك: بلغني أنَّ مسكيناً استطعم عائشة ــ رضي الله عنها ــ وبين يديها عِنَب، فقالتْ لإنسان: خُذْ حبَّة فأعطه إيّاها.

فجعل ينظر إليها ويتعجَّب، فقالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ :

أتعجب؟ كم ترىٰ في هذه الحبّة من مثقال ذرَّة؟

[حياة الصحابة ٢/ ١٧٤ ــ ١٧٥]

* من إنفاق أُمّ المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ :

عن عطاء قال: بعث معاوية إلىٰ عائشة ــ رضي الله عنها ــ بطَوْقٍ مِن ذهب فيه جوهر قُوِّم مائة ألف، فقسمَتْه بين أزواج النبيّ ﷺ.

وعن أُمّ ذرّة، وكانت تغشى عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ قالت: بعث إليها ابن الزُّبير بمالٍ في غِرارتين[1] قالتْ: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبقٍ، وهي يومئذ صائمة، فجلستْ تقسمه بين النَّاس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلمّا أمست قالت: يا جارية، هلمِّي فِطْري.

فجاءتها بخبزٍ وزيتٍ، فقالتْ لها أُمّ ذرَّة:

أما استطعت ممَّا قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهمٍ لحماً نفطر عليه؟

---

(١) الغِرارة: كيس من الخيش ونحوه تُوضَع فيه الحُبُوب، يجمع على: غَرائر.

فقالتْ لها: لا تعنِّفيني، لو كنتِ ذكَّرتني لفعلتْ.

وعن عروة قال:

لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً، وهي ترقِّع دِرْعها.

[صفة الصفوة ٢/٢٩ ـ ٣٠]

* الأختـان السخيّتـان

كانت أسماء بنت أبـي بكر ـ رضي الله عنهما ـ تمرض المرضة فتعتق كلَّ مملوكٍ لها.

عن عبد الله بن الزّبَيْر قال:

ما رأيت امرأتين قطُّ أجود من عائشة وأسماء ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ وجودُهما مختلف:

أمَّا عائشة ـ رضي الله عنها ـ فكانت تجمع الشيء حتّىٰ إذا اجتمع عندها قسَّمتْ.

وأمّا أسماء، فكانت لا تُمسِك شيئاً لغدٍ.

[رواه البخاري، صفة الصفوة ٢/٥٨ ـ ٥٩]

* من إنفاق سودة رضي الله عنها

أخرج ابن سعد بسندٍ صحيح عن محمد بن سيرين:

أنَّ عمر بعث إلىٰ سودة ـ رضي الله عنهما ـ بغِرارة[1] من دراهم، فقالت: ما هذه؟

(١) الغِرارة: كيس كبير من الخيش ونحوه تُوضع فيه الحُبوب.

قالوا: دراهم.

قالتْ: في غِرارة مثل التَّمْر؟!

ففرَّقتْها.

[حياة الصحابة ٢/ ٢٣٥]

*** أُمّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها تجود بعطائها**

قالتْ زينب بنت جحش الأسديّة أُمّ المؤمنين حين حضرتها الوفاة: إنِّي قد أعددت كفني، وإنَّ عمر سيبعث إليَّ بكفنٍ، فتصدَّقوا بأحدهما، وإن استطعتم أن تتصدَّقوا بحَقْوي[1] فافعلوا.

وأخرج بسند فيه، الواقديّ عن محمد بن كعب:

كان عطاء زينب بنت جحش ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ اثني عشر ألفاً، لم تأخذه إلاَّ عاماً واحداً، فجعلتْ تقول:

اللَّهمَّ، لا يُدركني هذا المال من قابل، فإنَّه فتنة.

ثمَّ قسَّمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر فقال: هذه امرأة يُراد بها خير.

فوقف عليها، وأرسل بالسلام وقال: بلغني ما فرَّقتِ، فأُرسل بألفٍ تستبقيها.

فسلكتْ به ذلك المسلك.

[الإصابة ٤/ ٣١٤]

(١) الحَقْو: الخَصْر والإزار أو معقِده.

* أُمّ المؤمنين زينب تستتر بثوبها من العطاء

قالتْ برَّة بنتُ رافع:

لمَّا خرج العطاء، أرسل عمر ــ رضي الله عنه ــ إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلمَّا أُدخِل عليها قالتْ:

غفر الله لعمر، غيري من إخواني كان أقوىٰ علىٰ قسم هذا منِّي.

قالوا: هذا كلُّه لكِ.

قالتْ: سبحان الله!

واستترتْ منه بثوبٍ، وقالتْ: ضعوه، واطرحوا عليه ثوباً.

ثمَّ قالتْ لي: ادخلي يدكِ فاقبضي منه قبضة، فاذهبي بها إلىٰ بني فلان، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، حتّىٰ بقيتْ منه بقيَّة تحت الثَّوب فقالت لها برَّة:

غفر الله لك، يا أُمَّ المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حقٌّ.

قالت: فلكم ما تحت الثَّوْب.

قالتْ: فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهماً، ثمَّ رفعت يدها إلى السماء فقالتْ:

اللَّهمَّ، لا يدركني عطاءُ عمر بعد عامي هذا فماتتْ.

[الإصابة ٤/ ٢٥٤]

* خبر صاحبة السِّلْق

أخرج البخاريُّ عن سهل بن سعد ــ رضي الله عنه ــ قال:

كانتْ منّا امرأة تجعل في مزرعة لها سِلْقاً. فكانت إذا كان يوم الجمعة

تنزع أُصول السِلْق، فتجعله في قِدْرٍ، ثمَّ تجعل قبضةً من شعير تطحنه، فتكون أُصول السلق عَرْقَه.

قال سهل: كنّا ننصرف إليها بعد صلاة الجمعة فنُسلِّم عليها، فتُقرِّب ذلك الطعام إلينا، فكنَّا نتمنّىٰ يوم الجمعة لطعامها ذلك.

وفي رواية:

ليس فيها شحم ولا وَدَك[1]، وكنّا نفرح بيوم الجمعة.

[حياة الصحابة ١/ ٣٢٢]

* أنصارية تتصدّق بحُلّيها

عن بنت عبد الله بن أنيس الجهنيّ عن أُمِّها فاضلة الأنصاريّة، قالتْ:

خطبنا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ــ فحثَّ علىٰ الصدقة، فبعثتُ إليه بحُلي لي، وقلتُ: هو صدقة لله ــ عزَّ وجل ــ .

فردَّه، وقال: «إنِّي لا أقبل صدقةً من امرأةٍ إلَّا بإذن زوجها».

فبعثتُ إليه به مع زوجي فقال: هو لها، يا رسول الله، من أبيها.

فقبله.

[الإصابة ٤/ ٣٧٧]

* الغنيَّـة المنفقـة

كانت أُمُّ شريكٍ الأنصاريّة امرأة غنيّة عظيمة النفقة. في سبيل الله ــ عزَّ وجلَّ ــ ، ينزل عليها الضِّيفان.

[الإصابة ٤/ ٤٦٥]

---

(١) الوَدَك: الدَّسَم، واللَّحم ودهنُه. والودَيك: السَّمين.

* امرأة تؤثر حُبّ الإنفاق على حب الطعام والشراب

عن عليّ بن أبـي جُملة قال: سمعت أُمّ البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تقول: أُفٍّ للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته.

وقال سعيد بن مَسْلمة بن هشام الأُمويُّ:

كانت أُمُّ البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تبعث إلى نِسائها، فيجتمعن، ويتحدَّثن عندها، وهي قائمة تُصلِّي. ثمّ تنصرف إليهنّ فتقول: أُحبّ حديثكُنَّ، فإذا قمتُ في صلاتي لَهَوتُ عنكُنَّ ونسيتُكُنَّ.

قال: وكانتْ تكسُوهنَّ الثياب الحسنة وتعطيهنَّ الدنانير وتقول: الكسوة لكُنَّ والدنانير اقسِمْنَها بين فقرائكُنَّ.

وكانت تقول:

جُعل لكلِّ قومٍ نهمة في شيءٍ، وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء، والله للصِّلة والمواساة أحبُّ إليَّ من الطعام الطيِّب على الجوع ومن الشراب البارد علىٰ الظّمأ.

وقالت:

وهل يُنال الخيرُ إلاَّ باصطناعه؟

وقالت:

ما حسدتُ أحداً قطُّ علىٰ شيءٍ إلاَّ أن يكون ذا معروفٍ، فإنِّي كنتُ أُحبُّ أَنْ أشركه في ذلك. [صفة الصفوة ٤/٢٩٨ ـ ٢٩٩]

كانتْ أُمّ البنين تعتِق في كلِّ جمعةٍ رقبةً، وتحمل علىٰ فرسٍ في سبيل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

[صفة الصفوة ٤/٢٩٩]

* إنفاق عجوز البادية

قال الصَّلت بن حكيم:

حدَّثني ابن السمَّاك أنَّ نَفَراً ورَدُوا على عجوز في بعض البوادي يسألونها بيع شاةٍ، فقالت:

ما كنتُ لأبيع ابن السبيل شيئاً، ولكن خذوها علىٰ ما عند الله.

ثمَّ بكىٰ أبو العباس ـ يعني ابن السمّاك ـ وقال:

رحمها الله، فقِهتْ في بدوِها.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩٣]

* تنفق عبيدها اتّقاء أبواب جهنَّم

قال هشام بن حسَّان:

خرجنا حُجَّاجاً، فنزلنا منزلاً في بعض الطريق، فقرأ رجلٌ كان معنا هذه الآية:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾[1] فسمعت امرأة، فقالتْ: أعِدْ رحمكَ الله.

فأعادَها.

فقالتْ: خلَّفتُ لي في البيت سبعة أَعبُدٍ، أُشهدكم أنَّهم أحرار لكلِّ باب واحد منهم.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩٤]

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٤.

* **من إنفاق زُبَيْدة زوجة الرشيد**

جاء في ترجمة زُبَيْدة أُمِّ الأمين:

أنَّها سقت أهل مكَّة الماء بعد أن كانت الرّاوية عندهم بدينار.

وأنَّها أسالت الماء عشرة أميال بحطِّ الجبال ونحوت الصخر، حتّىٰ غلغلته من الحِلِّ إلى الحرم.

وعملت عقبة البستان، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة.

فقالتْ: اعملها ولو كانتْ ضربةُ فأسٍ بدينارٍ.

فبلغت النفقة عليه ألفَ ألف وسبعمائة ألف دينار.

ورآها عبد الله بن المبارك في المنام فقال لها: ما فعل الله بكِ؟

قالت: غفر لي الله بأوّل مِعوَل ضُرِب في طريق مكَّة.

[وفيات الأعيان ٢/ ٣١٤]

* **خبز عجوز البادية مع طلحة الطلحات**

روىٰ ابن دُرَيْد: أنَّ وَفْداً من أهل المدينة خرجوا إلى خُراسان قاصدين طَلْحة الطَّلْحات. فلمَّا صاروا في بعض البوادي رُفِعت لهم خيمة خفية، وقد جنّهم اللَّيل، فأوَوا إليها، وإذا بعجوز ليس عندها من يحلُّ بها، ولا يرتحل عنها، وإلىٰ جنب كسر خيمتها عُنَيْزَة، فقالوا لها:

هل من منزل فننزل؟

فقالتْ: إي ها الله، علىٰ الرَّحْب والسَّعة والماء السائغ.

فنزلوا، فإذا ليس بقُربها ولد ولا أخ، ولا بعل، فقالتْ:

ليقُم أحدكم إلىٰ هذه العُنَيْزة فليذبحها.

فقالوا: إذن تهلكي، والله أيَّتها العجوز، إنَّ عندنا من الطعام لبلاغاً،

ولا حاجة بنا إلىٰ عُنَيْزتك.

فقالتْ: أنتم أضياف، وأنا المُنزَلَة بها، ولولا أنيِّ امرأة لذبحتها.

فقام أحدهم معجباً منها، فذبح العنزة، واتخذت لهم طعاماً، فقرَّبتْه إليهم. فلمَّا أصبحوا غدَّتهم ببقيَّتها، ثمَّ قالتْ:

أين تريدون؟

فقالوا: طَلْحة الطلحات بخُراسان.

فقالتْ: إذن والله تأتون سيِّداً ماجداً صحيحاً غير وحشٍ ولا كدوم[1]، هل أنتم مبلِّغوه كتاباً إن دفعتُه إليكم؟

فضحكوا وقالوا: نفعل وكرامة.

فدفعت إليهم كتاباً على قطعة جُراب عندها، فلمَّا قدمواعلىٰ طَلْحة يسألهم عمَّا خلَّفوا وما رأوا في طريقهم، فذكروا العجوز وقالوا: نخبر الأمير عن عجب رأيناه، وأخبروه بقصَّة العجوز وصنعها وقولها فيه، ثمَّ قالوا: ولها عندنا كتاب إليك.

ودفعوه إليه، فلمَّا قرأ الكتاب ضحك، وقال:

لحا الله من عجوز ما أحمقها، تكتب إليَّ من أقصىٰ الحجاز تسألني جُبْن خُراسان.

فلم يدع للوفد حاجة إلاَّ قضاها، فلمّا أرادوا الخروج قال:

هل أنتم مبلِّغوها الجُبْن الذي سألتْ؟

فقالوا: نَعَمْ.

---

(١) الكدوم: كثير العضّ والإيذاء.

وقد كان أمر بجُبنتَيْن عظيمتَيْن، وأمر بنَقْبهما وملأهما دنانير، وسوَّىٰ عليهما، وقال: بلِّغوها الجبنتَيْن.

فلمَّا قدموا عليها نزلوا، فقالوا لها:

ويحك كتبتِ إلى طَلْحة الطلحات تستطعميه جُبْن خُراسان؟

قالتْ: أو قد بعث إليَّ بشيءٍ؟

قالوا: نَعَمْ.

وأخرجوا الجبنَتَيْن، فكسرتْهما، فتناثرت الدنانير، ثمَّ قالتْ: أمثلي يسأل طَلْحة جُبْناً، ثمَّ قالتْ: أقرأ لكم كتابي إليه؟

قالوا: نَعَمْ.

فقرأتْه، فإذا فيه:

يـا أيُّهـا المـاتـح[1] دلـوي دونكـا   إنِّـي رأيـتُ النَّـاس يحمـدونكـا

يثنـون خيـراً ويمجِّـدونكـا

ثمَّ قالت: أفأقرأ عليكم جوابه؟

قالوا: نَعَمْ.

فإذا جوابه:

أنـا مـلأتُهـا تفيـض فَيْضـا   فلـن تخـافـي مـا حييـتِ غَيْضـا[2]

خـذي لـك الجُبْـنَ وعُـودي أيضـاً

[تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٧٠ ـ ٧١]

---

(١) الماتح: المستقي بواسطة الدَّلْو. نقول: مَتح الدَّلْو: جذب رشاءها للاستقاء.

(٢) الغَيْض: القليل. والمراد هنا: النقصان من قولهم: غاض الماء إذا نقص أو ذهب في الأرض وغاب فيها.

* من مشاهد عفافهنّ وإيثارهنّ

عن عبد الله بن أخت مسلم بن سعد أنَّه قال:

أردتُ الحجَّ، فدفع إليَّ خالي مسلم عشرة آلاف درهم، وقال لي: إذا قدمتَ المدينة فانظر أفقر أهل بيتٍ بالمدينة، فأعطهم إيّاها. فلمَّا دخلتُ سألتُ عن أفقر أهل بيت بالمدينة، فدُلِلتُ علىٰ أهل بيتٍ، فطرقت الباب، فأجابتني امرأة: من أنت؟

فقلتُ: أنا رجل من أهل بغداد، أُودِعت عشرة آلاف، وأُمِرتُ أَنْ أسلِّمها إلى أفقر أهل بيتٍ بالمدينة وقد وُصِفتُم لي فخذوها.

فقالتْ: يا عبد الله، إنَّ صاحبكَ اشترط أفقر أهل بيتٍ، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منَّا.

فتركتهم وأتيتُ أولئك، فطرقت الباب، فأجابتني امرأة، فقلتُ لها مثل الذي قلتُ لتلك المرأة.

فقالتْ: يا عبد الله، نحن وجيراننا في الفقر سواء، فاقسِمْها بيننا وبينهم.

[صفة الصفوة ٢/٢٠٦]

* خبر عبدة والمرأة ذات الإيثار

كتب عبدة بن أبي لُبابة إلىٰ شريك يقال له الحسن بن الخزّار: ادفع ثلاث مائة درهم إلىٰ أحوج أهل بيتٍ بمكَّة.

فسأل، فدُلَّ علىٰ أهل بيتٍ فوقف بهم، فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السمت، فقال لها:

بُعِثَ إليَّ بثلاث مائة درهم، وأُمِرت أن أدفعها إلىٰ أحوج أهل بيتٍ بمكَّة.

فقالت المرأة: إن كنتَ أُمرت بهذا فما نحن هم، ومالنا فيها مِن حقٍّ، وأنا أعرف أهل بيتٍ أحوج منّا.

فسألها فدلَّته عليهم، فأعطاهم الدراهم، وكتب إلىٰ عبدة يخبره بحال المرأة، فكتب عبدة: أن أضعِفْها، أعطها ستمائة درهم.

[صفة الصفوة ٢/ ٢٨٠]

* الغُلام والجارية الكريمان

قال محمد بن سليمان القرشيُّ:

بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف علىٰ الطريق في أُذنيه قُرْطان، وفي كلِّ قُرْط جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يُمجِّد ربَّه بأبياتٍ من شعر، فسمعته يقول:

مليكٌ في السماءِ به افتخاري عزيزُ القَدْر ليس به خَفاءُ

فدنوتُ إليه، فسلّمتُ عليه، فقال:

ما أنا برادٍّ عليك سلامَك حتّى تؤدِّي من حقِّي الذي يجب لي عليك.

قلتُ: وما حقُّك؟

قال: أنا غلام علىٰ مذهب إبراهيم الخليل، لا أتغدّىٰ ولا أتعشّىٰ كلَّ يومٍ حتىٰ أسير الميل والميلَيْن في طلب الضَّيْف.

فأجبته إلى ذلك. قال: فرحَّب بي، وسرت معه حتّىٰ قربنا من خيمة شَعَر، فلمَّا قربنا من الخيمة صاح: يا أختاه.

فأجابته من الخيمة: يا لبّيْكاه.

قال: قومي إلىٰ ضيفنا هذا.

قال: فقالت الجارية: اصبر حتّىٰ أبدأ بشُكر المولىٰ الذي سبَّب لنا هذا الضيف.

قال: فقامت، وصلَّتْ ركعتين شُكراً لله.

قال: فأدخلني الخيمة، فأجلسني، فأخذ الغلام الشَّفْرة، وأخذ عناقاً له ليذبحها، فلمَّا جلستُ في الخَيْمة نظرتُ إلى جارية أحسن الناس وجهاً، فكُنت أُسارقها النظر، ففطنتْ لبعض لحظاتي، فقالتْ لي:

مَهْ، أما علمت أنَّه قد نُقِل إلينا عن صاحب يثرب ـ تعني النبـيَّ ﷺ «أنَّ زنا العينين النظر»، أما إنّي ما أردت بهذا أَنْ أُوبِّخك، ولكنِّي أردت أن أُؤدِّبك لكيلا تعود لمثل هذا.

فلمَّا كان وقت النوم بتُّ أنا والغُلام خارج الخيمة، وباتت الجارية في الخَيْمة، قال: فكنتُ أسمع دويَّ القرآن اللَّيْل كُلَّه أحسنَ صوتٍ يكون وأرقَّه، فلمَّا أن أصبحتُ قلتُ للغلام: صوت من كان ذلك؟

قال: تلك أُختي تُحيـي اللَّيْل كلَّه إلىٰ الصباح.

قال: فقلت: يا غُلام، أنت أحقُّ بهذا العمل من أُختكَ، أنت رجل وهي امرأة.

قال: فتبسَّم، ثمّ قال: ويحك يا فتىٰ، أما علمتَ أنَّه موفَّق ومخذول.

[روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٢٥٩ ــ ٢٦٠]

❑ ❑ ❑

من
علمهنّ وفقههنّ

* **أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها**

قال أبو موسىٰ ــ رضي الله تعالى عنه ــ :

ما أشكل علينا، أصحاب رسول الله ﷺ حديثٌ قطُّ، فسألنا عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ إلاَّ وجدنا عندها منه علماً.

قال عروة:

ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ . [أحسن المحاسن ١٥٦]

قال الزهريّ:

لو جمع علم عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ إلى علم جميع أزواج النبـيّ ﷺ وجميع النساء؛ كان علم عائشة ــ رضي الله عنها ــ أكثر.

[صفة الصفوة ٢/ ٣٣]

قال عطاء بن أبـي رباح:

كانت عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامّة.

وقال هشام بن عروة عن أبيه:

ما رأيتُ أحداً أعلم بفقه، ولا بطبّ، ولا بشِعْرٍ من عائشة.

وأسند الزبير بن بكار عن أبـي الزّناد قال:

ما رأيت أحداً أروى لشِعْر من عُروة، فقيل له: ما أرواك!

فقال: ما روايتي في رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيءٌ إلاَّ أنشدتْ فيه شِعْراً. [الإصابة ٤/ ٣٦٠]

*** فقيهة المدينة زينب بنت أبـي سلمة**

قال أبو رافع الصائغ:

كنتُ إذا ذكرتُ امرأة فقيهة بالمدينة ذكرت زينب بنت أبـي سلمة.

وعنه قال: وهي يومئذٍ أفقه امرأة بالمدينة.

[الإصابة ٤/ ٣١٧]

*** حفصة بنت سيرين**

قال عاصم الأحول:

كُنَّا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقَّبتْ به، فنقول لها:

رحمك الله، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾(١) وهو الجلباب.

قال فتقول لنا: أيّ شيءٍ بعد ذلك؟

(١) سورة النور: الآية ٦٠.

فنقول: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.

فتقول: هو إثباتُ الجلباب.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٤]

* أمة الواحد بنت الحسين المحامليّ

قال أبو الحسن الدارقطنيُّ:

أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد القاضي المحامليّ، سمعتْ أباها، وإسماعيل بن العباس الورّاق، وعبد الغافر بن سلامة الحمصي، وأبا الحسن المصري، وحمزة الهاشميّ الإمام وغيرهم.

وحفظت القرآن والفقه على مذهب الشافعيّ، والفرائض وحسابها، والنحو، وغير ذلك من العلوم.

وكانتْ فاضلةً في نفسها، كثيرة الصدقة، مسارعةً في الخيرات. وحدَّثتْ، وكُتِب عنها الحديث.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٢٨]

* نفيسة ابنة أبـي محمد الحسن بن زيد

كانت نفيسة ابنة أبـي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبـي طالبٍ ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ زوجة إسحاق بن جعفر الصادق؛ من النِّساء الصالحات التقيَّات.

ويُروى أنَّ الإمام الشافعيَّ ــ رحمه الله تعالى ــ حضر إليها في مصر، وسمع عليها الحديث، وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم.

[وفيات الأعيان ٥/ ٤٢٤]

* أُمّ أحمد الأنصاريَّة

عبدة بنت عبد الرحمن أُمّ أحمد الأنصارية.

حدَّثتْ عن أبيها، ومن رواياتها:

حدَّثني أبـي عبد الرحمن عن أبيه مُصعب عن أبيه ثابت عن أبيه عبد الله بن أبـي قتادة عن أبيه أبـي قتادة الحارثة بن ربعيّ قال: قال رسول الله ﷺ:

«خير فرساننا أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع».

وكانت امرأة عاقلة فصيحةً متديِّنة.

من مرويَّاتها حديث: «ليس على النِّساء غزو، ولا جمعة، ولا تشييع جنازة».

قال الطبراني: لم يرو هذه الأحاديث عن أبـي قتادة إلاَّ ولده، ولا سمعناها إلاَّ من عبدة. [تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠]

* مولاة أبـي أمامة

قال ابن جابر:

أدركت مولاة أبـي أُمامة في مسجد حمص، وهي تُعلِّم النِّساءَ القرآن والسُّنَن والفرائض وتفقِّههنّ في الدِّين.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٠٧]

* أُمّ عيسى

كانت أُمّ عيسى بنت إبراهيم الحربـيّ: فاضلة عالمة تُفتي في الفقه.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٢٧]

* الخَيْزُران والدة الرشيد

كانت الخيزران زوجة الخليفة المهديّ وأُمّ ولديه الهادي والرَّشيد من أهل الرواية والعِلم.

وقد رُويَ عنها عن المهديّ حديث مُسند قالت فيه: حدَّثني أمير المؤمنين المهديّ عن أبيه عن جدِّه عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ:

«من اتقى الله وقاه الله كلَّ شيءٍ». [تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٢]

* زينب بنت سليمان الهاشميّة

زينب بنت سليمان الهاشميّة؛ كانت من أفاضل النساء، وحدَّثتْ عن أبيها، وروى عنها خلق كثير. [تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٤]

* أُمّ محمّد

خديجة أُمّ محمّد، كانت تغشى أبا عبد الله أحمد بن حنبل، ويُحدِّثها، فروت الحديث، وأخذ الأعلام عنها.

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٥]

* زينب بنت أبـي القاسم الجُرْجانيّ

جاء في ترجمة زينب بنت أبـي القاسم الجُرْجانيّ المعروف بالشعْرِيّ: كانتْ عالمةً، وأدركت جماعة من أعيان العلماء، وأخذت عنهم روايةً وإجازة.

أجاز لها الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسيّ والعلاَّمة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ وغيرهما من السَّادات الحُفَّاظ.

[وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٤]

* مُنية، وجُمعة، وفاطمة، وطاهرة

ـ مُنية الكاتبة؛ حدَّثتْ عن أبـي الطيِّب محمد بن إسحاق الوشَّاء، وروى عنها عُبيد الله بن الحُسين البزَّار الأنباريّ.

ـ جمعة بنت أحمد المحميَّة النَّيسابوريَّة؛ حدَّثت عن أبـي عمرو بن حمدان، وأبـي أحمد الحافظ وغيرهما. وكان أبو حامد الإسفراييني يُعظِّمها ويُكرِّمها.

ـ فاطمة بنت محمد بن عُبَيد الصيرفيّ، حدَّثت عن أبيها، وكانت ثقة.

ـ طاهرة بنت أحمد التنوخيَّة؛ حدَّثت عن أبيها، وسُمع منها في دار القاضي أبـي القاسم التنوخيّ، وسمعت من خلق كثير، وكانت تكتب عنهم.

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤١ ـ ٤٤٥]

* سمانة الأنباريَّة

سمانة بنت حَمْدان الأنباريَّة؛ كانت من المحدِّثات، ومن رواياتها حديث:

«من أخذ من طريق المسلمين شِبْراً طُوِّقه يوم القيامة من سَبْع أَرضِين».

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤١]

* حفيدة أبـي داود السجستاني

أُمّ سَلَمة فاطمة حفيدة أبـي داود السجستاني؛ حدَّثتْ عن أبيها، وسمع منها أبو القاسم عبد الواحد بن زوج الحُرَّة وغيره.

وجاء في كتاب أبـي القاسم قوله:

حدَّثتنا أُمُّ سَلَمةَ فاطمة بنت عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني إملاءً من حفظها في منزل أبـي إسحاق المزكّي في سنة ٣٦٢هـ قالتْ:

حدَّثني أبـي قال: حدَّثنا أبـي قال: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم عن شُعبة عن علي بن الأقمر عن أبـي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة إلاَّ على شرار الناس».

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٢]

* بنت البقَّال، جَبْرة السوداء

خديجة بنت موسى الواعظة المعروفة ببنت البقَّال؛ سمعت أبا حفص بن شاهين، كانت ثقةً صالحة، فاضلة.

جَبْرة السوداء، مولاة أبـي الفتح محمد بن أحمد؛ حدَّثت عن أبـي الحسين أحمد بن محمد المعروف بابن المتيِّم.

كتب عنها غير واحد من أصحابنا، وكان سماعها صحيحاً.

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧]

* أمة الله بنت أحمد

أمة الله بنت أحمد بن عبد الله؛ روت عن أبيها وسمع منها عمر بن الحاجب وأحمد بن المجد.

حدَّثت بالكثير، وتفرَّدتْ عن أبيها بأشياء، وقد روت عنها بالإجازة فاطمة بنت سليمان، وكانت عابدة كثيرة الذِّكْر.

* بِلْقيس بنت سليمان

بِلْقيس بنتُ سُلَيمان بن أحمد بن نظام الملك أبـي عليّ الوزير؛ سمع منها جماعة. روى عنها يوسف بن خليل من سماعها من فاطمة الجوزدانيَّة.

* ستّ القُضاة

تمنِّي بنت علي بن محمد البوّاب ست القضاة؛ سمعت أبا القاسم الربعيَّ، وسمع منها عمر القُرَشيُّ، وعليّ الزيديُّ، وأبو الفرج بن النقور.

[المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ
أبي عبد الله الإمام الذهبي ٤٠١]

* أمّ عيسى مريم بنت أحمد

أُمّ عيسى مريم بنت أحمد بن أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم الأذرعيّ. قال ابن حجر:

سمعت الكثير من عليّ بن عمر الواني، وأبـي أيُّوب الدَّبُّوسيّ، والحافظ قطب الدين الحلبـي، وناصر الدين بن سمعون، وغيرهم.

وأجاز لها التقيُّ الصائغ وغيره من المسندين بمصر والحجاز وغيره من الأئمّة بدمشق. خرّجت لها معجماً في مجلَّدة، وقرأت عليها الكثير من مسموعاتها وأشياء كثيرة بالإجازة.

وهي أخت شمس الدين المتقدِّم ذكره في هذه السَّنة؛ عاشت أربعاً وثمانين سنة، ونِعمت الشيخةُ، كانت صيِّنة ومحبة في العلم، وهي آخر من حدَّثت عن أكثر مشايخها المذكورين. وقد سمع أبو العلاء الفرضيُّ من يوسف الدبُّوسِيّ، وسمعت هي منه.

[شذرات الذهب ٧/ ٥٤]

* رُقَيَّة المدنيَّة

رُقَيَّة بنت العفيف عبد السلام بن محمد بن مزروع المدنيَّة، حدَّثت بالإجازة عن شيوخ مصر والشام كالختنيّ وابن المصريّ وابن سيِّد الناس من المصريِّين، والمزِّي وغيره من الشاميِّين.

[شذرات الذهب ٧/ ١١٠]

* محدِّثة دمشق

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل ـ أبوها ـ الصالحيَّة الحنبليَّة المذهب؛ المحدِّثة؛ محدِّثة دمشق.

حضرتْ في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاريّ على مسنِد الآفاق الحجَّار، وروت عن خلق، وروى عنها: الحافظ ابن حجر، وقرأ عليها كُتُباً عديدة.

وكانت في آخر عمرها أسندَ أهل زمانها، مكثرةً سماعاً وشيوخاً.

قاله العلمويُّ في طبقات الحنابلة.

قال ابن حجر: تفرَّدت بالسماع من الحجَّار ومن جماعة، وسمع منها الرحَّالة، فأكثروا. وكانت سهلة في الإسماع.

ومن العجائب أنّ ستَّ الوزراء كانت آخر من حدَّثتْ عن ابن الزُّبَيْديّ بالسماع، ثمَّ كانتْ عائشة آخر من حدَّثت عن صاحبه الحجَّار بالسَّماع، وبين وفاتيهما مائة سنة.

[شذرات الذهب ٧/ ١٢٠ ـ ١٢١]

* ستّ العيش

ستُّ العيش أُمّ عبد الله وأُمّ الفضل عائشة بنت القاضي علاء الدِّين عليّ بن محمد؛ الكاتبة الفاضلة الصالحة الكنانيَّة العسقلانيَّة الأصلِ، ثُمَّ المصريَّة الحنبليَّة سبطة القلانسيّ؛

وُلِدت سنة إحدى وستين وسبعمائة، وحضرت على جدِّها فتح الدين القلانسِيِّ أكثر العلامات وغيرها، وسمعتْ من العزِّ ابن جماعة والقاضي موفَّق الدين الحنبليّ وناصر الدِّين الحراوي، ولها إجازة من محبِّ الدِّين الخلاطيّ وجماعة من الشاميِّين والمصريِّين. وأكثر عنها الطلبة آخراً، وكانتْ خيِّرة تكتُب خَطّاً جيِّداً، وهي والدة القاضي عزِّ الدين ابن قاضي المسلمين برهان الدِّين إبراهيم بن نصر الله الحنبلي. [شذرات الذهب ٧/ ٢٣٥]

* الرئيسة

أُمّ عبد الله نَشْوان بنت الجمال عبد الله بن عليّ الكنانيَّة ثُمَّ المصريَّة الحنبليَّة الرئيسة؛ روت عن العفيف النشاوري وغيره، وروى عنها جماعة من الأعيان؛ منهم القاضي كمال الدِّين الجعفريُّ النابلسيُّ وغيره.

وكانتْ خيِّرة صالحةً، وهي من أقارب القاضي عزّ الدِّين الكنانيّ، وكانت على طريقته في العِفَّة والزُّهْد حتى في قبول الهديَّة.

[شذرات الذهب ٧/ ٣٢٣]

* أُمّ زينب الواعظة

أُمُّ زينب فاطمة بنت عباس البغداديّة الشيخة العالمة الفقيهة الزاهدة القانتة سيدة نساء زمانها الواعظة؛

انتفع بها خلق من النِّساء، وتابوا، وكانت وافرة العقل والعلم قانعةً

باليسير، حريصةً على النفع والتذكُّير، ذات إخلاص وخشية وأمرٍ بالمعروف؛ انصلح بها نساء دمشق ثُمَّ نساء مصر. وكان لها قبول زائد ووقع في النُّفوس.

[شذرات الذهب ٦/ ٣٤]

* زينب بنت أحمد المقدسيّ

المعمَّرة أُمُّ محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر المقدسيّ؛ سمعت ابن اللتّي والهَمْدانيّ، وتفرَّدت بأجزاءٍ كالثقفيّات ومسندَيْ عبد والدارميّ، وارتحلتْ إليها الطلبة، وحدَّثت بمصر والمدينة النبويَّة.

[شذرات الذهب ٦/ ٥٦]

* ست الفقهاء

المعمَّرة أمة الرحمن ست الفقهاء بنت الشيخ تقيّ الدِّين إبراهيم بن الواسطيّ الصالحيَّة المحدِّثة سمعتْ جزء ابن عرفة من عبد الحقِّ حضوراً، وسمعت من إبراهيم بن خليل وغيره، وأجاز لها جعفر الهمذانيُّ وكريمة وأحمد بن المعزّ وابن القِسْطيِّ وعدد كثير، وكانت مشاركة صالحة مباركة، روت الكثير، وهي والدة فاطمة بنت الدباهيّ.

[شذرات الذهب ٦/ ٧١]

* مسندة الشام المقدسيّة

مسنِدة الشَّام أُمّ عبد الله زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسيَّة المرأة الصالحة العذراء؛ روتْ عن محمد بن عبد الهادي وخطيب مردا واليدانيّ وسبط ابن الجوزيّ وجماعة، وبالإجازة عن عجيبة الباقداريّة، وابن الخير وابن العليق وعدد كثير، وتكاثروا عليها، وتفرَّدت، وروتْ كُتُباً كباراً.

[شذرات الذَّهب ٦/ ١٢٦]

* فخر النِّساء

شهْدة بنت أحمد بن الفرج الإِبريّ الدينوريّ البغداديّ الملقَّبة بفخر النِّساء الكاتبة؛

امرأة جليلة صالحة ذات دِين وورع وعبادة، سمعت الكثير، وعُني بها أبوها وأحضرها مجالس السماع على الشيوخ، وعمَّرتْ وصارتْ أسندَ أهل زمانها.

سمع منها أبو سعد بن السمعاني، وذكرها في كتابه روى عنها خلق كثير.

[ذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٤٠٥]

وقال صاحب وفيات الأعيان في ترجمتها:

كانت من العلماء، وكتبت الخطَّ الجيِّد وسمع عليها خلق كثير، وكان لها السماع العالي ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر.

[وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٧]

* آمنة ابنة أبـي إسحاق الواسطيّ

الشيخة الصالحة آمنة ابنة الإمام الزاهد تقيّ الدِّين أبـي إسحاق إبراهيم بن عليّ الواسطيّ؛ حضرتْ على عمر بن محمد الكرماني، وسمعت من الشيخ زين الدِّين المقدسيِّ «الأربعين» للآجرّيّ، ومن عبد الرَّحيم بن عبد الملك، وعبد الرَّحمن بن الزين وإبراهيم بن أحمد وأبـي بكر الهرويّ، وحدَّثت غير مرَّة.

[الوفيات لابن رافع السلامي ١٢٢]

* أمة العزيز البعلبكيّة

الشيخة أمة العزيز ابنة الشيخ الإمام أبـي الحسين عليّ بن محمد بن اليونيني البعلبكيّة؛ سمعت من نصر الله بن حواريّ «سباعيات أبـي الأسعد القُشَيْري»، ومن الشمس عبد الرحمن بن أبـي عمر الأول من «أمالي القاضي أبـي بكر»، ومن المسلم بن علاَّن، وأجاز لها شيخ الشيوخ عبد العزيز والكمال الضرير وغيرهما. وسمع منها البرزالي، وقال: هي أكبر بنات الشيخ شرف الدِّين أبـي الحسين الموجوداتْ، وتُعرَف بالشيخة، وهي امرأة مباركة، لها عبادة واجتهاد.

[الوفيات لابن رافع السلامي ٢٠٨]

* ستّ العرب

ستُّ العرب بنت محمد بن الفَخْر عليّ بن أحمد بن عبد الواحد البخاريّ؛ الشيخة الصالحة الحنبليّة المسندة المُكثِرة، حضرت على جدِّها كثيراً، وعلى عبد الرحمن بن الزين وغيرهما. وحدَّثت، وانتشر عنها حديث كثير، وسمع منها الحافظان العِراقيُّ والهيثميُّ، والمقرىء ابن رجب، وذكرها في معجمه. قال ابن قانع: طال عمرها وانتُـفِـع بها.

[شذرات الذهب ٦/ ٢٠٨]

* أمّ الهنا

أُمُّ الهنا جُوَيْرية بنت أحمد بن أحمد الهكاريّ؛ سمعت من ابن الصوَّاف مسموعه من النسائيِّ ومسند الحُمَيْدي، ومن عليّ بن القيِّم ما عنده من صحيح الإسماعيليّ. وكانتْ خيِّرة ديِّنة أكثر الطلبة عنها.

[شذرات الذهب ٦/ ٢٨٠]

* ستّ الكلّ

ستُّ الكلّ بنت أحمد بن محمد بن الزين القَسْطلانيّة ثمَّ المكِّيَّة؛ حدَّثتْ بالإجازة عن يحيى بن فضل الله ويحيى بن البصريّ وابن الرِّضى وغيرهم من الشاميِّين والمصريِّين، وسمع منها ابن حجر بمكَّة.

[شذرات الذهب ٧/ ٢٨]

* أُمّ يوسف الصالحيّة

فاطمة بنت محمد المقدسيّة ثمَّ الصالحيَّة الحنبليّة أُمُّ يوسف؛ كان أبوها محتسب الصالحيّة، وهو عَمُّ الحافظ شمس الدين.

أسمعت الكثير على الحجّار وغيره. وأجاز لها أبو نصر بن الشّيرازيّ وآخرون من الشام وحُسَيْن الكُرْديّ وعبد الرحيم المنشاويّ، وآخرون من مصر.

قال ابن حجر: قرأتُ عليها الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحيّة ونِعْمَ الشيخة كانت.

[شذرات الذهب ٧/ ٣٣]

* زينب بنت محمد الغَزّيّ

زينب بنت محمد بن محمد بن أحمد الغزِّيّ الشافعيَّة.

قال في «الكوكب»: كانتْ من أفاضل النِّساء من أهل العلم والدِّين والصلاح؛ قرأتْ على والدها وعلى أخيها شقيقها الشيخ الوالد كثيراً، وكتبت له كُتُباً بخطِّها، ومدحته بقصيدة تقول فيها:

إنَّمـــا العـــالـــم الـــذي جمـــع العلـــم واكتمـــل

قــــام فيـــه بحقِّـــهِ يتبــع العلــم بــالعمــلْ
سهـــر اللَّيـــل كلَّـــه بنشـــاطٍ بـــلا كَسَـــلْ
فهـــو والله دأبـــه أبــد الــدهــر لــم يــزلْ
حـــاز عِلْمـــاً بخشيـــةٍ وبـــدنيــاه مــا اشتغــلْ
حـــاســـديـــه تعجَّبـــوا ليــس ذا الفضــل بــالحِيَــلْ
ذاك مـــولاه خصَّـــه بكمـــالٍ مـــن الأَزَلْ
مـــن يَـــرُم مُشْبِهـــاً لـــه فــي الــورىٰ عقلــه اختبَــلْ
أو بلـــوغـــاً. لفَضْلـــه فلـــه قـــطُّ مـــا وَصَـــلْ
فهـــو شيخـــي وسيِّـــدي وبـــه النَّفْـــع قـــد حَصَـــلْ

وشِعْرها في المواعظ وغيرها في غاية الرِّقَّة والمتانة. اتصلتْ بمنلاًّ كمال وبعده بالقاضي وشهاب الدِّين البصرويّ.

[شذرات الذهب ٨/ ٣٩١ ـ ٣٩٢]

*** خديجة بنت محمد**

خديجة بنت محمد بن حسن البابيّ الحلبيّ المعروف بابن البيلونيّ الشافعيّ؛ الشيخة الصالحة المتفقِّهة الحنفيَّة، أجاز لها الكمال بن الناسخ الطرابلسيّ وغيره روايةَ صحيح البخاريّ، واختارتْ مذهب أبي حنيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ مع أنَّ أباها وإخوتها شافعيُّون، حِفْظاً لطهارتها عن الانتقاض بما عساه يقع من مسِّ الزوج لها، وحفظتْ فيه كتاباً وكانت ديِّنة، صيِّنة متعبِّدة مقبلة على التلاوة إلى أن تُوفِّيتْ في شهر رمضان.

[شذرات الذهب ٨/ ١٧٢]

* بنت قريمزان

فاطمة بنت عبد القادر بن محمد بن عثمان الشهيرة ببنت قريمزان؛ الشيخة الفاضلة الصالحة الحنفيَّة الحلبيَّة شيخة الخانقيين العادليَّة والدجاجيَّة معاً؛ كان لها خطٌّ جيِّد ونسختْ كُتُباً كثيرة، وكان لها عبارة فصيحة وتعفّف وتقشُّف، وملازمة للصلاة حتّى في حال المرض.

تزوَّجها الشيخ كمال الدِّين محمد بن ميرجمال الدِّين بن قلى درويش الأردبيليُّ الشافعيُّ نزيل المدرسة الرواحيَّة بحلب الذي قيل:

إنَّ جدَّه أوَّل من شرح المصباح. قالت: وعن زوجي هذا أخذت العلم. وكان يقول: ملَّكني الله تعالى ستةً وثلاثين عِلْماً.

[شذرات الذهب ٨/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨]

* أُمّ الخير أمة الخالق

أُمّ الخير أَمَة الخالق؛ الشيخة الأصيلة المعمِّرة، ولدت سنة إحدى عشرة وثمانمائة، وحضرت على الجمال الحنبليِّ، وأجاز لها الشرف بن الكويك وغيره، وهي آخر من يروي البخاري عن أصحاب الحجَّار، نزل أهل الأرض درجة في رواية البخاريّ بموتها رحمها الله تعالى.

[شذرات الذهب ٨/ ١٤]

* عائشة الباعونيَّة

عائشة بنت يوسف الباعونيَّة؛ الشيخة الصالحة الأريبة العالمة العاملة أُمّ عبد الوهَّاب الدمشقيَّة؛ أحد أفراد الدهور ونوادر الزمان فَضْلاً وأدباً وعلماً وشِعْراً وديانة وصيانة. تنسَّكتْ على يد السيِّد الجليل إسماعيل الخوارزميّ، ثُمَّ على خليفة المحيوي يحيـى الأرمويّ. ثُمّ حُملتْ إلى القاهرة ونالت من

العلوم حظّاً وافراً، وأُجيزتْ بالافتاء والتدريس، وألَّفت عدَّة مؤلَّفات منها:

«الفَتْح الحنفي»: يشتمل على كلماتٍ لدنيَّة ومعارف سنيَّة.

و «الملامح الشريفة والآثار المنيفة»: يشتمل على إنشادات صوفيَّة ومعارف ذوقيَّـة.

و «دُرّ الغائص في بحر المعجزات والخصائص»: وهو قصيدة رائيَّة.

و «الإِشارات الخفيَّـة في المنازل العليَّـة»: وهي أُرجوزة اختصرتْ فيها «منازل السائرين» للهرويّ.

وأُرجوزة أخرى لخَّصت فيها «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاويّ.

وبديعية شرحتها، وغير ذلك. [شذرات الذهب ٨/ ١١٢]

* أمّ حبيبة الأصبهانيّة

عائشة بنت معمر بن الفاخر أُمّ حبيبة الأصبهانيّة؛ حضرت فاطمة الجوزدانيّة، وسمعت من زاهر وجماعة. قال ابن نُقطة:

سمعنا منها مسند أبـي يعلى بسماعها من سعيد الصيرفيِّ.

[شذرات الذهب ٥/ ٢٥]

* زينب الشعريّة

زينب الشعريّة الحُرَّة أُمّ المؤيَّد بنت أبـي القاسم عبد الرحمن بن الحُسين الجرجانيِّ ثُمَّ النيسابوريِّ الشعريِّ الصوفيِّ؛ سمعتْ من ابن الفراويّ عبد الله، ومن زاهر الشحامي، وعبد المنعم ابن القُشَيْريّ وطائفة. وانقطع بموتها إسنادٌ عالٍ. [شذرات الذهب ٥/ ٦٣]

* مسندة الشام القُرشيّة

كريمة بنت عبد الوهَّاب بن عليّ بن الخضر؛ مُسْنِدة الشام أُمُّ الفضل القُرَشيَّة الزُّبَيْريَّة، وتُعرَف ببنت الحبَـقْبَق روتْ عن حسّان الزيّات وخَلْق، وأجاز لها أبو الوقت وابن الباغْبان ومسعود الثقفيُّ وخلق، وروت شيئاً كثيراً.

[شذرات الذهب ٥/ ٢١٢]

* زينب بنت مكّي

زينب بنت مكِّي بن عليّ بن كامل الحرّانيّ، الشيخة المعمَّرة العابدة أُمّ أحمد، سمعتْ من حنبل وابن طبرزد وستِّ الكتبة وطائفة، وازدحم عليها الطلبة.

[شذرات الذهب ٥/ ٤٠٤]

* أمة الواحد ابنة القاضي المحامليّ

أمة الواحد ابنة القاضي أبـي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحامليِّ؛ حفظت القرآن والفقه والنحو والفرائض والعلوم، وبرعت في مذهب الشافعيّ، وكانت تفتي مع أبـي عليّ بن أبـي هريرة.

[شذرات الذهب ٣/ ٨٨]

* زوجة القشيريّ

فاطمة بنت الشيخ أبـي عليّ الحسن بن عليّ الدقَّاق الزاهد زوجة القشيريّ؛ كانت كبيرة القدر عالية الإسناد من عوابد زمانها، روت عن أبـي نعيم الإسفراييني والعلويِّ والحاكم وطائفة.

[شذرات الذهب ٣/ ٣٦٥]

* سِتُّ الخُطباء

ستُّ الخطباء بنت قاضي القضاة أبـي الحسن عليّ بن عبد الكافي السبكيّ؛ الشيخة الصالحة سمعت على أبـي الحسن علي بن عيسى بن القيم الأوّل من حديث سفيان بن عُيَيْنة، وسمعت من أبـي الحسن عليّ بن الصواف «سنن النسائي»، وحدَّثت بحمص وغزَّة، وكانت خيِّرة.

[الوفيات لحمد بن رافع السلامي، القسم الثاني ٥٦]

* أُمّ عبد الرحمن ابنة زين الدين

أُمّ عبد الرَّحمن فاطمة بنت زين الدِّين عبد الرَّحمن بن عبد القاهر بن أبـي الرِّضا بن المنفق الحمويّ؛ سمعت من زينب بنت مكِّي جميع «مسند الإمام أحمد» وحدّثت.

[الوفيات لمحمد بن رافع السلامي، القسم الأول ٤٤]

* أُمّ محمّد ابنة الشمس

أُمّ محمّد فاطمة ابنة الشمس محمد بن عليّ بن عيَّاش الذهبـيّ الصالحيّ؛ سمعت من أبـي الحسن عليّ بن أحمد بن البخاريّ، وحدَّثت عنه.

سُمِـع عليها وعلى ابنتها زاهدة ابنة الحاج أبـي العزّ الفأميّ ترجمة عبد الجليل بن مندويه من أوّل الخامس من مشيخة ابن البخاريّ تخريج ابن الظاهريّ.

[الوفيات لمحمد بن رافع السلامي، القسم الأول ٩٨]

* أمّ محمود

أُمّ محمود عائشة ابنة الإمام الصالح شرف الدين أبـي الثناء محمود بن محمد التاذفي الحلبـيّ؛ سمعت من الشيخ تقيّ الدِّين إسماعيل بن أبـي اليُسر «الشمائل» للتِّرْمُذيِّ، ومن أبـي الحسن عليّ بن البخاريّ: «مشيخته» تخريج ابن الظاهريّ، ومن يعقوب بن المعتمد منتقى من مسند العشرة من «مسند الإمام أحمد». [الوفيات لمحمد بن رافع السلامي، القسم الأول ٩٩]

* فاطمة بنت عبد الرحمن الدبهيّ

أُمّ محمد فاطمة بنت عبد الرحمن بن عيسى بن المسلم بن كثير الدبهيّ العراقيّ الصالحيَّة؛ سمعتْ من إبراهيم بن خليل الدمشقيّ وأبـي العبَّاس أحمد بن عبد الدائم وأيبك الجمالي وأبـي الحسن عليّ بن أحمد بن البخاريّ وعمر بن عبد المُنعِم بن القوّاس، وحدَّثت؛ سمع منها البرزاليُّ وخَلْق، وتفرَّدت بالرواية عن أيبك الجماليّ.

[الوفيات لمحمد بن رافع السلامي، القسم الأول ١٠٠ ــ ١٠١]

* المسندة المعمَّرة

الشيخة الصالحة المسندة المعمَّرة أُمّ عبد الله زينب ابنة الشيخ كمال الدِّين أبـي العبَّاس أحمد بن الإمام كمال الدِّين عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسِيّ الصالحيَّة بها؛ سمعتْ من محمد وعبد الحميد ابني الهادي، وإبراهيم بن خليل، وخطيب مردا، وعبد الرحمن بن أبـي الفهم اليلداني، ويوسف بن قزغلي، وأحمد بن عبد الدائم، وأجاز لها جماعة من بغداد منهم: إبراهيم بن الخير، والمبارك ابن الخواص، ومحمد بن عبد الكريم بن السيديّ، والأعز بن العليق،

ويحيى بن قميرة ومحمد بن المعني، ومحمد بن نصر بن الحصري، ومحمد بن عليّ بن بقاء بن السبّاك وغيرهم. وكانت صالحة عابدة كثيرة الصلاة والصيام وفعل الخير، وحدَّثت بالكتب الكبّار، وكانت سهلة في التسميع، مُحِبَّة لأهل الحديث، كريمة النفس. وتفرَّدت بغالب إجازتها، وانتُفع بها، وخُرِّج لها.

[الوفيات لمحمد بن رافع السلامي، القسم الأول ١٠٨]

* زوجة الحافظ يوسف المِزِّيّ

الشيخة الصالحة أُمّ محمد عائشة بنت إبراهيم بن صديق السُّلَميّ الدمشقيَّة، زوج الحافظ أبي الحجّاج يوسف المِزِّيّ؛ سمعت من أحمد بن هبة الله بن عساكر، ومن أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، ومن أصحاب محمد بن السيِّد بن أبي لُقْمة الجزء السابع من حديث أبي النَّصْر محمد بن أحمد بن هارون. وحدَّثت، وسمع منها ابن طغريل[1] الجزء السابع المذكور، وكانت تحفظ القرآن وتُلقِّنه لجماعة من النِّساء، وكانت صالحة خيِّرة.

[الوفيات لمحمد بن رافع السَّلاميّ، القسم الأول ١٣١]

* المسندة أُمّ عبد الله المقدسيَّة الصالحيَّة

الشيخة الصالحة المُسْنِدة المعمَّرة أُمّ عبد الله فاطمة ابنة الشَّيخ العِزّ إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسيَّة الصالحيَّة بها.

حضرتْ على إبراهيم بن خليل «نسخة أبي مسهر» وما معها، و «جزء ابن الفراتيّ»، وسمعت من ابن عبد الدايم «مشيخته» لنَفْسِه، وعِدَّة أجزاء، وأجاز لها محمد بن عبد الهادي، وحدَّثت مرَّات، وكانت عابدةً رحمها الله تعالى.

[الوفيات لمحمد بن رافع السَّلاميّ، القسم الأوّل ٢٣٨ ــ ٢٣٩]

---

(١) في نسخة: ابن طغربك.

*** المسندة الكبيرة**

المسندة الكبيرة أمة العزيز زينب ابنة المحدِّث نجم الدِّين إسماعيل بن إبراهيم بن الخبّاز، سمعت من الحسن بن المهير، وابن عبد الدايم، ومن عبد العزيز بن عبد المنعم بن عبد «الأربعين البلدانيَّة» لأبي القاسم بن عساكر، ومن يوسف ومحمد ابني خطيب بيت الآبار، وعليّ ابن الأوحد، ومحمد بن إسماعيل بن عساكر، ومظفَّر بن عبد الكريم بن الحنبليّ، والسيف يحيى بن الحنبليّ وغيرهم.

[الوفيات لمحمد بن رافع السَّلاميّ، القسم الأوّل ٢٨٥]

❑ ❑ ❑

حسن ذكائهن وجميل سؤالهن وجوابهن وردهن

* **رسول جماعة النِّساء إلىٰ رسول الله ﷺ**

روي عن أسماء بنت زيد الأنصاريَّة ـ وكانت من ذوات العقل والدين ـ أنَّها أتت النبيَّ ﷺ فقالتْ:

إنِّي رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلُّهنَّ يقُلن بقولي وعلى مثل رأيي؛ إنَّ الله تعالىٰ بعثك إلىٰ الرِّجال والنِّساء، فآمنَّا بك واتَّبعناك، ونحن معشر النِّساء مقصورات مخدّرات، قواعد بيوتٍ، ومواضع شهوات الرِّجال، وحاملات أولادهم، وأنَّ الرِّجال فُضِّلوا بالجُمُعات، وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربَّينا أولادهم أفنُشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفتَ رسول الله ﷺ بوجهه إلىٰ أصحابه، فقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟!».

فقالوا: بلىٰ والله يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ:

«انصرفي، يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النِّساء أنَّ حُسْنَ تبعُّل

إحداكنَّ لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كلَّ ما ذكرت للرجال».

فانصرفت أسماء وهي تهلِّل وتكبِّر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ.

[الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البرّ ٤/ ٢٣٨]

* جواب صالح من امرأة صالحة

عن إبراهيم بن أبـي عَبْلة قال:

كنت جالساً مع أُمّ الدرداء، فأتاها آتٍ، فقال: يا أُمّ الدرداء، إنَّ رجلاً نال منكِ عند عبد الملك بن مروان.

فقالتْ: إنّ نؤبن بما ليس فينا، فطالما زُكِّينا بما ليس فينا.

[روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١٧٨]

* البنـت الذكيـة

حُكي إنْ تاجراً سافر من مصر بعبدَيْن، فأرادا قَتْله في الطريق، فقال لهما:

قولا لبنتيَّ إذا دخلتما مصر: قال لكما أبوكما:

مَـنْ مُبْلـغ بنتَـيَّ عنِّـي أنَّنـي ... لله درُّكمـا ودَرُّ أبيكُمـا

فحفظاه، ثمَّ قتلاه، ورجعا إلىٰ مصر. فلمَّا كان بعد مُدَّةٍ تذكَّرا وصيَّته، فجاءا إلى بيت بِنْتَيْه، فقالا لإحداهما البيت، فطلعت من باب الغُرفة إلىٰ عند أُختها، فحكتْ لها الحكاية، فقالتْ: أوّاه، إنَّ أبانا لمقتول.

قالتْ: ومن أين لك؟

قالتْ: إنَّه يُشير إلىٰ قول الشاعر:

مــن مبلِــغ بنتَــيَّ عنِّــي أنَّنــي   أصبحــتُ مقتــولَ الفــلاةِ مُجَنْـدلا
للهِ درُّكمـــــا ودَرُّ أبيكُمـــــا   لا يُفْلِــتُ العبــدانِ حتــىٰ يُقتَــلا

فأُخذ العبدان، واستُقِرّا، فأقرّا بقتله..

حكاه صاحب «بدائع البداية».

[طبقات الشافعيّة الكبرىٰ ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠]

* القاضي يبتسم لحجّة امرأة

قال عليّ بن القاسم القاضي: سمعت أبـي يقول:

كان موسىٰ بن إسحٰق لا يُرىٰ مبتسِماً قطُّ، فقالتْ له امرأة:

أيُّها القاضي، لا يحلُّ أن تحكم بين اثنين وأنت غضبان.

قال: ولم؟

قالتْ: لأنَّ النبـيَّ ﷺ قال:

«لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غَضْبان».

فتبسَّم. [الأذكياء لابن الجوزي ٢٦١]

* ردّ امرأة على قوم من بني نمير

مرّت امرأة بقومٍ من بني نُمَيْر، فأحدّوا النَّظر إليها، فقال منهم قائل: واللّهِ، إنَّها لرَشْحاء[1].

فقالتْ: يا بَني نُمَيْر، واللّهِ ما امتثلتُم فيَّ واحدةً من اثنتين؛ لا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾.

ولا قول الشاعر: فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك من نُمَيْرٍ.

[زهر الآداب ١/ ٥٦]

---

(١) الرشحاء: كثيرة العَرَق، وذلك من عيوب النساء.

* أُمّ الشافعيّ في ذكائها وحُسن استنباطها

كانتْ أمّ الشافعيّ ــ رضي الله عنهما ــ باتفاق النَّقَلة من العابدات القانتات، ومن أذكىٰ الخَلْقِ فِطْرة؛ وهي التي شهدت هي وأُمّ بِشْرٍ المَرِيسيّ بمكّة عند القاضي، فأراد أن يفرّق بينهما؛ ليسألهما منفردتَيْن عمّا شهدتا به استفساراً، فقالت له أُمّ الشافعيّ:

أيُّها القاضي ليس لك ذلك؛ لأنَّ الله تعالىٰ يقول:

﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾.

فلم يفرّق بينهما.

قال تاج الدين السبكيّ:

هذا فرع حَسَن، ومعنىً قويّ، واستنباط جيِّد، ومنزع غريب، والمعروف في مذهب ولدها ــ رضي الله عنه ــ إطلاق القول بأنَّ الحاكم إذا ارتاب بالشهود استُحِبَّ له التفريق بينهم، وكلامها ــ رضي الله عنها ــ صريح في استثناء النِّساء، للمنزع الذي ذكرَتْه، ولا بأس به.

[طبقات الشافعيّة الكبرىٰ ٢/ ١٧٩ ــ ١٨٠]

❑ ❑ ❑

من بلاغتهنّ

*** أمّ المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ تدافع عن أبيها الصديق ـ رضي الله عنه ــ**

قالَتْ عائشة أُمُّ المؤمِنين ــ رضي الله تعالى عنها ــ في الدِّفاع عَن أبيها لمَّا بلغها أنَّ أقواماً تناوَلُوه بِسُوءِ القَوْل:

أَبـي ومـا أبيَـهْ! أَبـي واللَّـهِ لا تَـعْـطُـوه[1] الأَيْـدي، ذاكَ طَـوْدٌ مُنيف[2]، وظِـلٌّ مَـدِيد؛ هيهاتَ كذبَتْ الظُّنون، أَنْجَـحَ إذا أَكْدَيْـتُم[3]، وسَـبَـقَ إذ ونَـيْـتُـم[4]؛ سَبْق الجـوادِ إذا استـولىٰ علىٰ الأمدِ[5]، فتىٰ قُـرَيْـشٍ نـاشئـاً، وكَهْفُهـا كهـلاً، يَفُـكُّ عـانِيَهـا، ويَـرِيـشُ[6] مُمْلِقَهـا[7]،

(١) تَعْطُوه: تناوَلَهُ.

(٢) الطود المنيف: الجبل المُشرِف.

(٣) أكديتم: خِبتم ويُئِسَ من خيركم.

(٤) ونيتم: فترتم وضعفتم.

(٥) الأمد: الغاية.

(٦) يَرِيش: يُعطي ويُفضِل.

(٧) المُمْلِق: الفقير.

ويَرْأَب[١] شعْبَها[٢]، ويَلُمُّ[٣] شَعَثَها[٤]، حتىٰ حَلِيَتْه قُلُوبُها، ثمّ استشرىٰ[٥] في دين اللَّهِ، فما بَرِحت شَكِيمتُه[٦] في ذاتِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ حتّىٰ اتَّخذ بفنائِهِ مسجداً يُحيـي فيه ما أمات المبطلون، وكان رحمه الله غزير الدَّمْعة، وَقيذَ[٧] الجوانح[٨]، شجِيّ[٩] النَّشِيج[١٠]، فانعطفتْ إليه نِسْوانُ مكَّة وولدانُها يسخرون منه، ويستهزِئون به، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١١]، فأكبَرتْ ذلك رجالاتُ قُرَيشٍ، فحَنَتْ قِسِيَّها، وفوّقتْ سهامَها[١٢]، وامتثلوه غرضاً[١٣]، فما فَلّوا[١٤] له صفاةً[١٥]، ولا قَصَفُوا[١٦] له قناةً، ومرَّ علىٰ

---

(١) يَرْأَب: يجمع.

(٢) الشَّعْب: المتفرّق.

(٣) يلمّ: يضمُّ.

(٤) الشَّعَث: ما تفرّق من الأمور ومنه: (لم الله شَعَثَهم) أي: جمع متفرّقَهُم.

(٥) استشرىٰ: جدَّ وانكمش.

(٦) الشَّكيمة: الأَنَفة والحميَّة.

(٧) الوَقيذ: العليل.

(٨) الجوانح: الضلوع القِصار التي تقرُب من الفؤاد.

(٩) الشجيّ: الحزين.

(١٠) النشيج: صوت البكاء.

(١١) سورة البقرة: الآية ١٥.

(١٢) فوّق السَّهْم: جعل له فُوقاً. والفُوْق: حيث يُثْبَّتُ الوتر من السهم، وله فُوْقان.

(١٣) نصبوه هدفاً لسهام ملامهم وأقوالهم.

(١٤) فَلّوا: كسروا.

(١٥) الصفاةُ: الصخرة الملساءُ.

(١٦) قصفوا: كسروا.

سيسائِه[1]، حتىٰ إذا ضَرَب الدِّينُ بجِرانِه[2]، وألقىٰ بَرْكَه، ورستْ[3] أوتادُه، ودخل الناسُ فيه أفواجاً، ومن كلِّ فِرقة أرسالاً وأشتاتاً[4]، اختار اللَّهُ لِنبيِّه ما عنده، فلمَّا قبض اللَّهُ نبيَّهُ ﷺ نصب الشيطان رِواقَه[5]، ومدَّ طُنُبَه[6]، ونَصَب حبائله، وأَجْلَب بخَيْله ورَجِله، واضطرب حبلُ الإسلام، ومَرِج[7] عهدُه، وماجَ أهلُه[8]، وبُغِيَ الغوائلُ[9]، وظنَّت رجال أن قد أَكْثَب[10] نَهْزُها[11]، ولات حين الذي يَرجُون[12]، وأَنّىٰ والصِّديق بين أظهُرِهم؟ فقام حاسِراً مشَمِّراً، فجمع حاشيتَيْه، ورفع قُطْرَيه[13]، فردَّ رَسَنَ الإسلام علىٰ

---

(١) سيساؤه: شدّته، والسِّيساء: عظم الظهر، والعرب تضربه مثلاً لشِدَّة الأمر، قال الشاعر:

لقــد حملــت قيــسُ بــنُ عَيْــلانَ حــربنــا
علــىٰ يــابِــسِ السِّيســاءِ مُحْــدَودِبِ الظَّهــرِ

(٢) الجِران: الصَّدْرُ.

(٣) رستْ: ثَبَتَتْ.

(٤) الأرسال: الجماعات المتتابعة، والأشتات: المتفرِّقون.

(٥) الرِّواق: ستر يُمدُّ دون السقف. والبيت من الشَّعر يُحمل علىٰ عمود واحد طويل في وسطه.

(٦) الطُّنُب: حبل طويل تُشدُّ به الخيمة والسُّرادق ونحوهما. جمعه: أطناب.

(٧) مَرِج: اختلط.

(٨) ماج أهلُه: اضطربوا وتنازعوا.

(٩) بُغِيَ الغوائل: معناه وطُلِب البلايا.

(١٠) أَكْثَبَ: قَرُبَ.

(١١) النَّهز: اختلاس الشيء والظَّفر به مبادرة.

(١٢) ولات حين الذي يرجون، معناه: وليست الساعةُ حينَ ظَفرهم.

(١٣) فجمع حاشيتيه ورفع قُطريه، معناه: تحزَّم للأمر وتأهَّب له. والقُطْر: الناحية.

غَرْبِهِ[١]، ولَمَّ شَعَثَه بطَبِّه[٢]، وأقام أَوَدَه[٣] بثِقافه[٤]، فابذَعَرَّ[٥] النّفاقُ بوَطْئه، وانتاش الدِّينَ[٦] فنَعشه[٧]، فلمّا أراح الحقَّ علىٰ أهله[٨]، وقرَّر الرؤوسَ علىٰ كواهلها[٩]، وحَقَن الدِّماء في أُهُبها[١٠]، أتته منيَّته، فسدَّ ثُلْمتَه[١١] بنظيره في الرحمة، وشقيقه، في السِّيرة والمَعدِلة[١٢]، ذاك ابنُ الخطَّاب، لله دَرُّ أُمٍّ حَفَلت له[١٣]، ودرَّت عليه، لقد أوحدتْ به[١٤] ففَنَّخ الكَفَرة[١٥]

(١) أي أعاده إلىٰ ما كان عليه في حياة رسول الله ﷺ.

(٢) الطَّبُّ: الدواء.

(٣) الأود: العِوَج.

(٤) الثِّقاف: تقويم الرِّماح وغيرها.

(٥) ابذعَرَّ: تفرَّق.

(٦) انتاش الدينَ: أي أزال عنه ما يُخاف عليه.

(٧) نعشه: رَفَعه.

(٨) أراح الحقّ علىٰ أهله: أي أعاد الزكاة التي منعتها العرب فقاتل عليها حتى رُدّت إلى حكم رسول الله ﷺ.

(٩) وقرّر الرؤوس علىٰ كواهلها، معناه: وقىٰ المسلمين القَتْل. والكاهل: أعلىٰ الظهر وما يتّصل به.

(١٠) وحقن الدماء في أُهُبها، معناه: أنّه حقن دماء المسلمين في أجسادهم. والأُهُب: جمع إهاب، وأَصْل الإهاب: الجِلْد. فكَنَتْ به عن الجسد.

(١١) الثُّلْمة: الموضع المنكسر من حدِّ السيف ونحوه. وانثَلَم الشيء وتثلَّم: انكسر حدُّه.

(١٢) المَعْدِله: الاستقامة ومجافاة الظُّلْم.

(١٣) لله درُّ أُمّ حفلت له: أي جمعت له اللبن.

(١٤) أوحدت به، معناه: جاءت به منفرداً لا نظير له.

(١٥) ففنَّخَ الكفرة، معناه: أذلَّها.

ودَيَّخَها[1]، وشرَّد الشِّرك شذرَ مَذر[2]، وبَعَج الأَرْضَ وبخَعَها[3]، فقاءتْ أُكُلَها[4]، ولفظت جنينها، تَرْأَمه[5] ويَصدِف[6] عنها، وتصدَّىٰ[7] له ويأباها، ثمَّ وزَّع فيها فَيْئَها، وودَّعها كما صبَّحها، فأَرُوني ما ترتابون؟ وأيَّ يومَيْ أبـي تَنْقِمون؟ أيوم إقامتهِ إذ عَدَل فيكم، أم يومَ ظَعْنِه[8] وقد نظر لكم؟ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ثمَّ أقبلت علىٰ الناس بوجهها فقالت: أَنشُدكم الله، هل أنكرتم ممّا قلتُ شيئاً؟

قالوا: اللهمَّ لا. [نهاية الأرب في فنون الأدب ٧/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢]

* **شهادة عائشة رضي الله عنها لخليفتين**

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ :

لمّـا قُبـض رسـول الله ﷺ نَجَـم[9] النِّفـاق، وارتـدَّت العـربُ، وكـان المسلمون كالغنم الشاردة في الليلة الماطرة، فحمل أبـي ما لو حملته الجبال

(١) ديَّخَها: صغَّر بها.
(٢) شذر مذر، معناه: تفريقاً، يقال: شذَر مذَر، وشَغَرَ بَغَر، بمعنىً واحد.
(٣) بعج الأرض وبَخَعها، معناه: شقَّها واستقصىٰ غلَّتها.
(٤) قاءت أُكُلَها، معناه: أخرجت خُبْزَها.
(٥) ترأمه: تعطِف عليه.
(٦) يَصْدِف: يُعرِض.
(٧) تصدّىٰ له: تَعرَّض له.
(٨) الظعن: الرَّحيل.
(٩) نَجَم: نشأ. وظهر.

لهاضها[1]، فوالله إن اختلفوا في معظَّم إلَّا ذهب بحظِّه ورشده وغنائه، وكنتُ إذا نظرتُ إلىٰ عُمَر علمتُ أنَّه إنّما خُلِق للإسلام، فكان والله أحوذيّاً[2] نسيج وحدِه[3]، قد أعدَّ للأمور أقرانها.

[زهر الآداب ١/ ٦٩]

* بليغ استنجاح وجزيل كرم

قال الأصمعيّ:

وقفتْ أعرابيّة من هوازن علىٰ عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدِّيق ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ فقالت:

إنِّي أتيتُ من أرضٍ شاسِعةٍ، تَهبطني هابطة، وترفعني رافعة، في بَوادٍ بَرَيْنَ[4] لحمي، وهِضْنَ عَظْمي[5]، وتركتني والهةً قد ضاق بي البلد بعد الأهل والوَلَد، وكثرةٍ من العدد، لا قرابة تُؤويني، ولا عشيرة تحميني، فسألت أحياء العرب:

من المُرتجىٰ سَيْبُه[6]، المأمونُ غَيْبُه، الكثيرُ نائلُه، المكْفِيّ سائلُه. فدُلِلْتُ عليك، وأنا امرأة من هوازن، فقدْتُ الولد والوالد، فاصنع في أمري واحدةً مِن ثلاث:

---

(١) هاضها: دكَّها وحطَّمها.

(٢) أحوذيّ: حاذق قاهر للأمور لا يشذ عليه شيء.

(٣) نسيج وحدِه: لا نظير له، كأنّما نسج علىٰ نول لم ينسج عليه سواه.

(٤) بَرَيْنَ لحمي: هَزَلْنه.

(٥) هِضْن عظمي: كَسَرنه.

(٦) السَّيْب: العطاء.

إما أن تُحْسِن صَفْدي[1]، وإمّا أن تُقِيمَ أَوَدي[2]، وإمّا أن ترُدَّني إلىٰ بلدي.

قال: بل أجمعهُنَّ لك.

ففعل ذلك بها أَجْمَع. [العقد الفريد ٣/ ٤٣٣]

* شكوىٰ واستعطاف

لمَّا قَتل المنصورُ محمدَ بن عبد الله اعترضَتْه امرأة معها صبيَّان، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا امرأةُ محمد بن عبد الله، وهذان ابناه، أَيْتَمهما سيفُك، وأَضْرَعهما[3] خوفُك، فناشدتُك الله ــ يا أمير المؤمنين ــ أن تُصعِّرَ[4] لهما خدَّك، أو ينأىٰ عنهما رِفْدُك[5]؛ ولتعطف عليهما شوابكُ النَّسَب[6]، وأواصِرُ[7] الرَّحِم.

فالتفت إلىٰ الربيع، فقال:

اردُد عليهما ضياع أبيهما.

ثمَّ قال: كذا والله أُحِبّ أن تكون نساءُ بني هاشم.

[زهرة الآداب ١/ ١٢٣ ــ ١٢٤]

(١) الصَّفَد: العَطاء.

(٢) الأَوَد: الاعوجاج. وأقام أوده: قوّم اعوجاجه، أو أمسك رَمَقه.

(٣) أَضْرَعهما: أخضعهما وأذلَّهما.

(٤) صعَّر خدَّه: أماله إعراضاً وتكبُّراً وعُجْباً.

(٥) الرِّفد: العطاء.

(٦) الشوابك: الروابط.

(٧) الأواصر: الروابط.

* بلاغة أخت ملك الخزر في النُّصح

قال الجاحظ: حدَّثني حميد بن عطاء قال:

كنت عند الفضل بن سهل، وعنده رسولُ ملك الخَزَر، وهو يحدِّثنا عن أُختٍ لملكهم، قال:

أصابتنا سنةٌ احتدم شُواظُها[١] علينا بحرِّ المصائب، وصُنوف الآفات؛ ففزع الناسُ إلى الملك، فلم يدر ما يُجيبُهم به فقالت أخته:

أيُّها الملك، إنَّ الخوفَ لله خُلُق لا يخلُقُ[٢] جديدُه، وسببٌ لا يمتهن عزيزُه، وهو دالٌّ الملِك علىٰ استصلاح رعيَّته، وزاجره عن استفسادها، وقد فزِعَتْ إليك رعيَّتُك بفضل العَجْز عن الالتجاء إلىٰ من لا تزيدُه الإساءةُ إلىٰ خُلُقه عِزّاً، ولا يَنقُصه العَوْدُ بالإحسان إليهم مُلْكاً، وما أحد أولىٰ بحفظ الوصيَّة من المُوصِّي، ولا بركوب الدلالةِ من الدالِّ، ولا بحُسْن الرعاية من الرّاعي.

ولم تزل في نِعْمة لم تغبرها نِقْمة، وفي رضاً لم يُكدِّره سُخْط، إلىٰ أن جرىٰ القَدَر بما عمي عنه البَصَر، وذُهِل عنه الحَذَر، فسُلِب الموهوب، والواهِب هو السالِب، فعُدْ إليه بشُكر النِّعَم، وعُذْ به من فظيع النِّقَم، فمتىٰ تَنسَه يَنْسَكَ، ولا تجعلنَّ الحياءَ من التذلُّل للمعزِّ المذِلِّ سَتْراً بينك وبينَ رعيَّتك، فتستحِقَّ مذموم العاقبة، ولكن مُرْهُم ونفسَك بصَرْف القلوب إلىٰ الإقرار له بكُنْهِ القُدْرة، وبتذلُّل الألسُن في الدعاء بمحض الشّكْرِ له؛ فإنَّ الملك ربَّما عاقب عبده ليرجِعه عن سيِّىء فِعلٍ إلىٰ صالح عملٍ، أو ليبعثه علىٰ دائب شُكْرٍ ليُحرِزَ به فَضْل أجرٍ. اهـ.

---

(١) احتدم شُواظها: اشتدَّ لهبُها. والشُّواظ: هو لَهَبُ النار بلا دخان.

(٢) يخلُق: يبلىٰ، وبابه: نصَر، وكرُم، وسمع.

فأمرها الملك أن تقوم فيهم فتنذرَهم بهذا الكلام، ففعلتْ، فرجع القوم وقد علم الله منهم قَبُول الوَعْظ في الأمر والنهي، فحال عليهم الحَوْل وما منهم مفتقدُ نعمةٍ كان سُلِبَها، وتواترتْ عليهم الزيادات بجميل الصُّنْع. فاعترف لها الملك بالفضل، فقلَّدها المُلْك؛ فاجتمعت الرعيَّة لها على الطاعة في المكروه والمحبوب.

قال: وهذا وهُمْ أعداء الله تعالىٰ، وضرائر نعمته، ومستوجبو نِقْمتِهِ، أعاد لهم بالشُّكْر ما أرادوا، وأعطاهم بالإقرار له بكُنْه قدرته ما تمنَّوا، فكيف بمن يجمَعُه على الشُّكْر نوران اثنان: قرآنٌ منزل، ونبـيٌّ مُرسَل، لو صدقت النيَّات، واجتمعت على الافتقار إليه الطلبات؛ لكنَّهم أنكروا ما عرفوا، وجهلوا ما علموا، فانقلبَ جدُّهم هَزْلاً، وسكوتُهم خَبْلاً[1].

[زهر الآداب ١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤]

* من بلاغة نساء بني عامر

عن الزياديِّ والهيثم بن عديٍّ قالا:

نزل بامرأة رجلٌ من العرب، والمرأة من بني عامر، فأكرمتْه وأحسنتْ قِراه[2]؛ فلمّا أراد الرَّحيل تمثَّل ببيت يهجوها فيه:

لعمرُك ما تبلىٰ سرابيل[3] عامرٍ من اللُّؤْمِ ما دامتْ عليها جلودُها

فلمَّا أنشده، قالتْ لجاريتها: قولي له ألم تُحسِن إليك، وتفعل، وتفعل؟ هل رأيت تقصيراً؟

---

(١) الخَبْل: فساد العقل. ويفتح الباء كذلك.

(٢) القِرىٰ: ما يُقدَّم إلىٰ الضَّيف من الطعام ونحوه.

(٣) السرابيل: مفرده سِربال: وهو ما يُلبس من قميص أو درع.

قال: لا.

قالتْ: فما حملكَ علىٰ البيت؟

قال: جرىٰ علىٰ لساني.

فخرجتْ إليه جارية من بعض الأخبية[1]، فحدّثته حتىٰ أَنِس واطمأنَّ.

ثمَّ قالتْ له: ممن أنت يا ابن عمٍّ؟

قال: رجل من بني تميم.

قالتْ: أتعرف الذي يقول:

تميمٌ بطُرْقِ اللُّؤمِ أَهْدىٰ من القطا[2] ... ولو سلكتْ سُبْلَ المكارمِ ضلَّتِ
أرىٰ اللَّيلَ يجلوه النهارُ ولا أرىٰ ... خلالَ المخازي عن تميم تجلَّتِ
ولو أنَّ برغوثاً علىٰ ظَهْرِ قَمْلَةٍ ... يكرُّ على صفَّيْ تميم لَولَّتِ
ولو جمعتْ يوماً تميمٌ جموعَها ... علىٰ ذَرَّةٍ مربوطةٍ لاستقلَّتِ
تميمٌ كجَحْشِ السُّوءِ يرضعُ أُمَّهُ ... ويتبعُها بالرَّغْمِ إن هيَ وَلَّتِ
ذَبحْنا فسمَّيْنا على ما ذَبِيحنا ... وما ذبحتْ يوماً تميمٌ فسَمَّتِ

قال: لا، والله ما أنا من تميم.

قالت: ما أقبَح الكذب بأهله، فممَّن أنتَ؟

قال: رجل من بني ضَبَّة.

قالت: أفتعرف الذي يقول:

لقد زرِقتْ عيناكَ يا ابن مُعَكْبرٍ ... كما كلُّ ضبِّيٍّ من اللؤمِ أزرقُ

(١) الأَخْبِية: جمع مفرده: خِباء وهو بيت من صوف أو وبر أو شعر يُقام على عمودين أو ثلاثة.

(٢) القطا: جنس طير واحدته: قَطاة.

قال: لا، والله ما أنا من بني ضبّة.

قالت: فمِمَّن؟

قال: من بني عِجْل.

قالت: أفتعرف القائل:

أرىٰ الناسَ يُعطون الجزيلِ وإنَّما عطاءُ بني عِجْلٍ ثلاثٌ وأربعُ
إذا مات عِجْليٌّ بأرضٍ فإنّما يُخَطُّ له فيها ذراعٌ وإصبعُ

قال: لا، والله ما أنا من بني عِجْل.

قالت: فممَّن؟

قال: من الأَزْد.

قالت: أفتعرف القائل:

فما جزعت أَزْديّةٌ من خِتانها ولا أكلتْ لحمَ القنيصِ المُعقَّبِ[1]
ولا جاءها القنَّاصُ بالصيد في الخِبا ولا شربتْ في جلدِ حُوتٍ مُعَلَّبِ

قال: لا، والله ما أنا مِنَ الأَزْد.

قالتْ: فممَّن؟

قال: من بني عَبْس.

قالتْ: أفتعرف القائل:

إذا عَبْسِيَّةٌ ولَدَتْ غلاماً فبشِّرْها بلُؤْمٍ مُستفادِ

قال: لا، والله ما أنا من بني عَبْسٍ.

قالتْ فممَّن؟

---

(١) القَنيص: هو ما يُصاد ويسمّىٰ أيضاً قَنَصاً ومَقْنُوصاً.

قال: من بني فَزارة.

قالت: أفتعرف القائل:

لا تـأمنـنَّ فَـزاريّـاً خلـوتَ بـهِ ... علىٰ قَلُوصِكَ[1] واكتبْها[2] بأَسْيارِ[3]

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بني فَزارة.

قالت: فمِمَّن؟

قال: من بَجِيلة.

قالت: أفتعرف القائل:

سـألنـا عـن بَجِيلـةَ حيـن جـاءتْ ... لتُخبـر أيـن قَـرَّ بهـا القَـرارُ

فمـا تـدري بجيلـةُ إذْ سـألْنـا ... أقحطـانٌ أبـوهـا أم نِـزارُ

فقـد وقعـتْ بَجيلـةُ بيْـنَ بيْـنٍ ... وقـد خُلِعـتْ كمـا خُلِـعَ العِـذارُ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بَجيلة.

قالت: فمِمَّن؟

قالت: من بني نُمَير.

قالت: أفتعرِف القائل:

فغُـضّ الطَّـرْف إنَّـك مـن نُمَيـرٍ ... فـلا كعبـاً بلغـتَ ولا كـلابـا

ولـو وُضِعـتْ فِقـاحُ[4] بنـي نُمَيـرٍ ... علـىٰ خَبَـثِ الحـديـدِ إذاً لَـذابـا

---

(١) القَلُوص من الإبل: الفتيّة المجتمعة الخَلْق.

(٢) اكتبها: اجمعها.

(٣) الأسيار: جمعٌ مفرده: سَيْر وهو قطعة مستطيلة من الجلد وتجمع علىٰ سُيُور وسُيُورة.

(٤) الفِقاح: جمع، مفرده: الفَقْحة، وهي: حَلْقة الدُّبُر.

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بني نُمَيْرٍ.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من بني باهلة.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا نـصَّ الكـرامُ إلـىٰ المعـالـي ... تنحّـىٰ البـاهلـيُّ عـن الـزِّحـامِ
إذا ولـدتْ حَليلـةُ بـاهلـيٍّ ... غـلامـاً زيـد فـي عـددِ اللِّئـامِ
ولـو كـان الخليفـةُ بـاهليّـاً ... لقصَّـر عـن مُسـامـاةِ الكِـرامِ
وعِـرْضُ البـاهلـيِّ وإن تَـوقّـىٰ ... عليـهِ مثـلُ منـديـلِ الطعـامِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من باهلة.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من ثَقيفٍ.

قالت: أفتعرِف القائل:

أضـلُّ النـاسيـن لنـا ثقيـفٌ ... فمـا لهـمُ أبٌ إلاَّ الضَّـلالُ
فـإن نُسِبَـتْ أو انتسبـتْ ثقيـفٌ ... إلـىٰ أحـدٍ فـذاكَ هـو المُحـالُ
خنـازيـرُ الحُشُـوش فقـاتلـوهُـمْ ... فـإنَّ دمـاءهـم لكـمُ حَـلاَلُ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من ثقيف.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من سَليح.

قالت: أفتعرِف القائل:

فـإنَّ سَلِيحـاً شتَّـت اللَّـهُ شَمْلَهـا

قال: لا، واللّهِ ما أنا من سَلِيح.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من خُزاعة.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا فَخَرتْ خُزاعةُ في نَدِيٍّ ... وجدْنا فَخْرَها شُرْبَ الخُمورِ
وباعتْ كعبةَ الرحمٰن جَهْلاً ... بِزِقٍّ بِئسَ مُفتَخَرُ الفُجورِ

قال: لا، واللّهِ ما أنا من خُزاعة.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من بني يَشْكُر.

قالت: أفتعرِف القائل:

ويَشْكُر لا تستطيع الوَفَا ... ولو رامتِ الغَدْرَ لم تَغْدِرِ
قبيلةٌ عيشتُها في الكَرَى[1] ... لئامُ المناخِرِ والعُنْصُرِ

قال: لا، واللّهِ ما أنا من يَشْكُر.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من بني أُميَّة.

قالت: أفتعرِف القائل:

وهَىٰ[2] من أُميَّة بُنيانُها ... فهان علىٰ الناسِ فِقْدانُها
وكانتْ أُميَّةُ فيما مضىٰ ... جَرِيّاً علىٰ اللّهِ سُلطانُها

(١) الكرىٰ: النَّوم أو النُّعاس.
(٢) وَهَىٰ: ضَعُف.

فــلا آلُ حــربٍ أطــاعــوا الإلَــه ولــم يتَّــقِ اللَّــهَ مَــرْوانُهــا

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بني أُميّة.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من عَنَزَة.

قالت: أفتعرِف القائل:

ما كنتُ أخْشَىٰ وإن كان الزّمانُ لنا زمــانَ سُــوءٍ بــأن تغتــابَنِــي عَنَـزَهْ

فلستُ من وائلٍ إن كنتُ ذا حَذَرٍ ممَّن يَضِلُّ كما قد ضلَّتِ الحرزَهْ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بني عَنَزَة.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من كِنْدَه.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا مــا افتخــر الكِنْــدِيُّ ذو البَهْجَــةِ بــالطُّــرَّهْ

فــدَعْ كِنْــدَةَ للنَّسْــجِ فــأعــلا فخــرهــا غُــرَّهْ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من كِنْدَة.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من بني أَسَد.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا أَسَــديــةٌ بلغَــتْ ذِراعــاً فــزوِّجْهــا ولا تــأمَــنْ زِنــاهــا

وإن أَسَــديَّــةٌ خَضَبــتْ يــدَيْهــا ولمّــا تَــزْنِ أَشْــرَكَ والــداهَــا

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بني أَسَد.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من هَمْدان.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا هَمْــدان دارتْ يــومَ حَــرْبٍ رحـاهـا فـوق هـامـات الـرِّجـالِ
رأيتَهُــمُ يحثُّــون المطــايــا ســراعــاً هــاربيــنَ مِــن القِتــالِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من هَمْدان.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من نَهْد.

قالت: أفتعرِف القائل:

نَهْــدٌ لِئــامٌ إذا مــا حــلَّ ضَيفُهُــمُ سُـودٌ وجـوهُهُـم كـالـزِّفـتِ والقـارِ
والمستغيــثُ بنَهْــدٍ عنــد كُــرْبتِــهِ كـالمُسْتَجيـر مِـن الـرَّمْضـاءِ بـالنَّـارِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من نَهْدٍ.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من قُضَاعة.

قالت: أفتعرِف القائل:

لا يفخــرَنَّ قُضــاعــيٌّ بــأُسْــرتــهِ فليس من يَمَنٍ مَحْضاً ولا مُضَرِ
مُـذَبْـذَبيـن فـلا قحطـانُ والـدهُـمْ ولا نِــزارٌ فسيِّئْهُــمْ إلــى سَقَــرِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من قُضَاعة.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من بني شَيْبان.

قالت: أفتعرِف القائل:

شَيْبانُ رهطٌ لهُمْ عديدٌ ... وكلُّهُمْ مُعْرِقٌ لئيم
شُرْبهمُ من فُضولِ ماءٍ ... يفضُلُ عن أسوةِ العميم

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من شَيْبان.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من تَنُوخ.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا تنوخُ قطعتْ مَنْهَلاً ... في طلبِ الغاراتِ والثَّارِ
أتتْ من بحرى مرار العلىٰ ... وشهرة في الأَهْلِ والجارِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من تَنوخ.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من ذُهْل.

قالت: أفتعرِف القائل:

إنَّ ذُهْلاً لا يُسعِدُ اللَّهُ ذُهْلاً ... شَرُّ جيلٍ يُظَلّ تحتَ السَّماءِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بني ذُهْلٍ.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من مُزَيْنَة.

قالت: أفتعرِف القائل:

وهل مُزَيْنَة إلاَّ من قُبيِّلةٍ ... لا يُرتجىٰ كرمٌ فيها ولا دينُ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من مُزَيْنة.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من النَّخَع.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا النَّخَـع اللِّئـامُ عَـدَوا جميعـاً تـدكـدْكـتِ[١] الجبـالُ من الـزِّحـامِ
ومـا يُغنـي إذا صـدقـتْ فتيـلاً ولا هِـيَ فـي الصَّميـمِ مـن الكـرامِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من النَّخَع.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من طيٍّ.

قالت: أفتعرِف القائل:

ومـا طيّـىءٌ إلاَّ نَبيـطٌ[٢] تجمَّعـتْ فقـالـوا طَيـايـا كِلْمـةً فـاستمـرَّتِ
ولـو أنَّ عصفـوراً يمـدُّ جنـاحَـهُ علـىٰ دُورِ طـيٍّ كُلِّهـا لاستظلَّـتِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من طَيٍّ.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من عَكّ.

قالت: أفتعرِف القائل:

عَـكٌّ لِئـامٌ كلُّهـم أبَـكٌّ[٣] ليـس لهُـم مـن المـلامُ فَـكٌّ

---

(١) تدكْدَكت الجبال: انهدمت وصارت بمُسْتوىٰ الأرض.

(٢) نبيط: تقول العرب نبط فلان البئر: استخرج ماءها. والنَّبَط: أول ما يظهر من ماء البئر عند حفرها. وفي البيت يريد قلّة عدد طيِّىء وصغر حجمها.

(٣) الأَبكُّ: هو الأجير الذي يسعىٰ في أُمور أهله.

قال: لا، واللّهِ ما أنا من عَكّ.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من لَخْم.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا ما احتبىٰ قومٌ لفضلٍ قديمَهُم تباعَد فخرُ الجودِ عن لَخْمَ أجمعا

قال: لا، واللّهِ ما أنا من لَخْمٍ.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من جُذام.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا كأسُ المُدامِ أُديرَ يوماً لِمَكْرُمةٍ تنحّىٰ عن جُذامِ

قال: لا، واللّهِ ما أنا من جُذام.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من كَلْب.

قالت: أفتعرِف القائل:

فلا تقربَنْ كَلْباً ولا بابَ دارِها ولا يطمعنْ سارٍ يَرىٰ ضَوْءَ نارِها

قال: لا، واللّهِ ما أنا من كَلْبٍ.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من بَلْقِين.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا ما سألتَ اللُّؤمَ أينَ محلُّه تُصِبْ عندَ بَلْقِينٍ له طَرفانِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بَلْقِين.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من بني الحارث بن كعب.

قالت: أفتعرِف القائل:

حَارِ بن كَعْبٍ ألا أحلامَ تحجِزُكم عنَّا وأنتُم من الجُوفِ الجَماخِيرِ[1]
لا عَيْبَ في القوم مِن طُولٍ ومن عِظَمٍ جِسْمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من بني الحارث بن كعب.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من بني سُلَيْم.

قالت: أفتعرِف القائل:

إذا ما سُلَيْمٌ جئتَها في مُلمَّةٍ رجعْتَ كما قد جئت خزيانَ نادِما

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من سُلَيم.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: من فارس.

قالت: أفتعرِف القائل:

ألا قُلْ لمُعْتَرٍّ[2] وطالبِ حاجةٍ يُريدُ بنُجْحِ نفعَها وقضاها
فلا تقربِ الفُرْسَ اللئامَ فإنَّهم يردُّون مولاهم بخُبْثِ رَداها

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من فارس.

قالتْ: فمِمَّن؟

---

(١) الجماخير: جمعٌ مفرده: جُمْخور: الأجوف.

(٢) المُعْترُّ: الفقير، والمعترض للمعروف من غير أن يسأله.

قال: من الموالي.

قالت: أفتعرِف القائل:

ألا من أراد اللُّؤمَ والفُحْشَ والخَنا فعِنْد المـوالـي الجيِّـدُ والكتفـانِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من الموالي.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: رجل من ولد حام.

قالت: أفتعرِف القائل:

ولا تُنكِحُـوا أولادَ حـامٍ فـإنَّهـم مشاويهُ خَلْقِ اللَّهِ حاشا ابن أكْوَعِ

قال: لا، واللَّهِ ما أنا من حام.

قالتْ: فمِمَّن؟

قال: رجل من الشيطان الرجيم.

قالت: فعليك لعنة اللَّهِ، وعلىٰ الشيطان الرجيم، أفتعرف الذي يقول:

ألا يـا عبـادَ اللَّـهِ هـٰذا عـدوُّكُـمْ وذا ابـنُ عـدوِّ اللَّـهِ إبليـس خـاسئـا

قال: الله! الله! أقيليني العَثْرة، فوالله ما ابتُلِيتُ بمثلكِ قطُّ.

[طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/٢٦٨ ـ ٢٧٩]

❑ ❑ ❑

مِن مَواعِظِهِنَّ

* قلَّة الذنوب وسيلة السبق

قالتْ عائشة ــ رضي الله عنها ــ :

إنَّ العبد إذا عمل بمعصية الله؛ عاد حامده من النّاس ذامّاً.

إنّكم لم تلقَوا الله بشيءٍ خيرٍ لكم من قلَّة الذُّنُوب، فمن سرَّه أَنْ يسبق الدائب المجتهد، فليكُفَّ نفسه عن الذُّنُوب.

[أحسن المحاسن ١٥٥]

* سبيل الكفاية من الناس

وقالتْ ــ رضي الله عنها ــ :

من أسخط الناس برضىٰ الله؛ كفاه الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط الله وَكَلَه الله إلىٰ الناس. [الزهد ١٦٤]

* حديث الميت على سريره

حدَّث شيخ من بني تميم يقال له أبو هزار قال: قالتْ لي أُمُّ الدرداء: أبا هزار، ألا أُحدِّثك ما يقول الميِّت علىٰ سريره.

قال: قلتُ: بلىٰ.

قالتْ: فإنَّه ينادي، يا أهلاه، ويا جيراناه، ويا حملة سريراه لا تغُرَّنَّكم الدنيا كما غرَّتْني، ولا تلعَبنَّ بكم كما لعبتْ بـي، فإنَّ أهلي لم يحملوا عنِّي من وزري شيئاً، ولو حاطوني اليوم عند الله لحجُّوني.

* خطر الدنيا

وقالت: الدنيا أسحر لقلب العبد من هاروت وماروت، وما آثرها عبد قطُّ إلاَّ أضرعت خدَّه. [الزهد ١٦٥]

* أثر الشباب في العمل

قال هشام بن حسان: كانتْ حفصة تقول لنا:

يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإنِّي ما رأيت العمل إلاَّ في الشباب.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٤]

* حال العبد مع الله بين الحذر والرجاء

عن امرأةٍ من بني عديٍّ أرضعتها معاذة بنت عبد الله قالتْ: قالتْ لي معاذة:

يا بُنيَّة، كُوني من لقاء الله ــ عزَّ وجلَّ ــ علىٰ حذَرٍ ورجاءٍ، وإنِّي رأيتُ الرَّاجي له محقوقاً بحُسْن الزُّلفىٰ لديه يوم يَلْقاه، ورأيتُ الخائف له مؤمِّلاً للأمان يوم يقوم الناس لربِّ العالمين.

ثم بكتْ حتىٰ غلبها البكاء.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٣]

* قول في ذمِّ البُخْل

قالت أُمُّ البنين ابنة عبد العزيز بن مروان:

أُفٍّ للبُخْل، لو كان قميصاً مالبسنُه، ولو كان طريقاً ماسلكتُه.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٩٨]

* كيف يعامل ربّه

قال أبو بكر الهُذَليُّ: كانت عجُوز من بني عبد القيس متعبِّدة، فكانت تقول:

عاملوا الله علىٰ قدر نِعَمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تُطيقوا فعلىٰ قَدْرِ سَتْرِه، فإن لم تُطيقوا فعلىٰ الحياءِ منه، فإن لم تُطيقوا فعلىٰ الرجاءِ لثوابه، فإن لم تُطيقوا فعلىٰ خوفِ عِقابه.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩١]

* من ضاق قلبه ضاقت عليه دنياه

دخل إبراهيم الخوّاص علىٰ أُخته ميمونة ـ وكانت أختَه لأُمِّه ـ فقال لها: إني اليوم ضيّق الصدر.

فقالت: من ضاق قلبُه؛ ضاقت عليه الدنيا بما فيها، ألا ترىٰ الله يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾[١]. لقد كان لهم في الأرض متَّسع، ولكن لمّا ضاقتْ عليهم أنفسُهم؛ ضاقتْ عليهم بما فيها الأرضُ.

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٨]

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٨.

* الانعتاق إلى الرحمن لُبُّ الإيمان

قالت رُقَيَّة العابدة، وكانتْ بالموصل:

حرامٌ علىٰ قلبٍ فيه رهبانيَّة المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان؛ شَغَلوا قلوبهم بالدنيا عن الله عزَّ وجلَّ، ولو تركوها لجالت في الملكوت، ورجعت إليهم بطُرَف الفوائد.

وكانت تقول:

تفقَّهوا في مذاهب الإخلاص، ولا تفقَّهوا فيما يؤدِّيكُم إلىٰ الرُّكوب علىٰ القلاص[1]. [صفة الصفوة ٤/ ١٩٠ ـ ١٩١]

* حوار العارفين

قال ذو النون المصريُّ: بينما أنا أسير في تيه بني إسرائيل إذا أنا بجاريةٍ سوداء قد استلبها الولَه من حُبِّ الرَّحمٰن، شاخصة ببصرها نحو السماء، فقلتُ: السلام عليك، يا أختاه.

فقالتْ: وعليك السلام يا ذا النون.

فقلتُ لها: من أين عرفتِني، يا جارية؟

فقالتْ: يا بطَّال، إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلق الأرواح قبل الأجساد بألفَي عامٍ، ثمّ أدارها حول العرش، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فعرفتْ رُوحي روحَك في ذلك الجَوَلان.

قلتُ: إنِّي لأراكِ حكيمةً، علِّميني شيئاً مما علَّمكِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فقالتْ: يا أبا الفَيْض، ضع على جوارحك ميزان القِسْط حتى يذوب كلُّ ما كان لغير الله، ويبقىٰ القَلْبُ مصفّىً ليس فيه غيرُ الربِّ عزَّ وجلَّ، فبعد ذلك

(١) القِلاص: مفرده: القلوص: وهي الناقة.

يُقيمك علىٰ الباب ويُوَلِّيك ولاية جديدة، ويأمر الخُزّانَ لك بالطاعة.

فقلتُ: يا أُختاه، زيديني.

فقالتْ: يا أبا الفَيْض، خُذ من نفسكَ لنَفْسِكَ، وأطع الله ــ عزَّ وجلَّ ــ إذا خلوتَ يُجِبْكَ إذا دعوت. [صفة الصفوة ٤/ ٤٣٠ ــ ٤٣١]

* من ثمار التوسُّل إلىٰ الله والانقطاع إليه

قال عبيد الله بن محمد التيميُّ: حدَّثني جليس لنا كان يُقال له ضرار الطفاويُّ قال: لقيتني امرأة من غنيّ عابدةٌ يقال لها: عاتِكة، فقالت: يا ضرار، توسَّلْ إلى مولاك بجميع ما يُمكنك من الوسائل، فإنَّك تجدُ ذلك لك مُوفَراً عند حلول الأمور الجلائل، وانقطِعْ إليه في حوائجك لديه؛ يأتِ لك عليها علىٰ غير تعب منك ولا نَصَب، واعلم أنَّه لن ينال المطيعون في الدنيا لذَّةً أحلىٰ في صدورهم من الازدياد لله في طاعته بقُرْبه، ولَحلاوة ساعةٍ من مطيع ألذُّ في قلوب المريدين من جميع ما أُخرج إلىٰ الدنيا من زهرة ولذَّة، ولن يجد المريد فَقْدَ شيءٍ تركه رجاء ثواب الله. فَجِدَّ، أَيْ أخي، قبل أن لا يمكنك الجِدُّ، وبادر قبل فوات المبادرة، فإنَّ الدنيا لا تطيب لعارفها، وإنمّا تورّطها أهل الغِرَّة، وعمّا قليل فسوف يعلمون.

قال: أمسكتْ، فقامتْ. [صفة الصفوة ٤/ ٣٩٠]

* الإنسان والأيام

قال جعفر بنُ سليمان: سمعتُ رابعةَ تقول لسفيان:

إنمّا أنت أيّام معدودة، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضُك، ويُوشك إذا ذهب البعضُ أنْ يذهَبَ الكُلُّ وأنتَ تعلمْ، فاعَملْ.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٩]

* السلامة من الدنيا ترك ما فيها

قال جعفر بن سليمان: أخذ بيدي سفيان الثوريُّ، وقال: مُرَّ بنا إلىٰ المؤدِّبة التي لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتُها.

فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال: اللَّهمَّ إني أسألك السلامة.

فبكت رابعة فقال لها: ما يُبكيكِ؟

قالتْ: أنت عرَّضتني للبكاء.

فقال: وكيف؟

قالت: أما علمت أنَّ السلامة من الدنيا تَرْكُ ما فيها، فكيف وأنت مُتلطِّخ بها؟

وقال الثوريُّ بين يدي رابعة: واحُزْناه.

فقالتْ: لا تكذب. قل: واقِلَّة حُزْناه، لو كنتَ محزوناً ما هناكَ العيشُ.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٩]

* من ثمار ترك الشهوات

قال أحمد بن أبـي الحواريّ: حدَّثتني عجوزٌ من أهل البَصْرة قالتْ: سمعت بحريَّة العابدة تقول:

إذا ترك القَلْبُ الشهوات أَلِفَ العِلْمَ واتَّبعه، واحتمل كلَّ مايَرد عليه.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩]

* واعظ يُوعَظ

قال عبد الواحد بن زيد في قِصَّته مع ميمونة السوداء:

فقلتُ لها: عِظيني.

فقالتْ: واعَجباً لواعِظٍ يُوعَظ. ثمّ قالتْ: يا ابنَ زيد، إنَّكَ وضعت معايير القِسْط علىٰ جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنونِ ما فيها، يا ابن زيد، إنَّه بلغني أنَّه ما مِنْ عبدٍ أُعطي من الدنيا شيئاً فابتغىٰ إليه ثانياً إلاَّ سَلَبه الله حُبَّ الخلوة معه، وبدله بعد القُرْبِ البُعْدَ، وبعد الأُنْسِ الوحشةَ.

ثمَّ أنشأتْ تقول:

يـا واعظـاً قـام لاحتسابِ يـزجـر قـومـاً عـن الـذنـوبِ
تنهـىٰ وأنـتَ السقيـمُ حَقّـاً هـذا مـن المنكـر العجيـبِ
لـو كنـتَ أصلحـتَ قبـل هـذا عيبـك أو تُبْـتَ مـن قـريـبِ
كـان لمـا قلـتَ يـا حبيبـي مـوقـع صـدقٍ مـن القُلـوب
تنهـىٰ عـن الغـيِّ والتمـادي وأنـتَ فـي النهـي كـالمـريـبِ

فقلتُ لها: إني أرىٰ هذه الذئاب مع الغَنَم، فلا الغنم تفزع من الذئاب، ولا الذئاب تأكل الغَنَم، فأيُّ شيءٍ هذا؟

فقالتْ: إليكَ عنِّي، فإنِّي أصلحتُ ما بيني وبين سيِّدي فأصلح بين الذئاب والغَنَم. [صفة الصفوة ٢/ ١٩٥ ــ ١٩٦]

* أدب العبد مع الله

عن أبـي عبيد القاسم بن سلاّمٍ قال: دخلتُ مكَّة، وكنتُ رُبَّما أقعد بحذاء الكعبة، ورُبَّما كنتُ أستلقي وأمدُّ رجلي، فجاءتْني عائشة المكِّيَّة ــ وكانت من العابدات ممَّن صحب الفُضَيل ــ فقالتْ لي:

يا عبد الله، يُقال: إنَّك عالم، اقبَلْ منِّي كلمة:

لا تجالسه إلاّ بأدب، فيمحو اسمك من ديوان القُرَب.

[صفة الصفوة ٢/ ٢٧٥]

* **حكيمة تعظ إخوانها**

قالتْ حكيمة ـ وكانت مجاورةً بمكَّة ـ لإخوانها الذين جاؤوها ليَسْمعوا كلامَها، وذلك بعد أن بكت طويلاً:

إخوتي وقُرَّة عيني، إنَّما صلاح الأبدان وفسادها في حسن النيَّة وسُوئها.

إخوتي وقُرَّة عيني، إنَّما نال المُتَّقون المحبَّة لمحبَّتهم له وانقطاعهم إليه، ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك، ولكنَّهم أحبُّوا الله ورسوله فأحبَّهم عباد الله لحبِّهم الله ورسوله.

إخوتي وقُرَّة عيني، كلَّم الخوفُ قلوبَ أهله فاقتطعهم والله، وشغلهم عن مطاعم اللّذات والشهوات.

إخوتي وقُرَّة عيني، بقَدْر ما تُعرِضون عن الله يُعرِض عنكم بخيره، وبقَدْر ما تُقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله، والله واسع كريم.

[صفة الصفوة ٢/ ٢٧٩]

* **أثقل شيء وأخف شيء على العبد**

قال السلميُّ: قالتْ زبدة أخت بِشْرِ الحافيِّ:

أثقل شيءٍ على العبد الذنوب، وأخفُّه عليه التوبة، فما له يدفع أثقل شيء بأخفِّ شيء؟!

[صفة الصفوة ٢/ ٥٢٦]

* خطر الدنيا على القلب

كانت امرأة بمكَّة يأتيها العُبَّاد، فيتحدَّثون عندها ويتواعظون، فقالت لهم يوماً:

حَجَبتْ قلوبَكم الدنيا عن الله عزَّ وجلَّ، فلو جليتموها لجالت في ملكوت السمٰوات ولأتتكُم بطُرَف الفوائد. [صفة الصفوة ٢/ ٢٨٠]

* النعيم الحقّ

قال عيسىٰ بن إسحاق الأنصاريُّ: سمعتُ مؤمنة بنت بهلول تقول:

ما النَّعيم إلاّ في الأُنس بالله، والموافقة لتدبيره.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٢٧]

* من غرر النصائح وفريد المواعظ

قال نوحٌ الأسود: رأيتُ امرأة تأتي أبا عبد الله البَراثي فتجلس تسمع كلامه، ولا تكاد تتكلَّم ولا تسأل عن شيء، فقلتُ لها ذات يومٍ: لا أراك، يرحمك الله، تتكلَّمين ولا تسألين عن شيء؟

فقالتْ: قليل الكلام خير من كثيره إلاَّ ما كان من ذكر الله، والمُنْصِت أفهم للموعظة، ولن ينصحك امروٌّ لا ينصح نفسه، وجُملة الأمر يا أخي: إن أردت الله بطاعة؛ أرادك الله برحمةٍ، وإن سلكت سبيل المعرضِين؛ فلا تلُم إلاَّ نفسك إذا صِرْت غداً في زُمرة الخاسرين.

قال: ثم استبكَتْ فقامتْ. وسمعتها تعظ ابنها يوماً وتقول:

ويحك يا بُنيّ، احذَر بِطالات الليل والنَّهار، فتنقضي مهلات الأعمار، وأنت غيرُ ناظرٍ لنفسك ولا مستعدٌّ لسفرك.

ويحك يا بُنيّ، ما من الجنَّةِ عِوَضٌ ولا في ركوب المعاصي ثمنٌ من حلول النهار.

ويحك يا بُنيّ، مهِّد لنفسك قبل أن يُحال بينك وبين ذلك، وجِدَّ قبل أن يجدَّ الأمرُ بك، واحذر سطوات الدهر وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلُّبها بالعِبَر، فعند ذلك يهتمُّ التقيُّ كيف ينجو من مصائبها. ثمَّ قالتْ: بُؤْساً لك ــ يا بُنيّ ــ إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفتَ طغيانه.

[صفة الصفوة ٢/ ٥٢٩ ــ ٥٣٠]

* الآخرة أقرب من الدنيا

قال محمد بن الحسين: حدَّثني فُضَيل بن عبد الوهَّاب قال:

سمعتُ أُختي يوماً تقول:

الآخرة أقرب من الدنيا، وذلك أنَّ الرَّجُل يهمُّ بطلب الدنيا فلعلَّه أن ينشىء لذلك سفراً يكون فيه تعبُ بدنه وإنفاقُ ماله ثمَّ لعله أن لا ينال بُغيته.

والرجل يطلب الآخرة، فمنتهىٰ طلبته في حُسن نيَّته حيث ما كان؛ من غير أن ينشىء سفراً أو ينفق مالاً أو يُتعِب بدناً، ما هو إلاّ أن يُجمع علىٰ طاعة الله، فإذا هو قد أدرك ما عند الله.

قال: وسمعتها تقول:

ما بيننا وبين أن نرىٰ السرور أو ننادي بالويل والثبور إلاّ خروج هذه الأرواح من الأبدان، فانظروا أيَّ عبيدٍ تكونون حينئذٍ؟

قال: ثمَّ صرخت وغُشيَ عليها.

[صفة الصفوة ٢/ ١٨٩ ــ ١٩٠]

* أُمّ تعظ ابنتها

قالتْ أُمُّ أحمد بنت عائشة بنت أبي عثمان النيسابوري: قالتْ لي أُمي:

لا تفرحي بفانٍ، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله عزَّ وجلَّ، واجزعي من سقوطك من عين الله عز وجلَّ.

وقالتْ: قالتْ لي أُمي: الزمي الأدبَ ظاهراً وباطناً، فما أساءَ أحدٌ الأدب في الظاهر إلاَّ عُوقب ظاهراً، ولا أساءَ أحدٌ الأدب باطناً إلاَّ عوقب باطناً.

وقالتْ عائشة:

من استوحش من وحدته فذاك لقلَّة أُنْسه بربِّه.

وقالتْ:

من تهاون بالعبد، فهو من قلَّه معرفته بالسيِّد، فمن أحبَّ الصانع أحبَّ صنعته. [صفة الصفوة ٤/ ١٢٥]

* من مواعظ فاطمة النيسابورية

سأل ابن ملوك، وكان شيخاً كبيراً ــ ذا النون المصريَّ:

من أجلُّ من رأيتَ؟

قال: ما رأيتُ أجلَّ من امرأةٍ رأيتها بمكَّة يُقال لها فاطمة النيسابوريَّة، وكانت تتكلَّم في فهم القرآن.

وتعجَّبتُ منها، فسألتُ ذا النون عنها، فقال لي:

هي وليَّة من أولياء الله عزَّ وجلَّ، وهي أستاذي، فسمعتُها تقول: مَنْ لم يكن الله عزَّ وجلَّ منه على بالٍ فإنَّه يتخطَّى في كلِّ ميدان، ويتكلَّم بكلِّ

لسانٍ، ومن كان الله منه على بالٍ أخرسه إلاَّ عن الصِّدْق، وألزمه الحياءَ منه والإِخلاص.

قال: وقالتْ فاطمةُ:

الصادق المقرَّب في بحرٍ تضطرب عليه أمواجٌ، يدعو ربَّه دعاءَ الغريق، يسأل ربَّه الخلاص والنجاة.

وقالتْ: من عمل لله على المُشاهدة، فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه؛ فهو مخلص.

وقال لها ذو النون المِصريّ: عِظيني، فقالت له:

الزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك.

[صفة الصفوة ٤/ ١٢٤]

* من ثمار عزّ القناعة

قال أبو محرز الطفاوِيُّ: شكوت إلى جاريةٍ لنا ضيقَ المكسب عليَّ وأنا شابٌّ، فقالتْ لي:

يا بُنيّ، استعِنْ بعِزّ القناعة عن ذُلّ المطالب، فكثيراً، واللّهِ، ما رأيتُ القليل عاد سليماً.

قال أبو محرز: ما زلتُ بَعْدُ أعرف بركة كلامها في قُنوعي.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٨]

* أُمّ حسّان تعظ سفيان الثوري

قال سفيان الثوريُّ: دخلت على بنت أُمِّ حسَّان الأَسديّة، فإذا الجوع قد أثَّر في وجهها. فقلتُ لها:

يا بنتَ أُمِّ حسَّان، إنَّكِ لن تُؤتَيْ أكثر مما أُوتي موسى والخَضِر عليهما السلام، إذ أتيا أهل قريةٍ استطعما أهلها.

فقالتْ: يا سفيان، قل الحمد لله.

فقلتُ: الحمد لله.

فقالتْ: اعترفتَ له بالشُّكْر؟

قلتُ: نعمْ.

قالتْ: وجب عليك من معرفة الشُّكر شُكرٌ، وبمعرفة الشّكرَين شُكْرٌ، لا ينقضي أبداً.

قال سفيان: فقَصُر، واللَّهِ، علمي، وفَهَّ[1] لساني، فولَّيْتُ أُريد الخروج، فقالتْ:

يا سفيان، كفى بالمَرْءِ جَهْلاً أَنْ يُعجَب بعلمه، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله. اعلم أنَّه لن تُنقّى القلوب من الرّدى حتى تكون الهمومُ كلُّها في اللَّهِ هَمّاً واحداً.

قال سفيان: فقصُرَتْ إليَّ، واللَّهِ، نفسي.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٥ ــ ٤٦]

* اللِّسان دليل على ما في القلب

دخل على رابعة العدويَّة رياحٌ القَيْسيّ وصالح بن عبد الجليل وكلاب، فتذاكروا الدنيا، فأقبلوا يذمُّونها، فقالتْ رابعة:

إنِّي لأرى الدنيا بترابيعها ــ أي جهاتها الأربع وكلّ ما فيها ــ في قلوبكم.

---

(١) الفهاهة: العِيُّ وعدم الفصاحة.

قالوا: ومِنْ أين توهَّمت علينا؟

قالتْ: إنَّكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلَّمتم فيه.

[صفة الصفوة ٤/ ٢٩]

*** من مواعظ رابعة العدوية**

جاء في ترجمة رابعة العدويّة أُمّ الخير أنَّ سفيان الثوريّ ـ رحمه الله ـ قال يوماً وهو عندها: واحزناه.

فقالتْ: لا تكذب بل قل واقِلَّة حزناه، لو كنت محزوناً لم يتهيّأ لك أَنْ تتنفَّس.

* وكانتْ تقول:

اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيّئاتكم.

وكانتْ تقول:

ما ظهر من أعمالي فلا أعدُّه شيئاً.

* وقالت لسفيان يوماً:

إنَّما أنتَ أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضُك، ويُوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلُّ، وأنت تعلم فاعمل.

* وخطبها أبو سليمان الهاشميُّ، وقد أطمعها بأمواله الكثيرة، فأرسلت إليه:

أما بعد، فإنَّ الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تُورِث الهمَّ والحزن.

فإذا أتاك كتابي فهيّء زادك، وقدِّم لمعادك، وكن وصيَّ نفسك، ولا

تجعل وصيَّتك إلى غيرك، وصُمْ دهرك، واجعل الموت فطرَك، فما يسُرُّني أنَّ الله خوَّلني أضعاف ما خوَّلك فيشغلني بك عنه طرفة عينٍ، والسلام.

[وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦]

*** من عجيب مواقف الاتعاظ**

قال أحمد بن أبـي الحواريِّ: سمعت رابعة ـ يعني زوجته ـ تقول:

ما سمعت الأذان إلاَّ ذكرت مناديَ القيامة، ولا رأيتُ الثَّلْج إلاَّ رأيت تطايُرَ الصُّحُف، ولا رأيتُ جراداً إلاَّ ذكرتُ الحَشْرَ.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٠٢]

❑ ❑ ❑

من حسن كلامهن

* **السهر لثلاثة**

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها:

لا سهر إلاَّ لثلاثة:

مُصَلٍّ، أو عروسٍ، أو مسافِرٍ.

[عيون الأخبار ١/ ١٤١]

* **مهابة الله**

قالت أُمُّ البنين:

ما تَحلّى المتحلُّون بشَيءٍ أحسن عليهم مِن عِظَم مهابة الله في صُدورهم.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٠٠]

* **قول في القناعة والفقر**

قال أبو سليمان الدارانيُّ:

سمعت أُختي ـ يعني عبدةَ ـ تقول: الفقراء كلُّهم أموات إلاَّ مَنْ أحياه الله تعالى بعزّ القناعة والرضا بفقرِه.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٠٠]

* **معنى القلب السليم**

قال أحمد بن أبـي الحَواريّ: حدَّثتني امرأتي رابعة قالت:

دخلتُ على أُخْتٍ لي عاتق بالموصل، فقالت لي: هل تدرين ما معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾؟

قالتْ: قلتُ: لا.

قالتْ: القَلْبُ السليم الذي يلقى الله عز وجلّ وليس فيه شيءٌ غيرُ الله عزّ وجلّ.

قال أحمد: حدثتُ بهذا أبا سُليمان، فقال:

ليس هذا كلام الراهبة، هذا كلام الأنبياء.

[صفة الصفوة ٤/ ١٩٢]

* **تهنئة وسلوان**

قالت زبيدة للمأمون عند دخوله بغداد:

أُهنِّيكَ بخلافةٍ قد هَنَّأتُ نفسي بها عنك قبل أَنْ أراكَ، وإنْ كنتُ قد فقدتُ ابناً خليفة فلقد عُوِّضتُ ابناً خليفةً لم أَلِدْه، وما خَسِر من اعتاض مثلكَ ولا ثكلتْ أُمٌّ ملأتْ يدها منكَ، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوَّض.

[وفيات الأعيان ٢/ ٣١٦]

* **خطأ شاعر وحكمة زوجة خليفة**

حضر شاعر بباب زُبَيْدة أُمِّ الأمين وأنشد:

أزبيــــدة ابنـــة جعفـــر ... طـوبـــى لـزائـركِ المثـابِ

تعطيــن مــن رجليــك مــا ... تعطي الأكفُّ من الـرغـابِ

فتبادر الخدمُ إليه ليُوقعوا به على سوء أدبه وعبارته فقالتْ: دعوه فإنَّ من أراد خَيراً فأخطأ خير ممَّن أراد شرّاً فأصاب، سمع الناس يقولون: شمالُك أَنْدى من يمين غيرِك، فقدَّر أنَّ هذا مثل ذلك، أعطُوه ما أمَّل، وعرِّفوه ما جَهِل.

[وفيات الأعيان ٢/ ٣١٥]

* من بلاغة العارفات

من كلام عائشة الباعونيّة رحمها الله:

وكان ممّا أنعم الله به عليَّ أنَّني بحمده لم أزل أتقلَّب في أطوارِ الإيجاد في رفاهية لطائف البَرِّ الجَواد إلى أَنْ خرجتُ إلى هذا العالم المشحون بمظاهر تجليّاته، الطافح بعجائب قدرته وبدائع إرادته، المشوب موارده بالأقدار والأكدار، الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار دارَ ممرٍّ لا بقاء لها إلى دار القرار. فربّاني اللُّطْف الربَّانيّ في مشهد النِّعمة والسلام، وغذّاني بلبان مداد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة، وفي بلوغ درجة التمييز أهَّلني الحقُّ لقراءة كتابه العزيز، ومنَّ عليَّ بحفظه على التمام ولي من العُمُر حينئذٍ ثمانية أعوامٍ، ثمّ لم أزل في كنف ملاطفات اللَّطيف حتى بلغت درجةَ التكليف.

[شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/ ١١٢]

❑ ❑ ❑

من وصاياهن

*** الخنساء توصي أولادها يوم القادسية**

لما اجتمع الناس بالقادسيَّة دعت الخَنْساءُ بنت عمرو بن الشَّريد السُّلَميَّة بنيها الأربعة فأوصتهم قائلة:

يا بنيَّ، إنَّكم أسلمتم طائعِين، وهاجرتُم مختارِين، واللَّهِ ما نَبَتْ[1] بكم الدَّار، ولا أقحمَتكُم السَّنَة[2]، ولا أرْداكم[3] الطمع، واللَّهِ الذي لا إله إلاَّ هو، إنَّكم لبنو رَجُلٍ واحدٍ كما أنَّـكُم بنو امرأة واحدة، ما خُنْتُ أباكم، ولا فضحتُ خالكم، ولا غيَّرتُ نَسَبكُم، ولا أوطأتُ حريمَكُم، ولا أبحتُ حِماكم.

وقد تعلمون ما أعدَّ الله لكُم من الثَّواب الجزيل في حَرْب الكافرين، واعلموا أنّ الدار الباقية خير من الدار الفانية، فإذا أصبحتم غداً إنْ شاءَ الله سالمين، فاغدوا إلىٰ قتال عدوِّكم مستبصرِين، وباللَّهِ على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرتْ عن ساقها، واضطرب لظاها

---

(١) نَبَتْ: ابتعدت وتجاوزتكم.

(٢) السَّنَة: الجَدْب والقحط.

(٣) أرداكم: أهلككم.

على سياقها. وجُلِّلت ناراً علىٰ أرواقها، فتيمَّموا وطِيسَها[1]، وجالدوا رئيسَها عند احتدام خميسِها[2]؛ تظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة في دار الخُلدِ والمُقامة.

فخرج بنوها قابلين لنُصْحِها، فلمَّا أضاء لهم الصُّبْح بكروا مراكزهم، وأنشأ أوَّلُهم يقول:

يـا إخـوتـي إنَّ العجـوزَ النـاصِحَـةْ قـد نَصحتنـا إذ دعتْنـا البـارحَـةْ
مقــالــةً ذات بيــانٍ واضِحَــةْ فباكروا الحرب الضَّرُوسَ الكالِحَةْ[3]
وإنَّمـا تَلْقَـون عنـد الصـائِحَـةْ مـن آل سـاسـانَ كـلابـاً نـابحَـةْ
قد أيقنوا منكمْ بوقع الجائحَةْ[4] وأنتُـمُ بيـن حيـاةٍ صـالحَـةْ
أو ميتـةٍ تُـورِثُ غُنْمـاً رابِحَـةْ

وتقدَّم فقاتل حتىً قُتِل ــ رحمه الله تعالى ــ .

ثم تقدَّم الثاني وهو يقول:

إنَّ العجـوزَ ذات حـزمٍ وجَلَـدْ والنَّظَـرِ الأوفَـقِ والـرّأي الأَسَـدّ
قـد أمـرتنـا بـالسَّـداد والـرَّشَـدْ نصيحـةً منهـا وبِـرّاً بـالـوَلَـدْ
فبـاكـروا الحَرْبَ حُمـاةً في العَـدَدْ إمّـا لفـوزٍ بـاردٍ علـى الكبـدْ
أو ميتـة تُـورثكـمْ غُنْـمَ الأَبَـدْ في جنَّةِ الفِرْدوس والعيشِ الرَّغَدْ

فقاتل حتىٰ استشهد ــ رحمه الله تعالى ــ .

---

(١) الوطيس: المراد هنا شدّة اشتعالها. والأصل فيه: التنُّور وما أشبهه.

(٢) الخميس: الجيش المؤلَّف من خمس فِرَق: المقدِّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.

(٣) الحرب الضروس الكالحة: الشديدة المهلكة.

(٤) الجائحة: القحط أو المُصيبة والآفة تجتاح المال ونحوه.

ثم تقدَّم الثالث وهو يقول:

واللَّـهِ لا نعصـي العجـوز حَـرْفـاً ... قـد أمـرتْنـا حَـدَبـاً[1] وعَطْفـا
نُصْحـاً وبـرّاً صـادقـاً ولُطْفـا ... فبـادروا الحَـرْب الضَّـرُوس زحفـا
حتـىٰ تكُفُّـوا آلَ كسـرىٰ كَفَّـا ... وتكشِفُـوهـم عـن حمـاكُـم كَشْفـا
إنّـا نـرىٰ التقصيـر عنهـم ضَعْفـا ... والقَتْـلَ فيهـم نَجْـدةً وعُـرْفـا

فقاتل حتىٰ استشهد ـ رحمه الله تعالى ـ .

وحمل الرابع وهو يقول:

لسـتُ لخَنْسـاءَ ولا لـلأَخْـزمِ ... ولا لعمـروٍ ذي السنـاءِ الأَقْـدمِ[2]
إن لـم تـزُر فـي آلِ جمـع الأعجـمِ ... جَمْـعَ أبـي سـاسـانَ جمـع رُسْتَـمْ
بكـلِّ محمـود اللّقـاءِ ضَيغَـمِ ... ماضٍ علىٰ الهَوْل خِضَمٌ خِضْرِمِ[3]
إمَّـا لقَهْـرٍ عَـاجِـلٍ أو مَغْنَـم ... أو لحيـاة فـي السَّبيـل الأكـرم
نَفُـوز فيهـا بـالنَّصِيـب الأَعْظَـمِ

فقاتـل حتّـى قُتِـل ـ رحمـه الله تعـالـىٰ ـ وفتـح اللَّـهُ ـ عـزَّ وجـل ـ للمُسلمين.

فلمَّا بلغ خبرهم الخَنْساء أُمَّهم قالت:

الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم، وأرجو من ربِّي أن يجمعني بهم في مستقرِّ رحمته.

---

(١) الحَدَب: هنا العطف.

(٢) الخَنْساء: هي تماضر بنت عمرو بن الشريد.

(٣) الضيغم: الأسد الواسع الشِّدْقِ.
الخِضَمّ: البحر الواسع.
الخضرم: المختلط.

فكان عمر بن الخطَّاب ــ رضي الله عنه ــ يعطي الخَنْساء بعد ذلك أرزاق أولادها الأربعة، لكلِّ واحدٍ منهم مائتَي دِرهمٍ.

[طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٦٠ ــ ٢٦١
صفة الصفوة ٤/ ٣٨٦ ٣٨٧]

* **وصيَّـة ورعايـة**

قالت أُمّ سفيان الثوريِّ لسفيان:

يا بُنيّ، إذا كتبتَ عشرة أحرف، فانظُر هل ترىٰ في نفسك زيادةً في خشيتكَ وحلمِكَ ووقارِكَ؟ فإنْ لم تر ذلك؛ فاعلم أنَّها تضرُّك ولا تنفعك.

[عيون الأخبار]

وقالت له: يا بُنيَّ، اطلب العلم وأنا أكفيك بمِغزلي.

[الورع ١١٣]

* **موعظة تورث منصب القضاء**

قال الأوقص المخزوميُّ قاضي مكَّة:

قالت لي أُمّي: يا بُنيّ، إنَّك خُلقتَ خِلْقةً لا تصلحُ معها لمجامعة الفتيان في بيوت القِيان، إنَّك لا تكون مع أحد إلاَّ تخطَّتْكَ إليه العيونُ، فعليكَ بالدِّين فإنَّه يرفع الخسيسة، ويُتِمّ النقيصة.

قال: فنفعني الله بكلامها، فبلغتُ القضاءَ.

[عيون الأخبار ١/ ٣٢٢]

* **أُمّ توصي ولدها حين سفره**

أوصتْ امرأةٌ ولدها وقد أراد سَفَراً فقالت:

يا بُنيّ، أوصيكَ بتقوى الله، فإنَّ قليلها أجدىٰ عليك من كثير عقلك، وإيّاكَ والنمائمَ فإنّها تزرع الضغائن وتفرِّق بين المحبِّين، ومثِّل لنفسك ما تستحسنه من غيركَ مثالاً ثمَّ اتخذه إماماً، واعلم أنّه مَنْ جمع بين الحياء والسخاء؛ فقد استجاد الحُلَّة إزارَها ورداءها.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٩٣]

* بين حفظ السرّ ونبذ النميمة

عن العُتبيّ قال: سمعت أعرابيَّةً تُوصي ابناً لها، فقالتْ:

عليك بحِفْظ السرِّ، وإيَّاكَ والنميمة، فإنَّها لا تترك مودَّة إلاَّ أفسدَتْها، ولا ضغينةً إلاَّ أوقدَتْها.

[روضة العُقلاء ونزهة الفُضلاء ١٧٧]

* من أضرار المزاح

عن محمد بن المنكدر قال: قالت لي أُمّي وأنا غلام:

لا تُمازح الغلمانَ، فتهونَ عليهم، أو يجترِئوا عليك.

[روضة العُقلاء ونزهة الفضلاء ٨٠]

* أمّ توصي ابنتها ليلة زفافها

حُكي أنَّ أسماء بنت خارجة قالت لابنتها ليلة زفافها:

يا بُنيّة، إنَّك خرجت من العُشّ الذي فيه درجتِ، فصرتِ إلى فراشٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تأليفه. فكوني له أرضاً؛ يكنْ لك سماءً، وكوني له مهاداً؛ يكنْ لك عماداً، وكوني له أَمَةً؛ يكنْ لك عبْداً. واحفظي أنفه وسمعه وعينه؛ فلا يشمّ منك إلاَّ طِيباً، ولا يسمع إلاَّ حسناً، ولا ينظر إلاَّ جميلاً.

* فضيلة الطاعة وخطر المعصية

أوصت امرأة من السلف أولادها فقالت لهم:

«تعوَّدوا حُبَّ اللَّهِ وطاعتَه، فإنّ المتَّقين أَلِفوا بالطاعة؛ فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإنْ عرض لهم الملعون بمعصيةٍ، مرَّت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون».

* أمّ تثبت ولدها على الحقّ

أخرج نعيم بن حمّاد:

أنَّ عبد الله بن الزُّبير ـ رضي الله عنهما ـ أرسل إلى أُمّه: أنَّ الناس قد انفضُّوا عنِّي وقد دعاني هؤلاء إلى الأمان.

فقالتْ: إن خرجت لإحياء كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ فمُت علىٰ الحقّ، وإنْ كنت إنَّما خرجت علىٰ طلب الدنيا فلا خير فيك حيّاً ولا ميّتاً.

[حياة الصحابة ١/ ٤٩٩، كنز العُمَّال ٧/ ٥٧]

❑ ❑ ❑

من أحوالهن مع الأزواج

* امرأة مهرها الإسلام

خطب أبو طلحة أُمَّ سُلَيْم قبل أن يسلِم، فقالتْ:

ما مثلك يُرَدّ ولكنَّك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تُسلِمْ فذلك مهري لا أسألك غيره.

فأسلم وتزوّجها.

وفي رواية قالت له: ألست تعلم أنَّ إلهك الذي تعبد خشبة تنبت من الأرض نجَّرها حبشيّ بني فلان؟

قال: بلى.

قالتْ: أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجَّرها حبشي بني فلان؟ إنْ أنت أسلمت لم أرد منك صداقاً غيره.

قال: حتى أنظر في أمري.

فذهب ثمّ جاء فقال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله.

فقالتْ: يا أنس، زوِّج أبا طَلْحة.

وفي رواية قال ثابت: فما سمعنا بمهر قطُّ كان أكرم من مهر أُمِّ سُلَيْم «الإسلام».

وفي رواية قال لها: يا رُمَيْصاء(١)، وأين الصفراء والبيضاء ـ يعني الذهب والفضّة ـ؟

فقالتْ: لا أُريد صفراء ولا بيضاء، لا أُريد غير الإسلام، لا أرضى مَهْراً سواه.

فقال: ومِن أين لي بالإسلام؟

قالتْ: دونك رسول الله ﷺ اذهب إليه وأعلن إسلامك أمامه.

فانطلق أبو طلحة، فلما رآه رسول الله ﷺ مُقبلاً قال:

«أتاكم أبو طَلْحة غُرَّة الإسلام بين عينيه».

ثمَّ أخبره خبرَه مع أُمِّ سُلَيْم، فزوَّجه رسول الله ﷺ على ما اشترطَتْ من المَهْر.

[الإصابة في تمييز الصحابة ٤،
صفة الصفوة ٢/ ٦٥ ـ ٦٦، أحسن المحاسن ١٦٠]

صور من وفاء الزوجات للأزواج

* أم الدرداء رضي الله عنها

قال ميمونُ بن مهران: خطب معاوية أُمّ الدرداء، فأبَتْ أن تزوَّجَه، وقالت:

سمعت أبا الدرداء يقول: قال النبيّ ﷺ:

(١) يقال لها: الغُمَيضاء وقيل: الرميصاء، والغُميطاء لحديث: «دخلتُ الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا هي الغميطاء بنت ملحان، وهي أم أنس بن مالك.
[أحسن المحاسن ١٦٠]

«المرأة في آخر أزواجها» أو قال: «لآخر أزواجها» أو كما قال، ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً. [صفة الصفوة ٤/ ٢٩٧]

وجاء في عيون الأخبار:

خطب معاوية أمَّ الدَّرْداء، فقالتْ:

قال أبو الدَّرْداء: قال رسول الله ﷺ:

«المرأة لآخر زوجيها».

فلستُ بمتزوِّجةٍ بعد أبي الدَّرْداء حتى أتزوَّجه في الجنَّة إنْ شاء الله تعالى.

ويُقال: إنَّما حَرُمَ أزواج النبيِّ ﷺ على من بعده لأنَّهُنَّ أزواجُه في الجنَّة.

[عيون الأخبار ٤/ ١١]

* عباسة بنت الفضل

قال الإمام أحمد عن زوجته عبَّاسة بنت الفضل أُمّ ولده صالح:

«أقامت أُمُّ صالحٍ معي ثلاثين سنة، فما اختلفت أنا وهي في كلمة».

[تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٨]

* أم سَلَمة رضي الله عنها

قالت أُمّ سَلَمة لأبي سَلَمة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ بلغني أنَّه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنَّة، ثمّ لم تتزوَّج بعده إلاَّ جمع الله بينهما في الجنَّة، وكذا إذا ماتت امرأة وبقي الرجل بعدها، فيقال: أُعاهدك ألاّ أتزوَّج بعدك، ولا تتزوَّجي بعدي.

قال: أتُطيعيني.

قالتْ: ما استأمرتك إلاَّ وأنا أُريد أن أُطيعك.

قال: فإذا متُّ فتزوّجي، ثمّ قال: اللَّهمّ ارزق أُمَّ سَلَمَة بعدي رجلاً خيراً منِّي لا يُخزيها ولا يؤذيها.

قالتْ: فلمَّا مات، قلتُ من هذا الذي هو خير لي من أبي سَلَمة؟! فلبثتُ ما لبثتُ، ثمَّ تزوَّجني رسول الله ﷺ. وفي الصحيح عن أُمِّ سلمة أنَّ أبا سَلَمة قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«إذا أصاب أحدَكم مصيبة؛ فليقل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللَّهمَّ عندك أحتسب مصيبتي وأجرني فيها».

وأردت أن أقول: وأبدلني بها خيراً منها، فقلتُ من هو خيرٌ من أبي سلمة؟ فما زلتُ حتى قلتُها، فلبثتُ ما لبثتُ، ثمَّ تزوَّجني رسول الله ﷺ.

[الإصابة ٤/ ٤٢٣]

* **فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز**

قال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله تعالى عنه ـ لزوجته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان:

قد علمتِ حال هذا الجوهر ـ لحُلِيِّها ـ وما صنع أبوك، ومِن أين أصابه، فهل لكِ أن أجعله في تابوت، ثمَّ أطبع عليه، وأجعلَه في أَقْصى بيت مال المسلمين، وأُنفِقَ ما دونه، فإنْ خلصتُ إليه أنفقتُه، وإنْ متُّ قبل ذلك فلعَمْري لَيَرُدُّنَّهُ إليك؟

قالتْ له: افعل ما شئت.

ففعل ذلك، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ ، ولم يصِلْ إليه، فردَّ ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك. فامتنعتْ من أخذِه، وقالت: ما كنتُ لأتركه ثُمَّ آخذَه.

فقَسَمه يزيد بين نسائه ونساء بنيهِ.

[سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحَكَم ٦٢]

* الزوجان الوفيّان

قال العُتبيُّ: قال رجل من ولد عليّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ لامرأته: أمرك بيدِكِ. ثمَّ نَدِم.

فقالت: أما والله لقد كان بيدكَ عشرين سنة، فأحسنت حفظه وصحبته، فلن أضيِّعه إذ كان بيدي ساعة من نهار، وقد رددته إليك.

فأُعجب بذلك من قولها وأمسكها.

[الأذكياء ٢٦٤]

مشاهد من خدمة الزوج والقيام بحقّه

* فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ

قال عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ :

كانت ابنةَ رسول الله ﷺ وأكرمَ أهله عليه، وكانتْ زوجتي، فجرَّت بالرَّحىٰ حتى أثَّر الرَّحى بيدها، واستقتْ بالقِرْبة حتّى أثَّرت القِرْبة بنحرها، وقمَّت البيت حتّى اغبرَّتْ ثيابها، وأوقدت تحت القِدْر حتّى دَنِستْ ثيابُها، وأصابها من ذلك ضرّ.

وعن عطاء بن أبـي رباح قال:

إن كانتْ فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لتعجن وإنَّ قُصَّتها[1] لتضرب الأرض والجفنة[2]. [صفة الصفوة ٢/ ١٤]

* أُمّ سلمة ــ رضي الله عنها ــ

أخرج ابن سعد عن المطَّلِب بن عبد الله قال:

دخلت أيِّمُ العرب على سيِّد المسلمين أوّل العشاء عروساً، وقامتْ من آخر اللَّيل تطحن.

يعني: أُمّ سلمة ــ رضي الله عنها ــ. [حياة الصحابة ٢/ ٥٦٦]

* أسماء بنت الصدِّيق رضي الله عنهما

عن عروة بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق ــ رضي الله تعالى عنهما ــ قالت:

تزوَّجني الزُّبَيْر وما له في الأرض مالٌ ولا مملوكٌ ولا شيءٌ غير فرسه. قالت: فكنتُ أعلف فرسَه، وأكفيه مؤنته، وأسومُه، وأدقُّ النَّوىٰ لناضحه، وكنتُ أنقل النوى من أرض الزُّبَيْر، حتّى أرسل إليَّ أبو بكر الصدِّيق بعد ذلك خادماً فكفتني سياسةَ الفرس. [الإصابة ٤/ ٢٣٠]

* من حسن مواقفهنّ مع الزوج وتثبيته على الحقّ

دخل رسول الله ﷺ على خديجة زوجِه ــ رضي الله تعالى عنها ــ يرجف فؤاده مما ألمَّ به مِنَ الرَّوْع الذي استلزمته مقابلة المَلَك، لأوَّل مرَّة فقال:

---

(١) قُصَّتها: القُصَّة: الخَصْلة من الشَّعْر، وشَعْر مقدَّم الرأس.

(٢) الجَفْنة: القَصعة العظيمة.

«زمِّلوني زمِّلوني».

فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع، فقال لخديجة ــ رضي الله تعالى عنها ــ ، وأخبرها الخَبَرَ:

«لقد خشيتُ على نفسي»؛ لأنَّ الملك غطَّه حتى كاد يموتُ، ولم يكن عليه الصلاة والسلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله، فقالتْ:

كلاّ! واللَّهِ ما يُخزيكَ الله أبداً، إنَّكَ لتصل الرَّحِم، وتحمل الكَلَّ[1]، وتُكسِبُ المعدومَ، وتقري[2] الضيف، وتعين على نوائب الحقِّ، فلا يُسلِّط الله عليك الشياطين والأوهامَ، ولا مِراء أنَّ الله اختارك لهداية قومك.

[نور اليقين ٣٧]

*** من صدق وفائهنّ وحسن جوابهنّ**

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله تعالى عنهما ــ ، قال:

كنتُ رجلاً مجتهداً، فزوَّجني أبـي امرأةً، فدخل يوماً منزلي، فلم يرني، فقال للمرأة: كيف تجدين بَعْلَك؟

فقالتْ: نِعْمَ الرَّجُل هو، رجلٌ لا ينام ولا يُفطِر.

فوقع فيَّ أبـي فقال: زوجتك امرأة مِنَ المسلمين، فعطَّلْتها. فلم أُبالِ بما قال لي أبـي مما أجد مِنَ القُوَّةِ والاجتهاد إلى أن بلغ ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعاني فقال لي:

«لكنّي أنام وأُصلِّي، وأصومُ وأُفْطِر، فصَلِّ، ونمْ، وصُمْ مِنْ كلِّ شهرٍ ثلاثة أيّام».

---

(١) الكَلّ: من يعتمد على غيره في معيشته. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾.

(٢) قرى الضيف قِرىً: أضافه.

فقلت: يا رسول الله، أنا أقوى من ذلك.

قال: «صُمْ يوماً، وأفطِرْ يوماً، وهو صوم داود عليه السلام».

وقال لي: «في كم تقرأ القُرآن؟».

قلتُ: في يومين وليلتَيْن.

قال: «اقرأه في خمسةَ عشرَ يوماً».

قال: قلتُ يا رسول الله، أنا أقوىٰ من ذلك.

قال: «فاقرأه في سبع».

ثم قال: «إنَّ لكلِّ عامل شِرَّة، ولكلِّ شِرَّة فترة، فمن كانتْ فتْرته إلى سنَّتي؛ فقد اهتدى، ومن كانتْ فَتْرتُه إلى غير ذلك فقد هلك».

فقال عبد الله بن عمرو ـ رضي الله تعالى عنهما ـ:

لأَنْ أكون قبلتُ رُخصة رسول الله ﷺ أحبُ إليَّ من أَنْ يكون لي مثل أهلي ومالي، وأنا اليوم شيخ قد كبِرتُ وضعفتُ، وأكره أن أترك ما أمرني به رسول الله ﷺ.

[تنبيه الغافلين للسرمقندي ١٨٠]

* شكوى امرأة وذكاء قاضٍ

روى الزّبَيْر بن بكّار:

أنَّ امرأة أتَتْ عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ فقالت:

يا أمير المؤمنين، إنَّ زوجي يصوم النَّهار ويقوم الليل، وأنا أكره أَنْ أشكوَه، وهو يعمل بطاعة الله.

فقال لها: نِعْم الزَّوجُ زوجُكِ.

فجعلتْ تكرِّر عليه القول، وهو يكرِّر عليها الجواب.

فقال له كعب بن سوار الأسديُّ: يا أميرَ المؤمنين، هذه امرأة تشكو زوجها في مباعدته إيّاها عن فراشه.

فقال له عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: كما فهِمتَ كلامها، فاقض بينهما.

فقال كعب؛ عليّ بزوجها.

فأُتِي به. فقال له: إنَّ امرأتكَ تشكوكَ.

فقال: أفي طعام أو شراب؟

قال: لا في واحد منهما.

فقالت المرأة من الرَّجَز:

يا أيُّها القاضي الحكيمُ رشدُهْ   ألهى خليلي عن فراشي مسجدُهْ
زهَّده في مضجعي تعبُّدُهْ   نهاره وليله ما يرقُدُهْ
فلست في أمر النِّساء أحمَدُهْ   فاقض القضا يا كعب لا تردِدُهْ

فقال الزَّوج من الرَّجز:

زهَّدني في فَرْشِها وفي الحجَلْ   أنِّي امرؤٌ أذهلني ما قد نزلْ
في سورة «النَّحْلِ» وفي السَّبْعِ الطِّوَلْ   وفي كتابِ الله تخويفٌ جَلَلْ

فقال كعب من الرَّجَز:

إنَّ لها حَقّاً عليكَ يا رجُلْ   نصيبها في أربعٍ لمن عَقَلْ
فأعطها ذاك ودَعْ عنك العِلَلْ

ثمَّ قال له: إنَّ الله قد أحلَّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيَّام ولياليهنَّ تعبد فيهنَّ ربَّك، ولها يوم وليلة.

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لكعب: والله ما أدري من أيِّ أَمْرَيْكَ أعجبُ أمن فهمكَ أمرهما أم من حكمكَ بينهما؟! اذهب فقد ولَّيتُكَ القضاء بالبَصْرَة.

[الأحكام السلطانية للماوردي ص ٩٢، الأذكياء لابن الجوزي ص ٢٥٢، تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص ١٤١]

* من بليغ اشتكائهنّ وعجيب نفارهنّ

كان أبو الأسود الدُّؤَليُّ من أبرِّ الناس عند معاوية وأقربهم منه مجلساً، فبينا هو ذات يوم عنده، وعنده الأشراف ووجوه الناس، إذ أقبلت امرأة أبـي الأسود حتى حاذت معاوية فقالتْ:

سلام عليك يا أمير المؤمنين، إنَّ الله قد جعلك خليفة في البلاد، ورقيباً على العباد، فكَفَّ بكَ الأهواء، وآمن بك الخائف، وروَّع بك الحائف[1]، فأسأل لك النعمة في غير تغيير، والعافية في غير تقدير، وقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق عليَّ فيه المَنْهج، وتفاقم عليَّ فيه المخرج، كرهتُ بوائقه، وأثقلَتْني عوائقه، وفدحَتْني علائقه، فليُنْصفني أمير المؤمنين من خَصْمي، فإنّي أعوذ بعَقْوته[2] من العار الوبيل، والشَّيْن الجليل، الذي يبهر ذوات العقول.

فقال لها مُعاوية: من بعلُك هذا الذي تنتصفين منه؟

قالتْ: هو أبو الأسود.

فالتفت إليه وقال: يا أبا الأسود، ما تقول هذه المرأة؟

---

(١) الحائف: الظالم.

(٢) العقوة: في لسان العرب: الساحة وما حول الدار والمحلَّة.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّها لتقول من الحقّ بعضاً، أمّا ما تذكر من طلاقها فهو حقٌّ، وأنا مخبر أميرَ المؤمنين عنه بصدق، واللّهِ يا أميرَ المؤمنين، ما طلّقتها عن ريبة ظهرتْ، ولا في هفوةٍ حضرتْ، ولكنّي كرهتُ شمائلَها، فقطعت عنّي حبائلها.

فقال له معاوية: وأيّ شمائلها كرهتَ؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّك مهيِّجها عليَّ بجوابٍ عنيد، ولسان شديد

فقال: لا بدَّ لك من محاورتها، فاردد عليها قولها عند مراجعتها.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّها لكثيرة الصخب، دائمة الذَّرَب[1]، مهينة الأهل، مؤذية البَعْل، مسيئة إلى الجار، إن رأت خيراً كتمتْه، وإنْ رأتْ شرّاً أذاعته.

فقالتْ: واللّهِ لولا أمير المؤمنين، وحضور من حضره من المسلمين، لرددتُ عليك بوادر كلامك، بنوافذ أُفرِغ بها كلَّ سهامِك، وإن كان لا يجملُ بالحُرَّة أَنْ تشتم بَعْلاً، ولا تظهر جهلاً.

فقال لها معاوية: عزمتُ عليكِ إلاَّ أجبتهِ.

فقالتْ: يا أمير المؤمنين، هو ما علمته سؤول جهول، ملح بخيل، إن قال فشرُّ قائل، وإن سكتَ فذو دغائل[2]، لَيْثٌ حيث يأمن، ثعلب حين يخاف، شحيح حين يضاف، إن ذُكِرَ الجودُ انقمع لما يعرف من قصور شأنه، ضيفه جائع، وجاره ضائع، لا يحفظ جاراً، ولا يحمي ذماراً[3]، ولا يدرك ثاراً، أكرم الناس عليه من أهانه، وأهونهم عليه من أكرمه.

---

(١) الذَّرَب: حدَّة اللسان.

(٢) الدَّغائل: جمع مفرده دغيلة وهي الدَّغل: العيب المفسد للأمر.

(٣) الذِّمار: ما يجب على المرء حفظه والذود عنه كالأهل والعرض ونحوه.

فقال معاوية: سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة يا أبا الأسود؟

فقال أبو الأسود: أصلح الله أمير المؤمنين، إنَّها مطلَّقة، ومَنْ أكثَرُ كلاماً من مطلَّقة؟

فقال لها معاوية: إذا كان الرَّواح فاحضري حتى أفصل بينكِ وبينه. فلمّا كان الرَّواح جاءت وقد احتضنت ابنها، فلمّا رآها أبو الأسود قام لينتزع ابنه منها، فقال له معاوية:

مه يا أبا الأسود، لا تعجل على المرأة أن تنطق بحُجَّتها.

فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أحقُّ بابني منها، حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا الأب، وإليَّ يُنْسَب.

فقالتْ: صدقَ، حمله خِفًّا، وحملته ثقلاً، ووضعه شهوةً، ووضعته كرهاً، لم أحمله في غُبَّر، ولم أرضعه غيلاً[1]، فبطني له وعاء، وحجْري له وقاء.

فقال أبو الأسود عند ذلك:

مـرحبـاً بـالَّتـي تجـورُ علينـا ... ثـمَّ سهـلاً بـالحـامـل المحمـولِ
أغلقـت بـابهـا علـيَّ وقـالـتْ ... إنَّ خيـرَ النِّسـا لـذات البُعُـولِ
شغلـت نفسهـا علـيَّ فـراغـاً ... هـل سمعتـمْ بـالفـارغ المَشْغُـولِ

فقالت مجيبةً له:

ليس من قال بالصواب وبالحقِّ ... كمـن حـاد عـن منـار السبيـلِ
كـان ثـديـي سقـاءه حيـن يُضحـي ... ثـمَّ حِجْـري وقـاءه بـالأصيـلِ

(١) الغَيْل: اللَّبن الذي تُرضِعُه المرأة ولدها وهي حامل.

لست أبغي بواحدي يا ابن حَرْبٍ　　بـــدلاً مـــا علمتـــه والخليـــلِ

فقال معاوية مجيباً له:

ليس من قـد غـذاه حيناً صغيراً　　ثـــمَّ سقـــاه ثـــديـــه بجَـــدُولِ
هـــي أَوْلـــى بـــه وأقـــربُ رحمـــاً　　مـــن أبيـــه وفـــي قضـــاء الـــرســـولِ
أُمُّـــه مـــا حنَـــتْ عليـــه وقـــامـــتْ　　هـــي أولـــى بحمـــل هـــذا الفصيـــلِ

فلعنَتْ أبا الأسود، وحملتْ ابنه ومضتْ.

[تاريخ ابن عساكر ٧/١١٦ ـ ١١٧]

* جزاء الصابر والشاكر

دخل عمران بن حِطَّان يوماً على امرأته، وكان عمران قبيحاً دميماً قصيراً، وقد تزيَّنتْ، وكانتْ امرأة حسناء، فلمَّا نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحُسْناً، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالتْ:

ما شأنُكَ؟

قال: لقد أصبحت واللَّهِ جميلة.

فقالتْ: أبشِرْ فإني وإياك في الجنَّة.

قال: ومِنْ أينَ علمتِ ذلك؟

قالتْ: لأنَّك أُعطيتَ مثلي فشكرتَ، وابتُليت بمثلك فصبرتُ، والصابر والشاكر في الجنَّة.

[الأذكياء ٢٥٤]

❑ ❑ ❑

من فضل النساء وأوصافهن

* **شهادة عائشة الصديقة لفاطمة الزهراء (رضي الله عنهما)**

قالتْ عائشة ـ رضي الله عنها ـ :

ما رأيتُ قطُّ أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها. [أخرجه الطبرانيّ]

* **من كلام النبوّة في أفضل النِّساء**

عن ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ :

خطَّ النبـيُّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ أربعة خطوطٍ فقال:

«أفضل نساء أهل الجنَّة خديجة وفاطمة ومريم وآسية».

عن المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ قال:

سمعت رسول الله ﷺ علىٰ المنبر يقول:

«فاطمة بضعة[1] مِنّي يؤذيني ما آذاها، ويُريبني ما رابها».

[الإصابة ٤/٣٧٨]

---

(١) البَضْعَة: بفتح الباء وكسرها: القِطعة من اللحم وغيره. وقوله: «هو بَضْعة منّي»؛ أي: هو في قرابته كالجزء منّي».

* أقسـام النسـاء

قال الأصمعيُّ:

أَخْبَرنا شيخ من بني العَنْبر قال: كان يُقال:

النِّساء ثلاث:

ــ هيِّنة، ليِّنة، عفيفة، مُسْلِمة؛ تعينُ أهلها علىٰ العيش، ولا تُعين العيشَ علىٰ أهلها.

ــ وأُخرىٰ: وِعاءٌ للولد.

ــ وأُخرىٰ: غُلٌّ قَمِلٌ، يضعُهُ اللَّه في عُنُق من يَشاء، ويفكُّه عمَّن يشاء.

* تقسيم آخر للنساء

عن أوفىٰ بن دلهم أنَّه كان يقول:

النِّساء أربع:

ــ فمنهنَّ مَعْمَع؛ لها شيئُها أجمع.

ــ ومنهنَّ تبع؛ تضرُّ ولا تنفع.

ــ ومنهنَّ صدَع؛ تُفرِّق ولا تجمع.

ــ ومنهنَّ غيث هَمِـع؛ إذا وقَع ببلد أمرع.

قال الأصمعي:

فذكرتُ بعض هذا الحديث لأبـي عوانة، فقال: كان عبد الله بن عُمَير يزيدُ فيه:

ومنهنَّ القَرْثَع؛ وهي التي تلْبَس درعها مقلوباً، وتكحُلُ إحدىٰ عينيها وتدع الأُخرىٰ. [عيون الأخبار ٤/ ٢ ـ ٣]

* وصف المرأة الزوجة

قال خالد بن صفوان:

من تزوَّج امرأةً فليتزوَّجْها عزيزةً في قومها ذليلةً في نفسها، أدبها الغِنى، وأذلَّها الفقر.

* أفضل النّساء

سُئل أعرابيٌّ عن النِّساء، وكان ذا تجربةٍ وعلمٍ بهنَّ، فقال:

أفضل النِّساء:

أطولهنَّ إذا قامتْ، وأعظمهنَّ إذا قعدتْ، وأصدقهنَّ إذا قالت، التي إذا غضبَتْ حلمتْ، وإذا ضحكتْ تبسَّمتْ، وإذا صنعت شيئاً جوَّدتْ، التي تُطيع زوجَها، وتلزم بيتَها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكلّ أمرها محمود.

[العقد الفريد ٦/ ١٠٧]

* خير النِّساء وشرّ النِّساء

رُوي عن أبـي الدَّرْداء أنَّه قال:

خير نسائكم؛ التي تدخل قَيْساً، وتخرُج مَيْساً، وتملأ بيتها أَقِطاً وحَيْساً.

وشرُّ نسائكم؛ السَّلْفَعة، التي تسمع لأضراسها قَعْقَعة، ولا تزال جارتُها مفزَّعة. [عيون الأخبار ٤/ ٩]

معاني الكلمات:

قَيْساً: إذا مشت قاست بعض خُطاها ببعض، فلم تعجل ولم تُبطىء.

المَيْس: التبختُر والتثنّي.

الأقِط: الجُبْن.

الحَيْس: الطعام المتَّخَذ من التمر والأقِط والسَّمنِ.

السَّلْفعة: البذيئة، الفحَّاشة، القليلة الحياء، الجريئة على الرجال.

* وصيَّة أب لابنه

جاء في وصيَّة الخطَّاب بن المعلّىٰ المخزوميِّ لابنه:

يا بُنيّ، إنَّ زوجة الرجل سَكنُه، ولا عيش له مع خلافها، فإذا هممتَ بنكاح امرأة فسَلْ عن أهلها، فإنَّ العروق الطيِّبة تُنبِتُ الثِّمار الحُلْوة.

ـ واعلم أنَّ النِّساء أشدّ اختلافاً من أصابع الكفِّ، فتوقَّ منهنَّ كلَّ ذات بذا مجبولة علىٰ الأذىٰ؛

ـ فمنهنَّ المُعجبة بنفسها، المُزرِية[1] ببعلها، إن أكرمها رأتْهُ لفَضْلها عليهِ، لا تشكر علىٰ جميل، ولا ترضىٰ منه بقليل، لسانها عليه سيف صقيل، قد كشفت القِحَة[2] ستر الحياء عن وجهها، فلا تستحي من إعوارها، ولا تستحي من جارها، كلبة هَرَّارة[3]، مُهارشة[4] عقَّارة[5]، فوجه زوجها

---

(١) المزرية: المعيبة.

(٢) القِحَة: الوقاحة، وقِلّة الحياء.

(٣) الهرّارة: المكَشِّرة المصوِّتة.

(٤) المهارشة: المخاصمة، المقاتلة.

(٥) عقّارة: كثيرة الصراخ ورفع الصوت.

مَكْلوم[١]، وعرضه مشتوم، ولا ترعىٰ عليه الدين ولا الدنيا، ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين، حجابه مهتوك[٢]، وسَتْره منشور، وخيره مدفون، يصبح كئيباً، ويمسي عاتباً، شرابه مرٌّ، وطعامه غَيْظ، وولده ضياع، وبيته مستهلَك، وثوبه وسِخ، ورَأْسه شَعِث[٣]، إنْ ضحك فواهِن[٤]، وإن تكلَّم فمتكاره، نهاره ليل، وليله وَيْل، تلدغه مثل الحيَّة العقَّارة، وتَلْسَعُه مثل العَقْرب الجرّارة.

ـ ومنهنَّ شفشليق[٥]، شَغْشع[٦]، سَلْفَع[٧]، ذاتُ سمٍّ منقع[٨]، وإبراق واختلاق، تهبُّ مع الرِّياح، وتطير مع كلِّ ذي جناح، إنْ قال: لا؛ قالتْ: نَعَمْ، وإنْ قال: نَعَمْ؛ قالتْ: لا.

مولِّدة لمخازيه، محتقرة لما في يديه، تضرب له الأمثال. وتقصر به دون الرِّجال، وتنقله من حال إلىٰ حال، حتىٰ قلا[٩] بيتَه، ومَلَّ ولده، وغثَّ عيشه، وهانت عليه نفسه، وحتّىٰ أنكره إخوانُه، ورَحِمه جيرانُه.

---

(١) المكلوم: المجروح.

(٢) المهتوك: المفضوح، الممزّق السّتر.

(٣) الشّعِث: المتفرّق من الأمور، والمتلبِّد من الشَّعْر.

(٤) الواهِن: الضَّعيف.

(٥) الشَّفْشَليق: العجوز المُسْتَرْخِيَة.

(٦) الشَّغْشع: الطويل أو الطويلة.

(٧) السَّلْفع: الصَّخَّابة البذيئة السيِّئة الخُلُق.

(٨) السمّ المنقَع: شديد القتْل.

(٩) قلا: قِلىً وقَلاءً: أبغض وكره غاية الكراهة. والقِلَىٰ: البُغض.

ـ ومنهنَّ الوَزْهاء[1] الحمقاء؛ ذات الدلِّ في غير موضعها، الماضغة للسانها، الآخذة في غير شأنها، قد قنعت بحبِّه، ورضيتْ بكَسْبه، تأكل كالحمار الرَّاتع، تنتشِر الشمس، ولمَّا يُسمَعْ لها صوتٌ، ولم يُكنَس لها بيت، طعامها بائت، وإناؤها وَضِر[2]، وعجينها حامِض، وماؤها فاتِر، ومتاعها مزروع، وماعونها ممنوع، وخادمها مضروب، وجارها محروب[3].

ـ ومنهنَّ العطوف الودود، المُباركة الولود، المأمونة علىٰ غيبها، المحبوبة في جيرانها، المحمودة في سِرِّها وإعلانها، الكريمة التبعُّل[4]، الكثيرة التفضُّل، الخافضة صوتاً، النظيفة بَيْتاً، خادمها مسمَّن، وابنها مزيَّن، وخيرها دائم، وزوجها ناعم، مومِوقة مألوفة، وبالعفاف والخيرات موصوفة.

[روضة العُقلاء ونزهة الفُضلاء ٢٠٢ ـ ٢٠٣]

❑ ❑ ❑

---

(١) الوَزْهاء: الحَمْقاء.

(٢) الوَضِر: الوَسِخ.

(٣) المحروب: المَسْلوب.

(٤) التبعُّل: أداء حقوق الزوج.

مع أحوالهن مع أولادهن

* «نساؤكم حرث لكم»

رُوي أنَّ أميراً من العرب يُكنىٰ بأبـي حمزة، تزوَّج امرأةً، وطمع أن تلد غلاماً، فولَدت له بنتاً، فهجر منزلها، وصار يأوي إلىٰ بيت غير بيتها، فمرَّ بخبائها بعد عام، وإذا هي تداعِبُ ابنتها بأبياتٍ من الشِّعْر تقول فيها:

ما لأبـي حمزةَ لا يأتينا يظلُّ في البيتِ الذي يلِينا
غضبان ألاَّ نَلدَ البنينا تاللَّهِ ما ذلك في أَيْدِينا
وإنَّما نأْخُذ ما أُعطِينا

فغدا الرَّجل حتّىٰ دخل البيت، بعد أن أعطته زوجته دَرْساً في الرِّضىٰ والإيمان، فقبَّل رأس امرأته وابنتِه، ورضي بعطاء اللَّهِ وقَسَمِه.

* أمّ الجارية وأُمّ الغلام

كان لأعرابيٍّ امرأتان، فولَدت إحداهما جاريةً والأُخرىٰ غلاماً.

فرقَّصت أُمُّ الغُلام ولدها يوماً، وقالتْ معيِّرة ضَرَّتها:

الحمد للَّهِ العظيم العالي أنقذني العام من الجوالي

مـن كـلِّ شـوهـاء كشَـنٍّ بـالـي[1] لا تـدفـع الضَّيْـم[2] عـن العيـالِ

فسمعتها ضَرَّتُها، فأقبلتْ تُرقّص ابنتها، وتقول:

ومـا علـيَّ أنْ تكـون جـاريَـهْ تغسـل رأسـي وتكـونُ الغـاليـهْ
وتـرفـع السـاقِـط مـن خمـاريَـهْ حتّـىٰ إذا بلغَـتْ ثمـانيَـهْ
أزرتهـا بنفيسـةٍ يمـانيَـهْ أنكحتهـا مـروانَ أو معـاويَـهْ
أصهـارِ صِـدْقٍ ومُهُـورٍ غـاليَـهْ

فسمعها مروان، فتزوَّجها علىٰ مائة ألف مثقال، وقال:

إنَّ أُمَّها جديرة أن لا يُكذَّب ظنُّها، ولا يُخاف عهدها.

فقال معاوية:

لولا مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المَهْرَ، ولكن لا تُحرَم الصِّلَة، فبعث إليها بمائة ألف دِرْهم.

* الأُمّ مدرسة الولد الصالح

جاء في ترجمة أبـي عثمان ربيعة بن أبـي عبد الرَّحمٰن فرُّوخ، المعروف بربيعة الرأْي، فقيه أهل المدينة، وعنه أخذ مالك بن أنس الأصبحيُّ ــ رحمه الله ــ وقد قال فيه:

ذهبتْ حلاوةُ الفِقْه منذ مات ربيعة الرَّأْي.

وتوفِّي سنة ١٣٠هـ.

قال عبد الوهَّاب بن عطاء الخفَّاف:

---

(١) الشَّنُّ البالي: القِرْبَة، الخَلَق الصغيرة يُجعل الماء فيها. فيكون أبرد من غيرها.
(٢) الضَّيْم: الظُّلْم أو الإذلال ونحوهما.

حدَّثني مشايخ أهل المدينة أنَّ فرُّوخاً أبا عبد الرحمن بن ربيعة الرَّأي خرج في البعوث إلىٰ خُراسان أيَّام بني أُميَّة غازياً، وربيعة حمل في بطن أُمِّه، وخلَّف عند زوجته أُمَّ ربيعة ثلاثين ألف دينار.

فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فَرَساً، وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، وقال:

يا عدوَّ الله، أتهجم علىٰ منزلي؟

فقال فرُّوخ: يا عدوَّ الله، أنت دخلتْ علىٰ حَرَمي.

فتواثبا، وتلبَّب كلٌّ واحدٍ منهما بصاحبه، حتّىٰ اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة، فأتوا يُعِينون ربيعة، فجعل ربيعةٍ يقول:

والله، لا فارقتك إلاَّ عند السلطان.

وجعل فرُّوخ يقول:

والله، لا فارقتك إلاَّ بالسلطان وأنت مع امرأتي.

وكثُر الضجيج، فلمَّا أبصروا بمالك سكتوا، فقال مالك:

أيُّها الشَّيخ، لك سَعَة، في غير هذه الدار.

فقال الشَّيخ: هي داري، وأنا فرُّوخ.

فسمعت امرأته كلامه، فخرجتْ، وقالتْ:

هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلَّفه وأنا حامل به.

فاعتنقا جميعاً وبكيا، فدخل فرُّوخ المنزل، وقال: هذا ابني؟

فقالت: نَعَمْ.

قال: أخرِجي المال الذي لي عندكِ، وهذه معي أربعة آلاف دينار.

فقالتْ: قد دفنتُه وأنا أُخرِجُه بعد أيَّام.

ثمَّ خرج ربيعة إلىٰ المسجد، وجلس في حَلْقته، فأتاه مالك والحسن ابن زيد وابن أبـي عليّ اللّهبـيُّ والمساحقيُّ وأشرافُ أهل المدينة، وأصدق النَّاس به، فقالت امرأة فرُّوخ لزوجها:

أُخرُج، فصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ. فخرج، فنظر إلىٰ حلقةٍ وافرةٍ، فأتاها، فوقف عليها، فأَفْرجوا له قليلاً، فنكَّس ربيعةُ رأسه يُوهِمه أنَّه لم يره، وعليه دنيَّة طويلة، فشكَّ أبوه فيه، فقال:

مَنْ هذا الرَّجُل؟

فقالوا: هذا ربيعة بن أبـي عبد الرَّحمٰن.

فقال: فقد رفع الله ابني.

ورجع إلىٰ منزله، وقال لوالدته:

لقد رأيت ولدَكِ علىٰ حالةٍ ما رأيتُ أحداً من أهل العلم والفقه عليها.

فقالتْ أُمُّه: فأيُّما أحبُّ إليكَ ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه؟

فقال: لا والله، بل هذا.

فقالتْ: فإنِّي أنفقتُ المال كلَّه عليه.

قال: فوالله ما ضيَّعتِه.

[وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٠]

* من حنان الأُمّهات

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ أنَّ امرأةً دخلت علىٰ عائشة ــ رضي الله عنها ــ ومعها ابنتان لها، قال:

فأعطتْها عائشة ثلاث تمراتٍ، فأعطت كلَّ واحدةٍ منهما تمرةً، ثمَّ أخذت تمرةً لتضعها في فمها، قال:

فنظرت الصبيَّان إليها، قال: فصدعتها نصفَيْن، فأعطت كلَّ واحدةٍ منهما نِصْفاً، وخرجتْ. فدخل رسول الله ﷺ فحدَّثته عائشة بما فعلت ــ أو تفعل ــ المرأة، قال:

«فلقد دخلتْ بذلك الجنَّة».

[حياة الصحابة ــ أخرجه البزّار ٢/ ٥٣١]

❑ ❑ ❑

٧
جرأتهنّ أمام الحاكم واستجابتهنّ له

*** امرأة تُحاجج عمر في مهور النِّساء**

أخرج سعيد بن منصور وأبو يَعلىٰ والمحامليُّ عن مسروق قال:

ركب عمر ـ رضي الله عنه ـ المنبر، فقال عمر: لا أعرف من زاد الصَّداق علىٰ أربعمائة درهم، فقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنَّما الصَّدُقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوىً أو مكرُمة لما سبقتموهم إليها.

ثمَّ نزل، فاعترضتْه امرأة من قُرَيْش، فقالتْ:

يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا في صدُقاتهنّ علىٰ أربعمائة؟

قال: نَعَمْ.

قالتْ: أما سمعت الله يقول في القرآن: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾(١).

فقال: اللَّهمَّ غُفراً. كلُّ النّاس أفقه من عمر.

ثمَّ رجع، فركب المنبر، فقال:

(١) سورة النساء: الآية ٢٠.

أيُّها النَّاس إنِّي كنت نهيتُكم أن تزيدوا في صدُقاتهنَّ علىٰ أربعمائة، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحبَّ أو طابت نفْسه فليفعل.

[حياة الصحابة ٢/ ٦٧٦ ـ ٦٧٧]

* امرأة تعِظ أمير المؤمنين عمر وتُشَدِّد عليه

روىٰ خليد بن دَعْلَج عن قتادة، قال:

خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبديُّ، فإذا بامرأة بَرْزَة علىٰ ظهر الطريق، فسَلَّم عليها عمر، فردَّتْ عليه السلام، فقالت: هيهات يا عمر، عهدتُكَ وأنتَ تُسمَّىٰ عُمَيْراً في سوق عُكاظ، ترع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتّىٰ سُمِّيتَ أميرَ المؤمِنين، فاتَّق الله في الرعيَّة، واعلم أنَّه من خاف الوعيد قرُب عليه البعيد، ومن خاف الموت خَشِي الفَوْت.

فقال الجارود: قد أكثرت علىٰ أمير المؤمنين أيّتها المرأة.

فقال عمر: دَعْها، أما تعرفها؟ هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامِت التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر أحقّ، واللَّهِ، أن يسمع لها.

[٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩١]

* امرأة تأبـىٰ معصية أمير المؤمنين بعد موته

أخرج مالك عن ابن أبـي مُلَيْكة قال:

إنَّ عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ مرَّ بامرأة مجذومة، وهي تطوف بالبيت، فقال لها:

يا أمةَ اللَّهِ، لا تُؤذي النَّاس، لو جلستِ في بيتِكِ.

فجلستْ، فمرَّ بها رجل بعد ذلك، فقال: إنَّ الذي كان نهاك قد مات فاخرُجي.

قالتْ: ما كنتُ لأُطيعه حيّاً، وأعصيه ميّتاً.

[حياة الصحابة ٢/ ٧٠، كنز العمّال ٥/ ١٩٢]

❑ ❑ ❑

متفرقات

* من بركة خدمة الصالحين

كانت كردُويَهْ بنت عمرو البصريَّة تخدم شعوانه، فقيل لها: ما الذي أصابك من بركاتِ خدمةِ شِعْوانه؟

قالتْ: ما أحببتُ الدنيا منذ خدمتُها، ولا اهتممتُ لرزقي، ولا عَظُم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه، وما استصغرتُ أحداً من المسلمين قطُّ.

[صفة الصفوة ٤/ ٤٢]

* المرأة الحاكمة علىٰ نفسها

قال شيبة بن الأرقم: سمعتُ عاصماً الجحدريَّ يقول:

كانتْ أُمُّ طَلْقٍ تقول:

ما ملَّكتُ نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً.

وكانتْ تقول: النَّفْس مَلِك إن اتبعتها، ومملوك إن أتْعَبْتها.

[صفة الصفوة ٤/ ٣٧]

* النساء اللَّواتي ولَدت كلٌّ منهنّ خليفتين

ولم تلد امرأة خليفتَيْن غير ثلاثة.

وَلّادة بنت العبّاس العبسيَّة، تزوَّجها عبد الملك بن مروان، فولدت له الوليد وسليمان، فوُلِّيا الخلافة.

والثانية شافهر بنت فيروز بن يزدجرد تزوَّجها الوليد بن عبد الملك، فولَدت له يزيد وإبراهيم فوُلِّيا الخلافة.

والثالثة الخيزُران اشتراها المهديُّ، ثمَّ أعتقها، فولَدت له الهاديَ والرَّشيدَ، ووُلِّيا الخلافة.

[شذرات الذهب ١/ ٢٨٠]

* من صفات أسماء بنت الصديق

قال هشام بن عروة عن أبيه:

بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سنٌّ، ولم يُنكَر لها عقل.

[الإصابة ٤/ ٢٣٠]

* المرأة البارّة بأُمّها

رُوي عن يحيىٰ بن أبي كَثير، قال:

لمَّا قدم أبو موسىٰ الأشعريُّ وأبو عامرٍ علىٰ رسول الله ﷺ فبايعاه وأسلما، قال:

«ما فعلت امرأة منكم تُدْعىٰ كذا كذا؟»

قالوا: تركناها في أهلها.

قال: «فإنَّه قد غُفِر لها».

قالوا: بِمَ يا رسول الله؟

قال: «بِبِرِّها والدتها».

قال: «كانت لها أُمٌّ عجوز كبيرة، فجاءهم النذير: إنَّ العدوَّ يُريد أن يُغيِر عليكم. فجعلتْ تحملها علىٰ ظهرها، فإذا أعيتْ وضعتها، ثمَّ ألزقتْ بطنها ببعض أُمِّها، وجعلتْ رجليها تحت رجلَيْ أُمِّها من الرَّمْضاء[1] حتَّى نجتْ».

[أخرجه عبد الرزّاق في مصنَّفه]

❑ ❑ ❑

(١) الرمضاء: الأرض التي حَمِيَتْ من حرّ الشمس.

مصادر الكتاب

* أحسن المحاسن، لأبي إسحاق الرّقّي. نشر المكتبة السلفية بمكّة ـ الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
* الأحكام السلطانية، للماورديّ. دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٩٧٨ .
* الأذكياء، لابن الجوزيّ. مكتبة الغزالي ـ دمشق ١٩٧١ .
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البرّ.
* الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلانيّ. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٣٢٨هـ.
* البصائر في تذكير العشائر، لمحمد عبد الحيّ الورتيّ. المكتبة العلميّة في المدينة المنوّرة.
* تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطيّ. مطبعة السعادة ـ مصر ١٩٥٢ .
* تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي. دار الكتب العلميّة ـ بيروت.
* التحفة المستطابة في كرامات بعض الصحابة. حلب ١٣٩٠هـ.
* تفسير ابن كثير. دار الكتب العلميّة ـ بيروت.
* تنبيه الغافلين، للسمرقندي. دار أُسامة ـ دمشق ١٩٨٥ .
* تهذيب تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر. دار المسيرة ـ بيروت ١٩٧٩ .
* تهذيب سيرة ابن هشام، لعبد السلام هارون. الدار المتّحدة ـ دمشق ١٩٩٢ .
* حياة الصحابة، للكاندهلويّ. دار القلم ـ دمشق ١٩٨٩ .
* ذيل تاريخ بغداد. دار الكتب العلميّة ـ بيروت.
* روضة العقلاء ونزهة الفُضلاء، لأبي حاتم البُستيّ. دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٩٧٥ .
* الزهد، للإمام أحمد بن حنبل. دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٩٧٨ .

* زهر الآداب، للقيرواني. دار الجيل ــ بيروت ١٩٧٢ .
* سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم. المكتبة العربيّة ــ دمشق ١٩٦٦ .
* شذرات الذهب، لابن العماد الحنبليّ. دار المسيرة ــ بيروت ١٩٧٩ .
* صحيح البخاريّ.
* صحيح مسلم.
* صفة الصفوة، لابن الجوزيّ. دار المعرفة ــ بيرت ١٩٨٥ .
* طبقات الشافعيّة الكبرىٰ، للسبكيّ. الطبعة الأولىٰ. عيسىٰ البابي الحلبيّ ــ مصر ١٩٦٤ .
* العقد الفريد، لابن عبد ربّه. لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٩٦٥ .
* العنوان في الاحتراز من مكائد النسوان، لابن البتنونيّ. دار أمواج ــ بيروت ١٩٨٩ .
* عيون الأخبار، لابن قُتيبة. وزارة الثقافة والإرشاد ــ مصر ١٩٦٣ .
* الفرج بعد الشدّة، للتنوخيّ. دار صادر ــ بيروت ١٩٧٨ .
* كتاب التوّابين، لابن قدامة المقدسيّ. مكتبة دار البيان ــ دمشق ١٩٦٩ .
* كنز العمّال، للمتّقي الهنديّ، مؤسّسة الرّسالة.
* المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الذهبيّ. دار الكتب العلميّة ــ بيروت.
* مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسيّ. منشورات المكتب الإسلامي ــ ١٩٦١ .
* نهاية الأرب، للنويريّ. وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ ــ مصر.
* نور اليقين، للشيخ محمد الخضري بك. المكتبة التجاريّة الكبرىٰ ــ القاهرة ١٩٦٣ .
* الورع، للإمام أحمد بن حنبل.
* وفيات الأعيان، لابن خَلّكان. دار صادر ــ بيروت.
* الوفيات لابن رافع السلاميّ. منشورات وزارة الثقافة ــ سورية ١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدِّمة الطبعة الثـانية	٥
مقدِّمة الطبعة الأولى	٧
من مُناجاتهنَّ للَّه تعالىٰ	
مناجاة المتعلِّقة بأستار الكعبة	٢١
مناجاة الملتزمة في حجر إسماعيل	٢١
مناجاة طائفة حول البيت	٢٢
مناجاة امرأة من العرب	٢٣
مناجاة جارية في المسجد الأقصىٰ	٢٣
مناجاة امرأة متعبِّدة	٢٤
مناجاة حبيبة العدويَّة	٢٤
مناجاة بردة ربّها في الليل	٢٥
مناجاة خنساء بنت خدام	٢٥
مناجاة نقيش بنت سالم	٢٦
مناجاة رابعة لربِّها	٢٧
مناجاة راهبة عند احتضارها	٢٧
مناجاة سَوِيَّة اليمنيَّة للَّه	٢٨
مناجاة سلمىٰ البصريَّة	٢٨

الموضوع	الصفحة
من حُبِّهنَّ للَّه تعالىٰ	
أُمّ الدَّرداء تعشق مجالس ذكر الله تعالىٰ	٢٩
جويرية بنت الحارث مع كلمات التسبيح	٢٩
المرأة المشتاقة إلىٰ ربِّها	٣٠
من أحوال عُفَيْرة العابدة	٣١
أعلىٰ درجات التقوى	٣١
المرأة المحبَّة لربِّها	٣٢
من عجيب حال امرأة عابدة	٣٢
نصيحة في أدب مجالسة الله	٣٣
من أحوال أهل العناية الإِلٰهيَّة	٣٣
أين بيت ربـي	٣٤
من خوفهنَّ من اللَّه تعالىٰ	
خوف عائشة أُمّ المؤمنين من عذاب السَّمُوم	٣٥

خوف عائشة أُمّ المؤمنين من الحساب ٣٥
بكاء الخائفة الراجية ٣٦
رابعة تخشىٰ عدم القَبُول ٣٦
خوف رابعة من قلَّة الصِّدق ٣٦
رابعة تذرف دموع الخوف مثل الوَكْف ٣٧
امرأة تبكي أربعين عاماً ٣٧
بكاء بحريَّة من الخوف وندمها
على ما فات ٣٧
بكاء أميَّة الموصلية خوفاً من النار ٣٨
امرأة منعها ذكر الموت من النوم ٣٨
امرأة تبكي من خوف يوم القدوم
علىٰ الله ٣٩
امرأة بكت خوفاً من الله حتى
ذهب بصرها ٣٩
خوف امرأة من أهل الكوفة ٣٩
امرأة قوَّامة صوَّامة بكَّاءة ٤٠
الخائفة من العذاب والقائمة للوهّاب ٤١

مـن دُعـائِـهـنَّ

دعاء العون والإسعاف ٤٣
دعاء الاستوهاب ٤٤
دعاء الاسترفاق ٤٤
دعاء الأمل والاستخلاف ٤٤
دعاء الاستنجاد والاستهداء ٤٥
دعاء أُمّ لابنها ٤٥
المضطرّ أولىٰ بالدعاء لنفسه ٤٦

من مراقبتهن للّه تعالىٰ

الفتاة المراقبة لله ٤٧
الزوجة التي تخشى الله ٤٨
من راقب الله وقاه ما يكره ٤٩

من ثقتهنَّ بالله تعالى وحُسن صلتهنَّ به

المرأة الواثقة بالله ٥١
المتوكلة علىٰ الله ٥١
المرأة المتوكِّلة علىٰ الله ٥٢
الراضية عن الله ٥٣

مـن عِـبـادتـهـنَّ

عائشة أُمّ المؤمنين مع عبادة الصوم ٥٥
عائشة أُمّ المؤمنين مع الصلاة ٥٥
أمُّ الدرداء في ظلِّ قيام اللَّيل ٥٦
أُمّ ورقة إمامة النِّساء ٥٦
عابدة في النهار واللّيل ٥٦
القوامة ثلث اللّيل ٥٦
جارية تعشق قيام اللّيل ٥٧
حكيمة العابدة ٥٧
امرأة تصلِّي في كل يوم وليلة
ستمائة ركعة ٥٨
امرأة يبكيها ذكر مفارقة الصوم
والصلاة والذكر ٥٩
لا تخرج من مسجدها إلاَّ للوضوء
والنوم ٥٩

قال مهدي بن ميمون	٥٩
امرأة تقرأ نصف القرآن كلّ ليلة	٦٠
لا تخرج من مصلاّها إلاّ للحاجة	٦٠
العابدة البكّاءة	٦٠
رابعة العدويّة في ظلّ قيام اللّيل	٦١
امرأة تقوم الليل إلىٰ السحر ثم تناجي	٦١
اللاحقة بقوافل الصالحين	٦٢
أُمّ طلق العابدة	٦٢
الصابرة علىٰ طول القيام	٦٢
عابدة تحذَر من التقصير	٦٣
من أحوال زجلة العابدة	٦٣
القائمتان بالمِئين	٦٤
هذا الجهد وعليك التُّكْلان	٦٤
من عجائب العابدات	٦٤
عابدة تعصب ساقيها من طول القيام	٦٥
امرأة رباح القَيْسيّ في قيام اللّيل	٦٥
عابدة تطلب الجنّة بأغلىٰ الأسعار	٦٦
العابدة الزاهدة	٦٦
الفَرِحة بقدوم اللّيل	٦٦
امرأة تقوم اللّيل كلّه بآية	٦٧
الحرّانيّة العابدة	٦٧
عاشقة اللّيل والسَّحَر	٦٨
أسرة القوّامين	٦٨
العابدة الملازمة للصلاة	٦٨
من أحوالهنّ مع القرآن	
عائشة تقرأ القرآن فتبكي	٧١
الناطقة بالقرآن الكريم	٧١
من حُبِّهنّ لرسول الله ﷺ	
امرأة تتّخذ من عَرَق رسول الله ﷺ طيباً	٧٥
حبٌّ فوق التصوُّر	٧٥
ما أسرع لحاق المحبِّ بالمحبوب	٧٦
بين عمر والعجوز المتشوِّقة	٧٦
من استجابتهنّ لله ورسوله	
الفتاة الراضية بأمر رسول الله ﷺ	٧٩
شهادة أُمّ المؤمنين عائشة لنساء الأنصار	٨٠
الفتاة المستجيبة لأمر الرسول ﷺ	٨١
امرأة ترمي بسوارها لتبايع رسول الله ﷺ	٨٢
المرأة الموفِّية ببيعة الرسول عليه الصلاة والسلام	٨٢
من أثر بركة رسول الله ﷺ فيهنّ	
القديدة المباركة	٨٣
عُكَّة أُمّ مالك البهزيّة	٨٣
عُكّة أُمّ أوس البهزيّة	٨٤
عُكّة أُمّ سُليم	٨٤
عُكّة أُمّ شريك	٨٦
من توبتهنّ	
توبة بغيٍّ بالإسلام	٨٧

توبة الزانية القاتلة ٨٧
توبة أُمّ البنين بنت عبد العزيز
ابن مروان ٨٨
توبة جارية من بنات الكبار ٩٠
توبة الطائفة ببيت الله ٩١
توبة امرأة فاتنة على يد الربيع بن خُثيم ٩١
توبة امرأة مطربة ٩٢
توبة امرأة فاتنة على يد عبيد بن عمير ٩٨
من زُهدِهنَّ
زهد آل رسول الله محمد ﷺ ١٠١
زهد امرأة من المهاجرات ١٠١
زهد رابعة العدويّة ١٠٢
أستحي أن أسأل الدنيا من يملكها ١٠٢
العابدة الزاهدة ١٠٣
امرأة تؤثر الانشغال بالله على الدنيا ١٠٣
امرأة تؤثر العبادة على نعيم الدنيا ١٠٤
موعظة زوجة ١٠٤
من وَرَعِهنَّ
ورع العارفات: (ما كان بين الإمام
أحمد وأخت بشر الحافي) ١٠٥
بين إبراهيم الخوّاص وامرأة عابدة ١٠٧
من عجائب أحوال الوَرِعات ١٠٨
من نبذهنَّ الحرام
الصبر على نبذ الحرام ١١١
أكل المشبوه يفوّت الطاعة ١١١
مطلقة البزّاز وضرَّتها ١١٢
من كرامتهنَّ
من كرامات مريم بنت عمران ١١٥
من كرامات آسية امرأة فرعون ١١٧
يوم الوشاح ١١٧
من كرامات أُمّ أيمن المهاجرة ١١٨
زنِّيرة ١١٩
العجوز المهاجرة ١١٩
أمّ شريك وكرامة السقيا ١٢٠
من كرامة روضة ـ رضي الله عنها ـ ١٢١
حديث المرأة الصالحة مع
الثعبان الأسود ١٢١
الزوجة الأنصارية والرَّحىٰ ١٢٢
حفصة بنت سيرين وضوء السراج ١٢٣
«ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون» ١٢٣
الأُمّ المراعية لما لله عزّ وجلَّ عليها ١٢٤
من رِثائهنَّ
رثاء فاطمة الزهراء لأبيها
رسول الله ﷺ ١٢٧
من شعر فاطمة الزهراء في رثاء
أبيها ﷺ ١٢٧
من شعر فاطمة الزهراء بعد دفن
أبيها ﷺ ١٢٨
صفية بنت عبد المطّلب ترثي

رسول الله ﷺ ١٢٨
عائشة أُمّ المؤمنين ترثي أباها الصّدّيق ١٣٠
عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب ١٣٠
الأُمّ الصابرة ١٣١
رثاء ودعاء ١٣٢
دعاء أُمّ ثكلىٰ ١٣٢

مـن صَـبْـرِهـنَّ

من صبرهن على محنة الموت

صبر أُمّ خلّاد على فقد
ولدها خلّاد ١٣٥
صبر الرُّبَيِّع بنت النضر على
فقد ولدها حارثة ١٣٦
صبر أُمّ سليم على فقد ولدها ١٣٦
صبر منفوسة بنت زيد الفوارس على فقد
ولدها ١٣٨
صبر معاذة العدويّة على فقد ولدها ١٣٩
صبر أعرابية على فقد ولدها ١٣٩
صبر زوجة عبد الله بن الفرج
على فقده ١٤٠
صبر معاذة على فقد ولدها وزوجها ١٤٠
صبر صفية بنت عبد المطلب على
استشهاد أخيها حمزة ١٤٠

من صبرهنَّ على محنة المرض

امرأة تصبر على داء الصرع لقاء الجنة ١٤١
امرأة تصبر على المرض
لقاء اللاحساب ١٤٢
امرأة يسقط ظفر إبهامها فتضحك ١٤٢
مصائب الدنيا ثمن الجنَّة ١٤٣
من صبرهنَّ على قسوة العيش ١٤٣

من صبرهن على العذاب في الله

أول شهيدة في الإسلام ١٤٥
حوّاء امرأة قيس بن الحطيم ١٤٥
جارية بني مؤمّل ١٤٥

مـن جـهـادهـن

خدمة المرأة المسلمة في
ميادين القتال ١٤٧
أمّ أيمن تخدم يوم أحد ١٤٧
الغازية مع رسول الله ﷺ ١٤٨
أمّ سُلَيط يوم أُحُد ١٤٨
أمّ سليم تحمل خِنْجراً للقتال ١٤٨
المرأة الشجاعة ١٤٨
أمّ ورقة المرأة الشهيدة ١٤٩
من خرج في سبيل الله كان في حفظه ١٤٩
من مساهمة المرأة في الجهاد ١٥٠
المرأة المسلمة في غزوها مع
النبي ﷺ ١٥٠
امرأة تغزو مع رسول الله ﷺ
سبع غزوات ١٥١
أُمُّ عمارة المرأة المجاهدة ١٥١
أول امرأة مسلمة تركب البحر غازية ١٥٢

إحدى بطلات اليرموك ١٥٤
المقاتلة الشجاعة ١٥٤
العروس الشهيدة ١٥٤
مـن إنـفـاقـهـنَّ
تعمل بيدها وتتصدق ١٥٧
من أحوال عائشة الصدِّيقة في الإنفاق ١٥٧
من إنفاق أُمّ المؤمنين عائشة ١٥٨
الأختان السخيّتان ١٥٩
من إنفاق سودة ــ رضي الله عنها ــ ١٥٩
أُمّ المؤمنين زينب بنت جحش
ــ رضي الله عنها ــ تجود بعطائها ١٦٠
أُمّ المؤمنين زينب تستتر بثوبها
من العطاء ١٦١
خبر صاحبة السُّلْق ١٦١
أنصارية تتصدّق بحُليّها ١٦٢
الغنية المنفقة ١٦٢
امرأة تؤثر حُبّ الإنفاق على حب
الطعام والشراب ١٦٣
إنفاق عجوز البادية ١٦٤
تنفق عبيدها اتّقاء أبواب جهنّم ١٦٤
من إنفاق زُبَيْدة زوجة الرشيد ١٦٥
خبز عجوز البادية مع طلحة الطلحات ١٦٥
من مشاهد عفافهنَّ وإيثارهنّ ١٦٨
خبر عبدة والمرأة ذات الإيثار ١٦٨
الغلام والجارية الكريمان ١٦٩
من علمهنَّ وفقهِهنَّ
أُمّ المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ ١٧١
فقيهة المدينة زينب بنت أبي سلمة ١٧٢
حفصة بنت سيرين ١٧٢
أمة الواحد بنت الحسين
المحامليّ ١٧٣
نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد ١٧٣
أُمّ أحمد الأنصاريّة ١٧٤
مولاة أبي أمامة ١٧٤
أُمّ عيسى ١٧٤
الخَيْزُران والدة الرشيد ١٧٥
زينب بنت سليمان الهاشميّة ١٧٥
أُمّ محمّد ١٧٥
زينب بنت أبي القاسم الجُرْجانيّ ١٧٥
مُنية، وجُمعة، وفاطمة، وطاهرة ١٧٦
سمانة الأنباريَّة ١٧٦
حفيدة أبي داود السجستاني ١٧٦
بنت البقَّال، جَبْرة السوداء ١٧٧
أمة الله بنت أحمد ١٧٧
بلقيس بنت سليمان ١٧٨
ستّ القُضاة ١٧٨
أُمّ عيسى مريم بنت أحمد ١٧٨
رُقَيَّة المدنيَّة ١٧٩
محدِّثة دمشق ١٧٩
ستّ العيش ١٨٠

الرئيسة ١٨٠
أُمّ زينب الواعظة ١٨٠
زينب بنت أحمد المقدسيّ ١٨١
ست الفقهاء ١٨١
مسندة الشام المقدسيَّة ١٨١
فخر النِّساء ١٨٢
آمنة ابنة أبـي إسحاق الواسطيّ ١٨٢
أمة العزيز البعلبكيّة ١٨٣
ستّ العرب ١٨٣
أُمّ الهنا ١٨٣
ست الكلّ ١٨٤
أُمّ يوسف الصالحيّة ١٨٤
زينب بنت محمد الغَزّيّ ١٨٤
خديجة بنت محمد ١٨٥
بنت قريمزان ١٨٦
أُمّ الخير أمة الخالق ١٨٦
عائشة الباعونيَّة ١٨٦
أُمّ حبيبة الأصبهانيَّة ١٨٧
زينب الشعريّة ١٨٧
مسندة الشام القرشيّة ١٨٨
زينب بنت مكّي ١٨٨
أمة الواحد ابنة القاضي المحامليّ ١٨٨
زوجة القشيريّ ١٨٨
ستّ الخُطباء ١٨٩
أُمّ عبد الرحمٰن ابنة زين الدين ١٨٩
أُمّ محمّد ابنة الشمس ١٨٩
أُمّ محمود ١٩٠
فاطمة بنت عبد الرحمٰن الدبهيّ ١٩٠
المسندة المعمَّرة ١٩٠
زوجة الحافظ يوسف المِزّيّ ١٩١
المسندة أُمّ عبد الله المقدسيَّة الصالحيَّة ١٩١
المسندة الكبيرة ١٩٢

من حُسْن ذكائهنَّ وجميل سؤالهنَّ وجوابهنَّ وردِّهنَّ

رسول جماعة النِّساء إلى رسول الله ﷺ ١٩٣
جواب صالح من امرأة صالحة ١٩٤
البنت الذكية ١٩٤
القاضي يبتسم لحجَّة امرأة ١٩٥
ردّ امرأة على قوم من بني نمير ١٩٥
أُمّ الشافعيّ في ذكائها وحُسن استنباطها ١٩٦

مـن بـلاغـتـهـنَّ

أُمّ المؤمنين عائشة تدافع عن أبيها الصديق رضي الله عنه ١٩٧
شهادة عائشة لخليفتين ٢٠١
بليغ استنجاح وجزيل كرم ٢٠٢
شكوىٰ واستعطاف ٢٠٣
بلاغة أخت ملك الخزر في النُّصح ٢٠٤

من بلاغة نساء بني عامر	٢٠٥
مـن مـواعِـظِـهـنَّ	
قلَّة الذنوب وسيلة السبق	٢١٩
سبيل الكفاية من الناس	٢١٩
حديث الميت على سريره	٢١٩
خطر الدنيا	٢٢٠
أثر الشباب في العمل	٢٢٠
حال العبد مع الله بين الحذر والرجاء	٢٢٠
قول في ذمّ البُخْل	٢٢١
كيف يعامل ربّه	٢٢١
من ضاق قلبه ضاقت عليه دنياه	٢٢١
الانعتاق إلى الرحمن لُبُّ الإيمان	٢٢٢
حوار العارفين	٢٢٢
مـن ثمـار التـوسُّـل إلـى الله والانقطـاع إليه	٢٢٣
الإنسان والأيام	٢٢٣
السلامة من الدنيا ترك ما فيها	٢٢٤
من ثمار ترك الشهوات	٢٢٤
واعظ يُوعَظ	٢٢٤
أدب العبد مع الله	٢٢٥
حكيمة تعظ إخوانها	٢٢٦
أثقل شيء وأخف شيء على العبد	٢٢٦
خطر الدنيا على القلب	٢٢٧
النعيم الحقّ	٢٢٧
من غرر النصائح وفريد المواعظ	٢٢٧
الآخرة أقرب من الدنيا	٢٢٨
أُم تعظ ابنتها	٢٢٩
من مواعظ فاطمة النيسابورية	٢٢٩
من ثمار عزّ القناعة	٢٣٠
أم حسّان تعظ سفيان الثوري	٢٣٠
اللِّسان دليل على ما في القلب	٢٣١
من مواعظ رابعة العدوية	٢٣٢
من عجيب مواقف الاتعاظ	٢٣٣
من حَسَن كلامِهِنَّ	
السهر لثلاثة	٢٣٥
مهابة الله	٢٣٥
قول في القناعة والفقر	٢٣٥
معنى القلب السليم	٢٣٦
تهنئة وسلوان	٢٣٦
خطأ شاعر وحكمة زوجة خليفة	٢٣٦
من بلاغة العارفات	٢٣٧
مـن وصـايـاهـنَّ	
الخنساء توصي أولادها يوم القادسية	٢٣٩
وصيَّة ورعاية	٢٤٢
موعظة تورث منصب القضاء	٢٤٢
أُمّ توصي ولدها حين سفره	٢٤٢
بين حفظ السرّ ونبذ النميمة	٢٤٣
من أضرار المزاح	٢٤٣
أُمّ توصي ابنتها ليلة زفافها	٢٤٣
فضيلة الطاعة وخطر المعصية	٢٤٤

أمّ تثبت ولدها على الحقّ ٢٤٤

من أحوالهنّ مع الأزواج

امرأة مهرها الإسلام ٢٤٥

صور من وفاء الزوجات للأزواج

أم الدرداء ــ رضي الله عنها ــ ٢٤٦

عباسة بنت الفضل ٢٤٧

أم سَلَمة ــ رضي الله عنها ــ ٢٤٧

فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز ٢٤٨

الزوجان الوفيّان ٢٤٩

مشاهد من خدمة الزوج والقيام بحقّه

فاطمة الزهراء ــ رضي الله عنها ــ ٢٤٩

أمّ سلمة ــ رضي الله عنها ــ ٢٥٠

أسماء بنت الصدّيق رضي الله عنهما ٢٥٠

من حسن مواقفهنّ مع الزوج وتثبيته على الحقّ ٢٥٠

من صدق وفائهنّ وحسن جوابهنّ ٢٥١

شكوى امرأة وذكاء قاضٍ ٢٥٢

من بليغ اشتكائهنّ وعجيب نفارهنّ ٢٥٤

جزاء الصابر والشاكر ٢٥٧

من فضل النساء وأوصافهنّ

شهادة عائشة الصديقة لفاطمة الزهراء ــ رضي الله عنهما ــ ٢٥٩

من كلام النبوّة في أفضل النّساء ٢٥٩

أقسام النساء ٢٦٠

تقسيم آخر للنساء ٢٦٠

وصف المرأة الزوجة ٢٦١

أفضل النّساء ٢٦١

خير النّساء وشرّ النّساء ٢٦١

وصيّة أب لابنه ٢٦٢

من أحوالهنّ مع أولادهنّ

«نساؤكم حرث لكم» ٢٦٥

أُمّ الجارية وأُمّ الغلام ٢٦٥

الأُمّ مدرسة الولد الصالح ٢٦٦

من حنان الأُمّهات ٢٦٨

من جُرأتهنّ أمام الحاكم واستجابتهنّ له

امرأة تحاجج عمر في مهور النّساء ٢٧١

امرأة تعِظ أمير المؤمنين عمر وتُشَدّد عليه ٢٧٢

امرأة تأبى معصية أمير المؤمنين بعد موته ٢٧٢

متـفـرّقـات

من بركة خدمة الصالحين ٢٧٥

المرأة الحاكمة علىٰ نفسها ٢٧٥

النساء اللّواتي ولَدت كلٌّ منهنّ خليفتين ٢٧٦

من صفات أسماء بنت الصديق ٢٧٦

المرأة البارّة بأُمّها ٢٧٦

مصادر الكتاب ٢٧٨

● ● ●

٣٠ / ١٦٢ / ٢ / ١٦